الحوزة وعلماء الدين

في ضوء إرشادات سماحة القائد (دام ظله)



دار الولاية للثقافة والاعلام

1


الحوزة وعلماء الدين



دار الولاية للثقافة والإعلام

هوية الكتاب

اسم الكتاب: .... الحوزة وعلماء الدين

إعداد و نشر: .... دار الولاية للثقافة والإعلام

الترجمة: .... الأستاذ معروف عبد المجيد

الطبعة: .... الثانية المنقحة: ١٤٣١هـ.ق

المطبعة: .... الثامن الحجج عليه السلام

الجزء: .... الأول

شابك الدوره: .... ISBN ٩٧٨-٩٦۴-٩٧٨-١٧٨-٣

شابك: .... ISBN ٩٧٨-٩٦۴-٩٧٨-١٧٨-۶

الجمهورية الإسلامية. قم المقدسة

ص.ب : ٦٦١ / ٣٧١٨٥

www.awelayah.net

awelayah@awelayah.net



في ضوء إرشادات

سماحة القائد دام ظله

الجزء الأول

دار الولاية للثقافة والإعلام


بسم الله الرحمن الرحيم

إشــارة

إن سلسلة (حديث الولايـة) الـذي هـو صـوت ثقافـة الثـورة والتـراث المدوّن للـشعب الإيرانـي المـسلم، يرسـم الخطـوط الأساسـية للمنظمـات والمؤسسات الاجتماعية، ويلقي ضوءاً على طريق ومعالم الحياة، كمـا يبـين مخاطر المسيرة ويتحدث عن الحلول الممكنة.

على أن الاستفادة من هذا الكنز تستدعي العديد من الأعمال المختلفـة، وقد كانت الخطوط الأُولى في هذا الصدد التوفر علـى تنظـيم الموضـوعات وتدوينها، فتم إصدار ثلاثة مجلدات منها حتى الآن[1]، فضلاً عن عـدد آخـر من المجلدات التي مازالت تحت الطبع، والتي تـدعو المحققـين والبـاحثين وعشاق حديث القيادة وثقافة النهضة إلى المزيـد مـن التأمـل والـتمعن فـي توصيات سماحة القائد، علّهم يستشعرون التحـديات الماثلـة علـى الطريـق ويتوفرون على المزيد من البصيرة نحو آفاق التحرك والسعي الحثيث.

وأما الخطوة الثانية على طريق الاستفادة من توصيات سـماحته فتتمثـل

---

(١) لقد تم لحد الآن إصدار تسع مجلدات من هذه السلسلة، تتضمن آثـار القائـد دام ظله مـن حـين رحيل الإمام الخميني قدس سره ولمدة ٣٢ شهراً، كما قامت دار الولاية للثقافة والإعلام بترجمة الجزأين الأول والثاني، حيث يتضمن الأول توجيهات القائد خلال الأربعين يوماً الأولى لرحيل الإمام، في حين احتوى الجزء الثاني توجيهاته دام ظله خلال الأشهر التي تلتها.

في تبيان وجهات نظره بشكل موضوعي، إذْ إن تَفَـرّقُ آراء سـماحته حـول الموضوع الواحد كان ومازال سبباً في صعوبة الإطلاع والفهـم العميـق لهـذه الآراء أحياناً، أو اطّلاع البعض على إحدى الزوايا الفكرية دون الأُخرى، ممّا قد يؤدي إلى تحريف وجهات نظر سماحة القائد أو سوء التعبير عنها.

ولهذا، فإن تبويب الموضوعات ـ إضافة إلى نـشرها مدّونـة ومرتبـة ـ يبدو ضرورة جدية وأساسية. وطبقاً لهذه الملاحظة، مع التسليم بهـذا الأمـر، فقد تم ملاحظة النقاط الآتية:

١ـ تقطيع أحاديث قائد الثورة الإسلامية وتبويبها حـسب الموضـوعات المختلفة؛ وذلك للتغلب على تلك المـشكلة التـي قـد تنـشأ عـن اخـتلاف السياق، ممّا يترتب عليه عـدم فهـم أجـواء الحـديث بـشكل جيـد، وعـدم التوصل إلى المضامين المطلوبة.

ولحل هذه المعضلة، فقد ارتأينا نشر (المجموعة الموضوعية لأحاديـث القائد) مذيّلة بإيضاحات وإنارات مختصرة؛ حتى يستقيم الكلام فـي سـياقه الـصحيح، ولا يتعـرض القـارئ لظـواهر الفـصل والوصـل المبهمـة عنـد مطالعته للمجموعة.

وقد تم تنظيم هذا النص الذي هو بين أيدينا الآن بهذه الطريقة، فخـرج إلى الوجود بهذه الحُلّة الجديدة.

٢ـ إنّ الإضافات الواردة هنا لا تتعدى مجـرد البيـان والتوضـيح المختـصر، ولا تدخل فـي سـياق التحليـل أو البحـث الـشمولي، ليكـون بمقـدور عـشّاق ومحبّي أحاديث القائد أن ينظروا إليها على أنها مادة فكرية، ويقفوا علـى عمـق زوايا وأبعاد آراء وأفكار سماحته من خلال التفكّر والتأمل بالوسائل المختلفة.

٣ـ يعتبر موضوع (الحوزة) و(الجامعة) من أهم قضايا الـبلاد فـي إطـار

الموضوعات الملحّة؛ وذلك لأنها من المؤسسات التي يؤدي صلاحها ونجاحها إلى اقتدار الحكومة الدينية وتقدم وسمو المجتمع الإسلامي، كما يسفر ضعفها ووهنها وفسادها ـ لا قدّر الله ـ إلى ضياع وتلاشي كافة الجهود والطموحات المخلصة للآلاف المؤلفة من أحباء الدين وأوليائه.

وعلى هذا، فقد اختصت المجلدات الأُولى من هذه المجموعة بـ (الحوزة) و(الجامعة) على أمل أن تتمحور المجلدات القادمة حول بحث ومناقشة الموضوعات الأُخرى ذات الأهمية الفائقة من قِبَل محققي ودارسي ثقافة الثورة؛ كي يتمكنوا من إقامة وإعلاء صرح الفكر الثوري، وإيصال نداء الحق إلى عنان السماء.

سائلين المولى سبحانه وتعالى أن لا يحرمنا من عنايته وفضله في السير على هذا الطريق.

مكتب سماحة القائد

مقدمة

(الحوزة) هي تراث الجهاد الدؤوب لعلماء الدين، فلقد كان سعيهم العلمي الدقيق والعميق هو السبب في نمو الثراء الثقافي للتشيّع، وإن زهدهم وتقواهم وقناعتهم لمن الأمور التي جسّدت النماذج العملية للفضيلة في العقول والأنظار، كما أن جهادهم ضد الجائرين والمستبدين والمستعمرين جعل الحوزة في طليعة النضال الاجتماعي والسياسي في البلاد.

وإن تعاطف وتعاون علماء الدين مع الناس جعل منهم الملجأ والملاذ لآلام الناس ومعاناتهم، وجعل منهم رفيقاً لهم في العسر واليسر.

هذا الوجه المشرق للحوزة تعرض للسطو والتزييف في القرن الأخير، حيث كانت الضربات واللطمات تنهال على الحوزة من كل ناحية؛ لكي يجرّدوها من وجاهتها، ويقضوا على قوّتها وصلابتها ويزيلوا الاعتماد عليها والثقة بها من نفوس الناس.

ولقد كان هذا السعي المتواصل متعدد الجبهات، فدعاة التجديد راحوا يقفون بوجه الحوزة وعلماء الدين باسم الإصلاح، فضخّموا ما في الحوزة من نقاط ضعف ونقص وأبرزوها للعيان. كما أن القوى الأجنبية والحكومة البهلوية كانوا هم العدو الآخر للحوزة وعلماء الدين، فبذلوا قصارى جهدهم للقضاء على هذا الرصيد الوطني الضخم، ورفعوا راية الاقتدار في الساحة بلا منافس!

إنّ هاتين الجبهتين المناهضتين لعلماء الدين وضعت كل منهما يدها في يد الأُخرى في العديد من الحالات، فانهالتا هجاءً وطعناً في علماء الدين على نسق واحد ووتيرة متّسقة، ووظّفتا كل الطاقات للقضاء على قواعد الصلة الوثيقة بين الناس والحوزويين.

وتحت وطأة هذه الجهود المركزة والمبرمجة والمنسقة، أخذت الحوزة العلمية تضعف وتضمحل يوماً بعد آخر، ففقدت الكثير من جمهورها، وأُصيبت أكثر بسوء الظن، ووقعت رهن الإبهام والغموض المتزايد فيما يخص قابليتها ومستقبلها العملي، وبكلمة واحدة باتت الحوزة في جوّ يسيطر عليه الضباب وتحوطه الظلمة والحلكة دون أن تؤمّل لنفسها مستقبل زاهر مضيء، وراحت تقضي أيام الاحتضار الشاقة في قلق واضطراب.

ولكن أنفاس (روح الله) لم تنفخ الروح في البلاد من جديد فحسب، بل إنها أيضاً بعثت في الحوزة حياة جديدة، ومنحت كيانها المهشّم المنهك دفء النور والأمل، ومسحت عن روحها وبدنها برودة الشتاء القارس كشمس تموز، وأعادت لها مجدها التليد، وأضافت إلى فضائلها فضائل أُخر:

«إن حوزاتنا العلمية في الحقيقة تدين بالحياة للثورة والإمام قدس سره، فلو لم تكن هذه الثورة وهذه الحركة العظيمة لكان ذلك النهج الذي اتخذته الأجهزة المعارضة للدين قد نخر في كيان الحوزات وقضى عليها، ولكان قد أزال حتى اسمها ورسمها بالتدريج، بعد أن اخلاها من مضمونها بشكل كامل.

إن التوجّه نحو الدراسة في الحوزات العلمية كان قد قلّ في حقيقة الأمر، وإن قيمة الحوزة كانت تقترب من الصفر حسب تقييم المجتمع. فلقد كانوا يتحركون ويعملون بهذا الشكل، ولكن هذه الثورة وهذا الإمام العظيم نفخا روح الحياة في الحوزة، وأعادا لها كرامتها في العالم والمجتمع، ومنحاها ما

يليق بها من شخصية، ورفعا رأسها عالياً، وجعلا وجهها يشع بالضياء المتألّق»(*).

وعلاوة على ذلك، استطاع الإمام ﵀ أن يضفي تجلياً عملياً على علوم الحوزة، وأن ينزل بها إلى معترك الحياة الاجتماعية، وأن يخلص هذه العلوم من عزلتها الفردية، وأن يقدم الدين في قالبه الاجتماعي الحي ودوره الحكومي.

إنّ هذا التمظهر الذي منحه الإمام للعلوم الحوزوية يعتبر عملاً عظيماً جداً، كما كانت متّصفة به أولاً، فالفكر الشيعي كان قد اكتسب الروح الفردية جرّاء ما عاناه من مخاصمة أو انقطاع، وكان الفرد ـ وليس المجتمع ـ هو المخاطب في علوم الفقه والأخلاق والكلام وسواها، كما كانت همة الفقيه والمتكلم والعالم المتحلّي بالأخلاق مقتصرة على رخاء الفرد وسعادته.

وأما قوانين الحياة الاجتماعية فلم تكن في متناول الفقيه ولا داخلة في اهتمامه. وكذلك حفظ وترسيخ القيم الاعتقادية لجزء كبير من المجتمع لم يكن هو الآخر من اهتمامات علماء الكلام.

ولقد كانت اهتمامات علماء الأخلاق منصبّة على فضائل ورذائل الفرد، أمّا إعداد الأرضية اللازمة للإرتقاء بالصحة النفسية للمجتمع فلم تكن ضمن نطاق عملهم. وبكلمة واحدة، فإن جهود العلماء والثقافة الشيعية لم تكن تتجاوز الحفاظ على إيمان الفرد دون أن يكون هناك مشروع يخص الحياة الاجتماعية.

لقد استطاع الإمام ﵀ أن يقوم بتغيير عميق في هذه النظرة التاريخية، وأن يجعل الفكر الفردي الشيعي يقترب من الحياة الاجتماعية، وأن يبيّن

(*) حديث في بداية درس الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩ هـ . ش.

الدين ويفسره في شكله التطبيقي مع الحياة الاجتماعيـة، وينظـر إليـه نظـرة شمولية جامعة، ويؤسس لعلوم الفقه والكلام والأخلاق والعرفان وغيرها بما يتناسب مع قالبها الحكومي.

وهذا الدور العظيم الذي قام به الإمام يجعله بمنزلة مجدد الفكر الشيعي في هذا القرن، ويضعه في طليعة ما يربو على ألف عام من تاريخ التشيع:

«إن ما قام به [الإمام] لا يمكن في الحقيقة مقارنته بانجازات بقية الفقهـاء الشيعة، فلقد كانوا جميعاً يكتبون ويتحدثون في نطاق تربيـة الفـرد فحسـب، على أمل إقامة حكومة على أساس هذه النظرة، حتى إن المرء ليجد أن مثـل هذا الأمل لم يكن في قلوب أكثرهم، وإنما كانوا يكتبون ويصنّفون فقط مـن أجل أن يكون الفرد مسلماً في حياته الفردية والشخصية، ولكن الإمـام عمـل على أن يعيش الإنسان في محيط إسلامي في كل أبعاد وجوده.

لقد كان أولئك الفقهاء يستنبطون بغية أن يتمكن الفرد من أن يحافظ على كونه مسلماً، ولكن الإمام كان يستنبط من أجل أن يتمكن المجتمع من الحياة تحت ظل النظام الإسلامي»(*).

إنّ هذه الشعلة المتوهّجة لم تنطفئ بوفاة الإمام، فسماحة القائد لم يلبث أن اقتفى أثره، وأخذ يسعى من أجل النهوض والرقي بمستوى هـذا الـصرح الديني الشامخ؛ وذلك بما يتّسم به سماحته من حب لقضايا الحوزة وعلاقـة شخصية بها.

لقد أولى سماحته الكثير من الاهتمام منـذ زمـن بعيـد بقـضايا الحـوزة والعلماء بكل ما لديه من حماسة وشغف وتحرّق وشوق، وكان يبذل جهده الـوافر دائمـاً فـي سـبيل الحفـاظ علـى الحـوزة وتطويرهـا والأخـذ بيـدها نحو الكمال.

(*) حديث لدى لقائه علماء ومدرّسي محافظة (جهارمحال وبختياري) ١٣٧١/٧/١٥هـ.ق.

ويعبّر سماحة القائد عن العلاقة بينه وبين الحوزة في جملة مختصرة، فيقول:

«إنّ لي بقضايا الحوزة والعلماء علاقةً عميقة من نوع تلك العلاقة التي يمتلكها الإنسان تجاه نفسه وممتلكاته»(**).

إنّ سماحته ـ باعتباره سليل بيت عظيم للعلم والفقاهة ـ اتّجه منذ نعومة أظفاره نحو دراسة العلوم الدينية، واعتبر لباس علماء الدين بركة من بركات حياته، وأولى اهتماماً كبيراً بقضايا الحوزة والعلماء منذ تلك الأيام المنصرمة باعتبارها من أكثر الاهتمامات والموضوعات أصالة؛ ففي مرحلة الدراسة، وأعوام النضال والتدريس، وبعد انتصار الثورة، وفي زمن الزعامة وقيادة الأُمة، أولى سماحته عناية خاصة على الدوام بقضايا الحوزة، وكانت له آراء وأفكار فائقة الأهمية فيما يخص أبعادها وآفاقها.

وإنّ سماحته بلا شك يُعد من أبرز العارفين بشؤون الحوزة، الذين نظروا إلى هذا الصرح الشامخ من زواياه المختلفة، وقدّم أفكاره العميقة إلى المحافل العامة والخاصة، أو عن طريق الكتابة والنشر.

لقد اعتبر ـ سماحته ـ الحفاظ على هذا الكنز الثمين من الضروريات، وعلى هذا الأساس فقد قررنا إصدار هذه المجموعة وتدوين أفكار سماحته النيّرة؛ وذلك كي تتمكن الحوزة والعلماء الاستفادة من آراء سماحته، فيحددوا طريقهم ليفتحوا لهم أُفقاً مشرقاً في مستقبل الإصلاح والتجديد.. ومن هذا المنطلق فقد أعددنا هذا الكتاب ووضعناه بين يدي علماء الحوزة والمعنيين بشؤونها.

وفي نهاية هذه المقدمة، وجدنا من الضروري الإشارة إلى النقاط الآتية:

(**) حديث لدى لقائه علماء ومدرّسي الحوزة العلمية في قم ١٣٧٠/١١/٣٠هـ. ق.

١ـ لقد تم ادراج بعض السطور بهدف إيضاح ووصل وفصل كلمات سماحة القائد؛ وذلك لكي توضع كل مفردة في مكانها المناسب، دون أن يلمس القارئ من القطع والفصل المخل والمضر. كما أنّ الإيضاحات والإضافات التي جاءت هنا ليست على المستوى الشامل من الشرح والتحليل ـ وإلاّ لتطلّب ذلك مجلدات كثيرة ـ بل اقتصرت فقط على التوضيح الإجمالي والنظرات السريعة.

على أمل أن يكون هذا النص أساساً ومنطلقاً لشروح وحواشي متعددة من قِبَل المهتمّين بقضايا الحوزة، وأن تجد أفكار سماحة القائد طريقها إلى البحث والتحقيق في فضاء واسع يتميّز بالعلم والمعرفة، وأن تكون ثمارها ونتائجها ذخراً للحوزة والمجتمع.

٢ـ تم طبع عبارات القائد بحروف واضحة ومميزة؛ وذلك بغية الحفاظ على أصالتها، وحتى لا يحدث الخلط بينها وبين الإضافات الموجودة، احترازاً من الوقوع في الخطأ والشبهات.

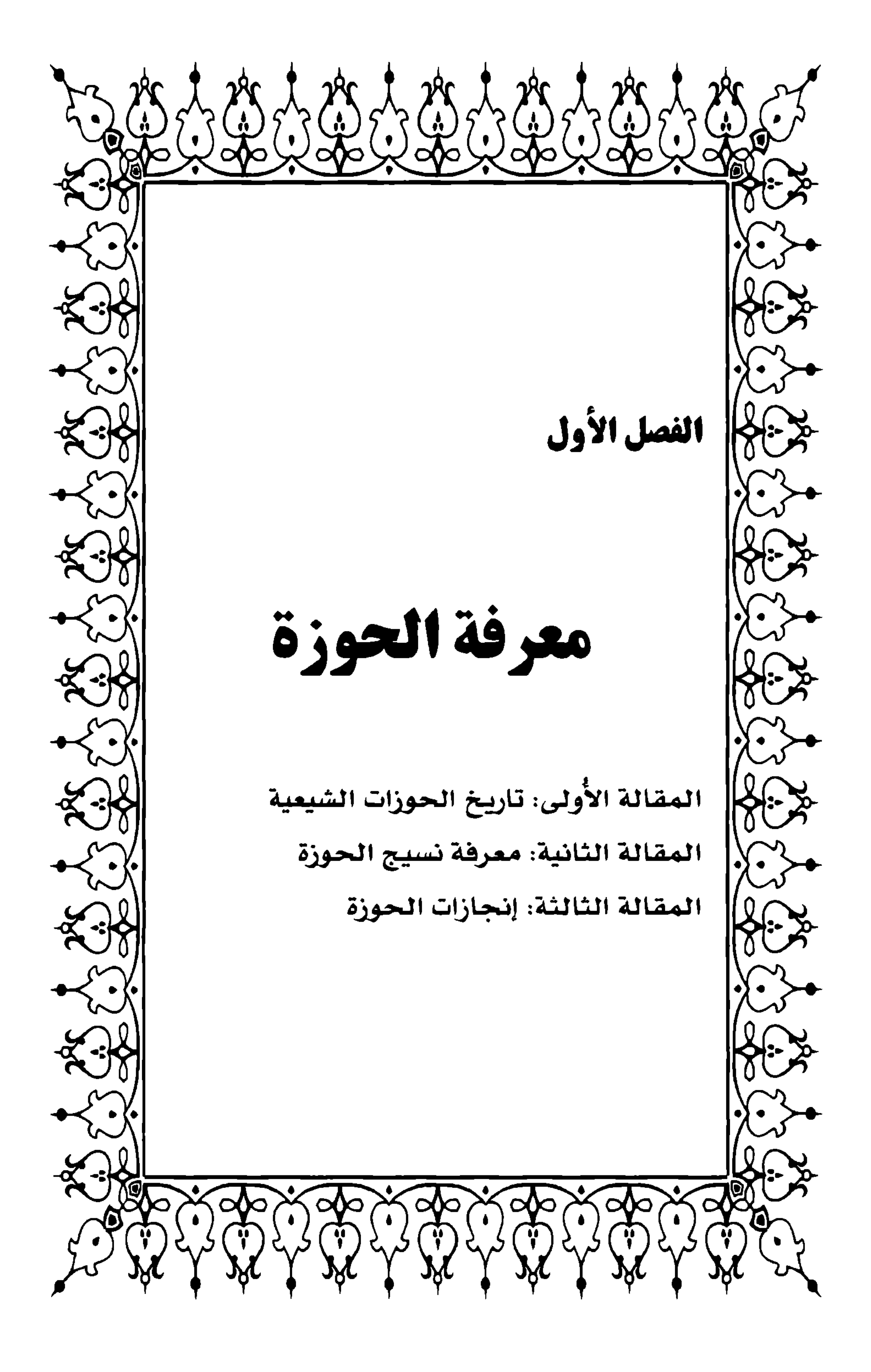
٣ـ تم إعداد هذا الكتاب استناداً إلى مجموعة واسعة من أحاديث سماحة القائد فيما يخص الحوزة والعلماء، فجاء على هذه الصورة. وبمراجعة النص سيجد القارئ كيف أن أحاديث القائد تنظر إلى آفاق مختلفة من قضايا الحوزة، وسيطّلع المخاطب على آرائه الحكيمة في أبعادها المختلفة.

وعلى أية حال، فإن هذا الكتاب لا يُدّعى فيه الاستقراء التام لكافة أفكار وآراء سماحة القائد، حيث مازال في طيّات أحاديث سماحته الكثير من النقاط القيّمة فيما يتعلق بموضوع الحوزة والعلماء. آملين أن تتناول

الاصدارات اللاحقة لهذه المجموعة من الكتب ما ينبغي لها من التطور والإتقان، وأن تتيسر الاستفادة الشاملة من أحاديث وكتابات سماحته.

وأخيراً، نأمل أن تعطي هذه الصفحة من (حديث الولاية) ثمارها المرجوّة، وأن تكون صفحات حياتنا وأفكارنا مطابقة لها، وأن تصبح عوناً للحوزة في السير على طريق الإصلاح والعمل المثمر والجاد.





الفصل الأول

معرفة الحوزة

المقالة الأولى: تاريخ الحوزات الشيعية

المقالة الثانية: معرفة نسيج الحوزة

المقالة الثالثة: إنجازات الحوزة

المقالة الأولى

تاريخ

الحوزات الشيعية

- طلائع المقاومة
- العلماء ذخيرة تاريخية
- مرحلة الانقطاع

تعتبر الحوزات الشيعية مدينة بوجودها لجهاد حكماء العلم والمعرفة، فلقد ضحى العباقرة من علماء الحوزات بأنفسهم في سبيل نشر العلوم الدينية، وسعوا من خلال أقوالهم ومصنفاتهم إلى تعميق وبسط مباني ومفاهيم الدين، ولم يروا في هذا السبيل طعماً للراحة والفراغ، فبدأوا بالهجرة والترحال، وذاقوا مرارة الحرمان دون أن يتوقفوا عن بذل المساعي والجهود، حتى جعلوا من تاريخ الحوزات الشيعية مظهراً للهمة والإرادة الإنسانية، وصنعوا من الأبحاث الدينية المعمقة تراثاً خالداً بفضل ما لديهم من نشاط ونبوغ:

«لقد تحملت حوزاتنا العلمية في الماضي الكثير من المشقة والعناء، وكان لدينا علماء على مدى تاريخ فقاهتنا في مختلف حقول العلوم الإسلامية، لاسيّما الفقه، وما خلّفوه من آثار علمية لدليل على ما بذلوه من جهد علمي كبير وغير مألوف.

وإن المجتهدين والفقهاء المشهورين ومؤلفي تلك الكتب العظيمة والمشهورة التي تركوها لنا في الفقه ـ كالشيخ الأنصاري والمحقق القمي وسواهما ـ كانوا في الحقيقة من أبرز عباقرة زمانهم، ولو كانت عقولهم قد انشغلت بأي علم من العلوم فربما تفتقت عن عبقرية لا نظير لها في عالم العلوم الطبيعية والمادية، فإنهم عندما عكفوا على الفقه ومبادئه ومقدماته، أثبتوا حقّاً ما يتمتعون به من قوة الفكر وتوقد الذهن والقابلية الممتازة»[1].

وعلاوة على ذلك، فقد استطاعت الحوزة أن تبذر بذور الإيمان في

---

(١) حديث في مراسم تعميم طلاب مدرسة الشهيد المطهري ١٣٦٣/٩/٢٠ هـ. ش.

المجتمع، وأن تحافظ على جذوة الاعتقاد الديني حيّةً في النفوس، وأن ترفع لواء الدعوة إلى الدين خفّاقاً في سماء هذه المنطقة؛ كي يسلّمه جيل إلى جيل، فتتوقف أعاصير الإلحاد والشك المدمرة والهدّامة:

«لقد مرّ أكثر من ألف عام، والمجتمع العلمي الشيعي وعلماء الدين الشيعة يمارسون عملهم بصورة طبيعية في دنيا الإسلام، أي أنه منذ بداية مرحلة الفقاهة وحتى الآن ـ وعلى مدى نحو أحد عشر قرناً ـ وعلماؤنا وفقهاؤنا وتلاميذهم والمشتغلون بتبليغ الدين ـ على تنوع المراتب والدرجات ـ لم يتوقفوا عن العمل والجد وتحمّل المشاق، فكانت حصيلة ذلك الآلاف المؤلّفة من المجلدات والمصنفات في الفقه والتفسير والحديث والمعارف والفلسفة التي هي بين أيدينا الآن.

ولكن أهم ثمار جهود وأعمال هؤلاء العلماء هي وجود ملايين المسلمين الموالين لأهل البيت والمعتنقين لمذهبهم، الذين عاشوا على مدى هذه الأعوام الطويلة وجدّوا واجتهدوا وعبدوا الله ثم رحلوا عن هذه الدنيا، وإننا اليوم قطعة أُخرى من هذا الشريط التاريخي»[(١)].

ولم يكن كل هذا الجد والعمل والاجتهاد في ظروف سهلة ومريحة، فإن القسم الأعظم من هذه الإنجازات جاء في عهود العسرة والمشقة، وكانت الحياة التي عاشها علماء الدين حياة لا تعرف الهدوء أو الاستقرار، وكان الزمان زمان السجن والفقر والنفي و...، وهو ما يرفع من قيمة تلك الجهود الشاقة ويضاعف من مسؤولية جيلنا والأجيال القادمة:

«إنّ علماء الدين الشيعة ظلوا باقين كفئة وطبقة على مدى ألف عام، فهناك نحو أربعمئة عام منها تمثل مرحلة الجهر وعدم التقية، وأما الستمئة عام

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من محافظة جهار محال وبختياري ١٣٧١/٧/١٥هـ ش.

الأُخرى فهي تؤرخ لتلك المرحلة التي عاشها العلماء في التقية والسجون والتخفّي والهجرة.

... إنكم تجدون حتى العلاّمة الحلي، أو المحقق، أو الشيخ الطوسي بما لَه من منزلة عظيمة ـ والذي لا نظير له من الناحية العلمية بين علماء الشيعة منذ البداية وحتى الآن ـ كانوا يعيشون في غاية الشظف والعناء.

لقد أحرقوا منزل الشيخ الطوسي ومكتبته في بغداد، وشردوا ذلك الرجل الذي تربّع لسنوات طويلة على أريكة التدريس في بغداد، ولذلك فقد اضطر للانتقال إلى النجف وقضى بها سنوات عديدة، وبهذا صارت النجف حوزة علمية، وإلاّ فإن الحوزة الشيعية كانت في بغداد في البداية.

لقد كانت تلك المرحلة مرحلة ضيق وشدة، ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء العلماء الحفاظ على أنفسهم»[1].

طلائع المقاومة

لقد كانت الحوزات الشيعية في طليعة النضال الوطني والديني، وإن الإنجازات والنشاطات الاجتماعية للحوزة، فضلاً عن الجهاد العلمي والحفاظ على الهوية الدينية، هي شيء لا ينسى.

لقد كان علماء الدين هم حاملوا راية الجهاد في كل نهضة قامت، فأحرزوا الانتصارات وكانوا حرس الاستقلال والشرف الوطني:

«لقد كان العلماء في مقدمة وطليعة حركة المشروطة[2] في إيران، ومن

(١) حديث في لقاء مع علماء وطلبة حوزويين من محافظة كرمان ١٣٧٠/٨/٢٠هـ . ش.

(٢) المشروطة: اسم أطلق على حركة شعبية قادها بعض العلماء، قاموا في قبال الحكومة الظالمة في عهد القاجار(الحكومة الملكية)، وطالبوا بتحكيم الإسلام وجعله أساساً لقانون الدولة، وإثر ذلك تم عقد أول جلسة لمجلس الشورى الوطني وتمت المصادقة على هذه الإقتراحات ضمن ٥٠ مادة، وقد أطلق على ذلك بالمشروطة.

قبلها حركة التنباك[1] والكفاح ضد الاستعمار الأجنبي، وكذلك كانوا في طليعة من قاموا بإيقاظ الشعب ومواجهة استبداد رضا خان [2]، ومواصلة ذلك النضال حتى بداية الثورة الإسلامية المقدسة والعظيمة، وإلاّ لما حدث هذا التقدم، فهذانِ تجربة وتاريخ لا يمكن لأحد إنكارهما»[3].

إنّ حضور أو غياب علماء الدين كان له دور مصيري في تحديد مسير النهضات، فكلما كان للحوزات وعلماء الدين حضور في الساحة كان للحركات الشعبية لون ومظهر آخر، وكلما أُبعد العلماء لسبب من الأسباب كانت تلك الحركات تتحول إلى فوضى عمياء ويؤول مصيرها إلى الفشل منذ البداية:

---

(١) بعد أن يئس الشيخ الشيرازي من تغيير موقف الشاه تجاه الامتياز ، وتدهور الأوضاع الاقتصادية للمزارعين والتجار الإيرانيين، قرر أن يسلك سبيلاً آخر، السياسة السلبية أو اللا عنف، فقرر أن يمنع الناس عن شراء واستخدام التبغ، فأصدر فتواه الشهيرة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اليوم استعمال التنباك والتتن حرام بأي نحو كان، ومن استعمله كان كمن حارب الإمام ﷺ.

محمد تقي الحائري الشيرازي

أحدثت الفتوى صدىً هائلاً في أوساط الشعب الإيراني، فاستجابت لها كل الطبقات الاجتماعية، فأصبح الامتناع عن التدخين عملاً وطنياً وممارسة ثورية وطاعة دينية واستجابة لأمر قائدها. فأقلع الجميع عن التدخين بشكل كامل، وأُغلقت محلات بيع التبغ، بل سرى الإلتزام بالفتوى حتى داخل قصر الشاه، فاضطر في النهاية إلى إلغاء الاتفاقية بعد دفع نصف مليون باوند تعويضاً للشركة.

(٢) رضا خان والد محمد رضا بهلوي الذي أسقطته الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩جاء للحكم إثر انقلاب عسكري ضد القاجاريين وقد تميزت سني حكمه بمحاولة جر إيران نحو الغرب بشكل كامل حيث منع الحجاب الإسلامي كما منع لبس العمامة لعلماء الدين.

(٣) حديث في لقاء مع العلماء والمبلغين مع اطلالة شهر رمضان المبارك ١٣٦٩/١٢/٢٢هـش .

«لقد كانت كل نهضة أو حركة أو تحوّل أو نقطة انعطاف تاريخية في بلادنا وفي تاريخنا رهينة بحضور العلماء، وبقدر ما كانت تستمر تلك الحركة كانت تحرز الانتصار الأكيد. ولكن عندما لم يكن لعلماء الدين حضور، ولم يكن دعاة الدين ومعلموا القرآن في طليعة الجماهير، ولم يتمكنوا من استقطاب الجماهير، فإن تلك النهضة يكون مصيرها الفشل.

ولهذا، فإنه عندما كانت تقوم ثورة ويكون للعلماء دور فيها، فإنها كانت تشق طريقها نحو التقدم وإحراز النتائج، وكانت تلك الثورة تحقق من الأهداف بقدر بقاء العلماء معها، ولكن عندما كان العلماء يبتعدون عن تلك الحركة، فإنها كانت تنطفئ تدريجاً كما تنطفئ الشمعة[1].

إن هذه هي تجربتنا، ولكم أن تلاحظوا ذلك سواء في عهد المشروطة، أو فيما سبقها من أحداث ـ كقضية التنباك وسواها ـ أو فيما تلاها من وقائع، فإن الأمر كان على هذا المنوال»[2].

ولم يكن حضور العلماء في الجهاد والثورة مقتصراً على القيادة والإرشاد فحسب، فكم من علماء الدين الذين ذهبوا إلى جبهات القتال، وجاهدوا وجهاً لوجه أمام العدو، فتركوا صورة خالدة مزاجها (العلم والإيمان والجهاد)[3]:

«لقد قدم علماؤنا الكثير في الماضي، وكان لهم تواجد في الحروب المختلفة، ففي ثورة العشرين «في العراق عام ١٩٢٠م» كان علماؤنا في طليعة

---

(١) شهدت إيران في مطلع القرن العشرين تضخماً سرطانياً للنفوذ الأجنبي لم يسبق له مثيل، فلقد توسع الروس في الشمال الإيراني بعد أن انتزعوا بالقوّة والقهر مناطق إسلامية واسعة كانت جزء من الخارطة الإيرانية.

(٢) حديث في حشد من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ. ش.

(٣) حروب الشعب العراقي ضد الاستعمار الانجليزي بقيادة العلماء (ثورة العشرين).

المجاهدين، وكان المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي[1] ـ الميرزا الثاني ـ ومن بعده المرحوم شيخ الشريعة الاصفهاني[2] يتولّيان القيادة في ميدان الحرب.

لقد التقيت اثنين من العلماء كانا قد التحقا بتلك الجبهة وقد ارتديا ملابس القتال وشاركا في المعارك، أحدهما المرحوم آية الله الكاشاني[3]، والثاني أحد علماء مشهد»[4].

العلماء ذخيرة تاريخية

إنّ علماء الدين المعاصرين مدينون لجهاد الحوزات الشيعية على مدى ألف عام، فهم يستمدون وجودهم من ذلك المنبع الثرّ، ويكتسبون منه قوّتهم واقتدارهم، وعن طريقه يستولون على القلوب ويعبّئون الفئات المؤمنة.

وهذه الحقيقة تنطوي على العبر وتتطلب المسؤولية:

«لقد ذهبت للقاء سماحة الإمام قدس سره قبل نحو ثلاث سنوات لأبيّن لسماحته أحد الاقتراحات، فقلت له: إنني أعتقد بأن انتصار هذا النظام ليس

---

(١) الميرزا محمد تقي بن محب علي، ولد في شيراز عام ١٢٥٨هـ. ق، وأصبح مرجعاً للشيعة بعد وفاة السيد كاظم اليزدي، توفي في كربلاء المقدسة عام ١٣٣٨هـ.ق ودفن في الصحن المطهر للإمام الحسين عليه السلام.

(٢) فتح الله بن محمد جواد قدس سره، ولد في أصفهان عام ١٢٦٦هـ.ق، وصار مرجعاً للشيعة بعد رحيل الميرزا الشيرازي، توفي في النجف الأشرف عام ١٣٣٩ هـ.ق ودفن بجوار قبر أمير المؤمنين عليه السلام.

(٣) أبو القاسم ابن السيد مصطفى، ولد في طهران عام ١٢٦٤هـ. ق، نال مرتبة الاجتهاد في الخامسة والعشرين من عمره، كان مشاوراً للآخوند الخراساني في نهضة المشروطة، توفي عام ١٣٤٠هـ ش. ودفن قرب قبر السيد عبد العظيم الحسني عليه السلام.

(٤) حديث في لقاء مع العلماء وأئمة الجمعة والجماعة من محافظة أصفهان ١٣٦٦/٩/١هـ.ش.

حصيلة جهاد علمائنا المعاصرين فحسب، بل إنّ كل ما قدمناه نحن حتى تكللت هذه الثورة بالانتصار ـ والذي يعتبر معجزة حقيقية ـ يعد من ذخائر علماء الشيعة وأرصدتهم منذ عصر الشيخ الكليني والشيخ الطوسي وحتى عصرنا الحاضر [(١)].

وفي ذلك اليوم أبدى الإمام موافقته على هذا الرأي؛ ممّا يدلل على أنّه كان يعتقد نفس هذا الاعتقاد، وهذه حقيقة» [(٢)].

إنّ الثقة التاريخية بالعلماء مردّها إلى الماضي البعيد، فلقد كان علماء الدين يتمتعون بالعلم، والحكمة، وقداسة الروح وطهارتها، وحب الناس والإخلاص، والزهد والتقوى، وعشرات الخصال الطيبة والأصيلة؛ ممّا جعل الناس يثقون بهم على الدوام:

«إنّ سمعة وكرامة هذه السنوات الألف عبارة عن ذلك الشيء الناتج عن علم وتقوى العلماء العظام طوال قرون متمادية، أي أنّ العلامة الحلي والعلامة المجلسي والشهيدين والشيخ الطوسي والسيد المرتضى والشيخ الأنصاري وعلماء النجف الأعلام وكبار علماء قم ـ المرحوم الحاج الشيخ [عبد الكريم الحائري] والمرحوم السيد البروجردي والآخرين ـ كان لهم دور في هذا الظرف الزمني.

وبعبارة أُخرى، فإن آلاف الفضلاء قضوا حياتهم في طهارة وتقوى وخلّفوا مجموعات علمية رفيعة المستوى، وصنفوا المؤلفات العلمية حتى

---

(١) كما هو الحال في حركة آية الله أبو القاسم الكاشاني والدكتور محمد مصدق في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي والتي كانت تمثل في بداية انطلاقتها أملاً للشعب الإيراني إلا أنها انتكست بعد أن ابتليت بمجموعة ممن شرب حب التغرب وتربى على الثقافة الغربية.

(٢) حديث في لقاء مع العلماء والمبلغين ١٣٦٨/٥/١١ هـ ش.

تعمّقت ثقة المجتمع والشعب بعلماء الدين بالتدريج وبشكل أساسي»[1].

وهكذا فقد بات الحب والثقة بعلماء الدين تراثاً خالداً لهذا الشعب، فكانت الجماهير تستمد منهم العون في حياتها العامة والخاصة، وكان الناس يسألونهم الهداية والمساندة ويستمعون إلى ما يقولون، حتى أنّ الأجيال تناقلت هذا الحب وهذه الثقة جيلاً بعد آخر، واحتفظت به كنقش ذهبي وألواح قيّمة:

«عندما يكون الحب مبدئياً وعميقاً فإنه ينتقل من جيل إلى جيل كالخصال الإنسانية، وذلك كحب الحسين بن علي عليه السلام أو حب أهل البيت، فهذا ليس من الأمور المتأصلة في جيل والمكتسبة لدى جيل آخر. كلا، فمثل هذه الأمور ليست اكتسابية، بل إنها تتمظهر في تعاليم الآباء، وتربية الأمهات، ومداعبة المربّين، وإنشاد المربّيات للأطفال. فمبدئية الشيء هي بهذا المعنى، وإن الإيمان بعلماء الدين في مجتمعنا كان وما زال أمراً متأصلاً ومبدئياً»[2].

إنّ انتصار الثورة كان هو الآخر من نتائج هذا الإيمان التاريخي، وإن المحللين في الخارج والداخل أعياهم الحدس والتحليل لغفلتهم عن هذه الحقيقة، ووجدوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام حقيقة لا يمكن إنكارها:

«لو لم تتوفر هذه الذخيرة الإيمانية العميقة لدى الأجيال المتعاقبة، لما كان بوسع أية قوة الإتيان فجأة بمثل هذه الثورة والأخذ بيدها إلى الانتصار»[3].

إنّ التدقيق في النقاط المذكورة يزيد من مسؤولية علماء الدين اليوم ويضاعف من رسالتهم إزاء ميراث الألم والجهاد مئات الأضعاف، وإنّ هذه

(١) حديث في لقاء مع العلماء والمبلغين مع اطلالة شهر رمضان المبارك ١٣٧١/١١/٢٥هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

(٣) حديث في جمع من علماء الدين من محافظة بوشهر ١٣٧٠/١٠/١١هـ . ش.

الثروة وهذا الذخر الذي تحقق بالجهد والعناء والحرمان والشهادة ثم صار الآن ملك أيدينا بلا مقابل، أضحى تحت رقابة عيون الجيل السابق من تحت التراب، وهي قلقة، لترى ماذا سيفعل الجيل الحالي بهذا الميثاق؛ هل سيضيف إليه شيئاً أو سيضيعه من يده؟

«إنها كرامة تاريخ علماء الدين التي وصلت إلينا تدريجياً على شكل ثقافة متوارثة فترسخت في عقول الناس وقلوبهم، وجعلت عالم الدين محلاً للثقة والاطمئنان، فينبغي عليكم الحفاظ عليها.

إنّ المرء قد يحصل أحياناً على ثروة، ثم يقول: إنني أُريد تبديد هذه الثروة، فأنا الذي حصلت عليها بنفسي، ولكن هذه الثروة تكون في أحيان أُخرى قد جمعها الآخرون، ثم وصلت ليد الإنسان، وعليه أن يوصلها إلى الآخرين، فعندئذ لا يحق له المساس بها.

إنّ ثروة كرامة واعتبار علماء الدين اليوم هي: علماء الدين أنفسهم، وتقوى علماء الدين، وحسن سيرهم وسلوكهم، وأسبقيتهم في كل الأُمور، وإخلاصهم ...»[1].

مرحلة الانقطاع

لقد بذلت الجهود الحثيثة في القرن الأخير لإضعاف ثقة الناس بعلماء الدين وتوهين حضورهم الاجتماعي، وكانت هذه الجهود تبذل من ناحيتين، فالقوى الاستعمارية والمؤسسات الاستبدادية كانت تعزف على نفس الوتر، وكانت لها أساليبها المشتركة أو المتشابهة.

إنّ القوى الاستعمارية كانت قد أدركت مدى إمكانية علماء الدين وعرفتها في قضايا عدة كـ (التنباك)، و(المشروطة)، و(نهضة الشعب

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من مدينة يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ . ش.

العراقي) وسواها، ففكرت في العمل على عزل علماء الدين للحفاظ على مستقبل قوتها وسطوتها:

«لقد سعى الأعداء إلى إبعاد العلماء عن الساحة وجعلهم يكتفون بنصيبهم من المساجد والانعزال في أركانها، ولقد نجحوا في ذلك إلى حد كبير في برهة ما من الزمان، وهي تلك البرهة التي حُرم الناس فيها من الوعي الديني والحركة الدينية العظيمة، وهذا باب يطول فيه الحديث»[1].

إنّ سياسة الحكومة البهلوية كانت تسير بموازاة سياسة القوى الاستعمارية، ولقد تكاتفت شتى الجهود للعمل على الحط من القيمة والمكانة الاجتماعية لعلماء الدين، وإظهارهم على أنهم متهافتون وضعفاء في أنظار الناس، وتعطيل أو إغلاق المراكز الحوزوية قدر الإمكان، وجعل العلماء لا يتجاوزون نطاق المحراب والمساجد، وسلبهم التفكير في أي تحرك ثقافي واجتماعي.

وكانت مثل هذه الأساليب متواصلة طوال عهد الحكومة البهلوية، وقد أسفرت عن وجهها بصراحة ووضوح أثناء حكومة رضا خان، لكنها ارتدت قناع الزيف والخداع تقريباً خلال الحقبة التالية:

«لقد كان إمامنا العظيم قدس سره **يقول: إننا لم نكن نجرؤ في تلك الأيام التي كنا نعيش أثناءها في قم نحن ومن معنا من القلائل على الظهور نهاراً في المدينة أو في المدرسة الفيضية.**

فكنا نقضي النهار في البساتين القريبة من مدينة قم ونقوم هناك بالبحث والمباحثة والدراسة، وقد كان لتلك المرحلة تأثيرها الكبير. وبهذا فقد ظلت الحوزة العلمية في قم متوقفة تقريباً نحو ثمانية أو تسعة أعوام، مما يعد

(١) حديث في لقاء مع العلماء والمبلغين مع اطلالة شهر رمضان المبارك ١٣٦٩/١٢/٢٢هـ . ش.

انقطاعاً نوعاً ما في حدّ ذاته، فالتوقف عن الدراسة لمدة ثماني أو تسع سنوات يعتبر خسارة كبيرة بالنسبة لحوزة علمية»[1].

لقد حيكت المؤامرات من أجل تشويه صورة علماء الدين وجعلهم يشعرون بالضعة والهوان ويجدون مكانتهم قد استُلبت، فيقعون نهب الاحساس بالضعف واليأس ويفقدون الأمل في مستقبل مشرق، ولا يجدون أمامهم سوى ظلمات الوهم والخوف ماثلة على الطريق، وبالتالي يبتعدون عن التفكير في معارضة المؤسسات السلطوية الزائفة، بل ولربما انضمّوا إليها، أو فضّلوا السكوت:

«لقد استمروا على مدى أربعين عاماً على وجه الدقة يعملون على الحط من شأن العلماء في أنظار الناس، وفي الحقيقة فإنهم نجحوا في ذلك... لقد كنت أحكي لبعض الإخوة اليوم أننا لم نكن نجرؤ على السير مسافة مئة خطوة أو مئة متر في أحد شوارع شيراز المعروفة عام ٣٩ ـ ٤٠ هـ. ش «٦٠ ـ ١٩٦١م» ! فلقد كانت الأجواء إلى الحد الذي لا يمكن فيها لعالم الدين أو المعمم أن يتنفس... وهكذا كانت طهران هي الأُخرى، وكذلك كانت قبة الإسلام ـ مشهد ـ وكافة مناطق وأرجاء البلاد»[2].

إنّ هذه الظروف والأحوال لم تكن طبيعية، بل كانت هناك برامج منظمة لتصفية العلماء واقصائهم، لعلّهم يستطيعون إسقاط بناء ونظام علماء الدين وتغييبه عن الساحة، أو تكريس أجواء الضغط والتضييق حتى يقوم العلماء أنفسهم بالانقطاع والابتعاد والخروج عن المعادلات الاجتماعية:

«لقد بذلت الجهود الثقافية المتواصلة على مدى سنوات طويلة لكي

---

(١) حديث في مستهل درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩ هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء الدين من محافظة فارس ١٣٦٦/٩/٧ هـ . ش.

يحطّوا من شأن العلماء في أنظار الناس، ويزيحوا هؤلاء «المزعجين» عن طريقهم... والموضوع أنه كان هناك تخطيط دقيق ومحسوب بهدف إزاحة علماء الدين عن الطريق؛ لأنهم كانوا عقبة في وجه تقدم السياسات الأجنبية والاستعمارية التي ينفذها الحكم البهلوي.

إنني لا أنسى أنهم ألبسونا العمامة منذ الصف الثاني أو الثالث الابتدائي... ومنذ أيام الطفولة وما بعدها بسنوات كانت إحدى العُقد التي تؤرقنا هي أنّ الأطفال كانوا يسخرون منّا، ويسخرون من العمامة. حتى إذا كبرنا وأدركنا بدأنا نتصوّر إلى حد ما أنّ تلك السخرية قد انتهت، ولكننا وجدنا على العكس من ذلك أننا الآن في بداية السخرية!

ومع أننا كنّا نعيش في مدينة مشهد، وكان الأمر يحتاج إلى الكثير من الوحشية والجسارة للإستهزاء بشخص عادي يسير في الزقاق أو السوق، حيث لا يتجرّأ أحد على القيام بذلك إزاء غيره من الناس، إلاّ أنّ الكثيرين كانوا يجدون لأنفسهم الحق في الإقدام على هذا التصرّف إزاء العلماء! وذلك لِما تمّ من دعاية مكثّفة»[(١)].

لقد كان النظام السابق يسعى لسلب عالم الدين الشعور بهويته، حتى يتضايق من كونه عالم دين، ويشعر بالخجل من نفسه، ويرى نفسه (مواطناً من الدرجة الثانية)، ويكون مستعداً دائماً لتلقّي الطعنات، وأن يستمع إلى الإستهزاء به والسخرية منه دون أن يتمكن من تقطيب حاجبيه أو يبدي اعتراضاً على ذلك، وهذه السياسة كانت سائدة حتى في السجن: **«في ذلك الزمان، كانوا يحاولون الحطّ من قدر علماء الدين بكل ما أوتوا من قسوة ووحشية، وكان هذا هو أحد أهم الأسباب في تجريدنا من العمامة في المعتقلات.**

---

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من محافظة هرمزگان ١٣٦٣/١٠/١١ هـ. ش.

لقد كانوا يريدون سلبنا الشعور بأننا علماء دين، كما كانوا أيضاً يحلقون اللحى ليسلبونا الاعتزاز بأننا علماء دين ويحطّوا من شأننا أمام الآخرين. وعندما كانوا يعلمون بأن هذا الشخص أو ذاك من علماء الدين فإنهم كانوا يستخدمون معه أشد العقوبات»[1].

لقد سنحت للحوزة بعض الفرص في مقابل السياسات المناهضة للعلماء، ولكنها لم تستغلّها كما ينبغي. وفي هذا السياق يمكن الإشارة إلى الأعوام من ١٣٢٠ ـ ١٣٣٠ هـ.ش (١٩٤١ ـ ١٩٥١م) التي تعد فترة هدوء ولم تكن ثمة حكومة قوية. وفي تلك الفترة كان ينبغي للحوزة أن تشدّ قامتها وتعبّر عن قوّتها واستعدادها، ولكن ذلك لم يحدث لأسباب مختلفة:

«في بداية ذهابي إلى قم عام ١٣٣٧هـ. ش [١٩٥٨م] أو ١٣٣٨ هـ. ش [١٩٥٩م]، كانت هناك موجة جديدة قد عمّت المدينة، وذلك بخصوص قضايا الحوزة والامتحانات وتعلّم اللغات الأجنبية، وكانت لنا نحن أيضاً علاقات متفاوتة مع أصحاب هذه الأفكار... وإنني لا أنسى أننا كنا نردد ونقول دائماً: الويل لأولئك الذين لم يستفيدوا من الفرصة بعد شهريور ١٣٢٠[2] **[١٩٤١] أي عندما كانت هناك حرية لعلماء الدين»**[3].



(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من محافظة كهكيلويه وبوير أحمد ١٣٦٤/٨/١٤هـ.ش.

(٢) المقصود بذلك هو يوم ٢٥ شهريور عام ١٣٢٠هـ ش، وهو اليوم الذي تم فيه تتويج محمد رضا بهلوي ملكاً على إيران.

(٣) حديث في لقاء مع علماء الدين من مدينة يزد ١٣٦٣/٨/٢٩ هـش.

المقالة الثانية

معرفة نسيج الحوزة

- شعبية الحوزة
- المستضعفون قاعدة العلماء الاجتماعية
- الحوزة والبلاط
- الاستقلال المالي
- قيادة النهضات الاجتماعية
- الاتجاه نحو العلم
- النفقة اليسيرة
- مرحلة العزلة ومرحلة الحضور

تعتبر الحوزات الشيعية مدينة بوجودها لتجربة تأريخية طويلة، فلابد من الاطّلاع عليها واكتشاف ما فيها من صعود وهبوط، والاستفادة من نقاط القوة، والاعتبار بنقاط الضعف، والعثور على منافذ وحلول، والوقاية من الآفات.

ولمعرفة هذه المؤسسة الدينية لابد من ملاحظة ما يلي:

شعبية الحوزة

لقد تحمّلت الحوزة والعلماء الآلام والأتراح مع الجماهير، فكانت تعيش معهم ملازمة لهم، تحزن لحزنهم وتتألم لألمهم، فلا تسعد وهم يكابدون، ولا تفارقهم وهم يعانون، بل كانت لا تجد سعادتها إلاّ معهم، وتقاسمهم السرّاء والضرّاء:

«إنّ علماء الدين الشيعة لهم علاقة وثيقة بالناس، وفي بلادنا ـ وبسبب العديد من العوامل التاريخية القديمة ـ جاء النسيج الاجتماعي للشعب بالصورة التي يعتبر فيها علماء الدين من أشد الفئات الشعبية أصالة والتصاقاً بالناس، حتى إن أصالة العلماء في العراق ربما لا تكون بهذا الشكل ولا بهذه القوة.

وبإمكانكم ملاحظة حياة المتديّنين، سواء في الوقت الحاضر أو في مرحلة العسرة والضيق، حتى في عهد رضا خان، وما قبله بطريق أولى، فإن حياة الناس تمتزج بحضور العلماء، أي أنه منذ اللحظة الأُولى التي يرى فيها الوليد النور، وأداء الأذان والإقامة في أذنيه اليمنى واليسرى، إلى طي مراحل الحياة المختلفة، وعقد الزواج، والاستفتاء في الأُمور الدينية، وحتى الموت،

فإن حياة الفرد تبقى مرتبطة بعلماء الدين وبكل ما يعدّ مصداقاً لهم بشكل غير قابل للإنفكاك. وأما ما هي القدرة العلمية لهذا العالم، وعلى أي مستوى، ومن أي خط، فلا شأن لي بهذا الآن.

ولقد جاء هذا التمازج بآثار وبركات عظيمة، فعلماء الدين أحسوا بآلام الناس، فاكتسبوا ثقتهم، واستمعوا دائماً إلى شكواهم، ولبوا حاجاتهم المعنوية والروحية»[1].

إنّ هذه الميزة كانت منتشرة على نطاق واسع، وباستثناء عدد قليل ومحدود ـ ممن لم تكن لهم قاعدة شعبية ـ فإن علماء الدين كانوا بمنزلة رفيق الدرب للناس في أيام المرارة والمشقة، وكانوا ملاذهم وملجأهم في زمن العسرة، وكانوا لا يتوقفون لحظة واحدة عن الإجابة عن أسئلتهم الدينية وقضاء حاجاتهم الشرعية، دون أن يحددوا وقتاً معيناً لذلك أو يمنع الناس عنهم حاجب أو حجاب، بل كانوا يضعون كل ما يعرفون وكل ما يستطيعون تحت تصرف المريدين بنيّة خالصة دون أن يمنّوا عليهم بشيء:

«عندما كنت في مشهد، كان الناس ولاسيما الشباب يرجعون إليّ في حاجاتهم واستفساراتهم، ولربما كان يأتي إليّ أحد الشباب في منتصف الليل لحاجة أو مسألة. فلقد كان باب منزلي مفتوحاً دائماً، وكنت أذهب بنفسي لاستقباله عند الباب.

إنه لم يكن لدينا وقت لأنفسنا، وكنا لا نعرف طعماً للنوم أو الراحة، وكذلك كان جميع العلماء»[2].

لقد كانت هذه الخصيصة سبباً في كسب الثقة، فرسّخت العلاقة بين العلماء والأمة، وسهّلت تعاونهما عند الأزمات.

---

(١) حديث في مجمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ. ش.

(٢) المصدر السابق.

إنّ العلماء لمسوا آلام الناس في النهضات المختلفة؛ مما جعلهم في الطليعة والمقدمة في أيام المعاناة والجهاد، ولهذا عندما كان العلماء يتعرّضون للإساءة أو للمضايقات كان الناس يسرعون بالنزول إلى الساحة ويهبّون لنجدتهم، وإن الثورة الإسلامية في إيران وما حققته من انتصار لمن ثمار هذه الصلة الوثيقة والمتأصّلة:

«إنّ الاتصال بجماهير الشعب لهي من النقاط الإيجابية لعلمائنا، فلقد كانوا يتمتعون دائماً بالشعبية، وأحسّوا بآلام الجماهير، وتعاطفوا مع الناس وعملوا من أجلهم ولم يتزلّفوا إلى أعدائهم، وهذه الميزة افتقدتها وتفتقدها جميع الأديان والمذاهب في العالم.

ولو لم تكن هذه الميزة لما أولاهم الناس الثقة، ولما هرعوا إلى الشوارع وضحوا بأنفسهم في سبيل أهداف هذه الثورة، ولما عرضوا أنفسهم للخطر»[1].

ويقول في حديث آخر:

«إن الشعبية والتحرك خطوة خطوة مع الجماهير تعتبر من الخصوصيات التي جعلت هذه الثورة تحقق الانتصار في هذا البلد»[2].

المستضعفون قاعدة العلماء الاجتماعية

لقد كانت الحوزات الشيعية على صلة دائمة مع جماهير الشعب المستضعفة والمتوسطة، فكانت تعيش معهم، وتشاطرهم آلامهم وتسعى إلى العثور على طريق حل لها.

إنها لم تفضّل معاشرة الأغنياء وملاّك الأراضي والنبلاء، ولم تتمسّح على أعتابهم أو تدقّ أبوابهم رغبةً في صلتهم، وإذا شذّ أحد عن ذلك فإنه

---

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من طهران وقم ١٣٦٨/١٢/٢هـ.ش .

(٢) حديث في لقاء مع علماء الدين وطلاب الحوزات المتوجهين إلى الجبهات ٨/٢٦/ ١٣٦٦هـ.ش.

سيكون مبغوضاً عند العلماء وطريداً من المجتمع:

«لقد كان للعلماء على طول التأريخ صلة بالضعفاء من طبقات الشعب، فلقد كنّا نذهب إلى القرى ونعاشر القرويين، وإذا ما كنّا في المدن فإن صلتنا كانت مع الكسبة من الفئات المتوسطة والمظلومة.

إنّ العلماء لم يستطيعوا التصالح أبداً مع الأفظاظ، طبعاً كان هناك عدد من علماء الدين ينتمون إلى تلك الطبقات الممتازة، فالحمائم مع الحمائم والصقور مع الصقور، لقد كانوا هم انفسهم من الصقور وأوفياء لهم وللنسور، كانوا لهم رفاقاً وناصرين...

وأما نحن.. فلقد كنت أنا طالباً منعزلاً في مشهد، وكذلك أمثالي من الطلبة وعلماء الدين ممن كانوا يقيمون الصلاة في أحد المساجد في طهران، أو في زاهدان، أو في زابل، أو في أي مكان آخر من إيران، فمع من كنا محشورين؟ لقد كنا محشورين في أوساط تلك الطبقات الضعيفة والمستضعفة»[1].

الحوزة والبلاط

إنّ الحوزة الشيعية لم تتمسح على أعتاب الأجهزة الحاكمة، فلقد كانت إمّا على جبهة النضال وإمّا صامتة على أقل التقادير. وكانت الصلة مع البلاط تضعف من شأن ومكانة عالم الدين وتسقطه من أنظار الحوزة والمجتمع:

«أيّها الإخوة الأعزاء، إن من خصوصيات علماء الشيعة أنهم كانوا دائماً مع الناس، فكل من ابتعد عنهم سقط من السلك العلمائي. ولقد كان لدينا في الماضي نماذج كرئيس العلماء، والـ (عالم باشي)، والعلماء المتنفذين الأثرياء

(١) حديث في جمع من علماء الدين من زابل ١٣٦٥/٢/٩ هـ . ش.

الذين يحملون عناوين وأسماء مختلفة ممن كانوا تابعين للأجهزة الحاكمة وبعيدين عن الناس، فهؤلاء كانت لهم مكانة ومنزلة، ولكن عند الحكام، وليس عند الناس.

لقد كان لدينا علماء دين في كل مكان من هذا البلد، وكان بعضهم من العلماء الكبار والفضلاء والمجتهدين وذوي المكانة العلمية، ولأنهم لم يكونوا مع الناس بل كانوا مع الأجهزة الحاكمة ـ وكان الناس يبغضون الأجهزة الحاكمة ـ فإنهم كانوا إذا أمّوا الصلاة في أحد المساجد لا يأتمّ بهم سوى عدد من المصلّين لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة!

إنّ العالم الذي كان يتمتع بالتقدير والاحترام هو ذلك الذي كان مع الناس، وهذه هي طريقة علماء الشيعة»[1].

لقد كان إقبال المجتمع على عالم الدين بقدر إعراضه عن البلاط وجهاز السلطة، فالمسافة بينه وبين الأجهزة الجائرة هي ميزان رفعته أو انحطاطه، فتجنّبه للبلاط يزيد من شأنه وحرمته، وموقفه المناهض له يضفي عليه عظمة وقدسية:

«لقد كان هناك نوع من التوازن والنسبة العكسية بين الارتباط بالناس والارتباط بالأجهزة السلطوية، فكل من كان له صلة من العلماء بتلك الأجهزة لم تكن له شعبية، وأما من كان له ارتباط بالناس فإن الأجهزة الحاكمة لم يكن لها شأن به ولم يكن له شأن بها.

وكانت الغالبية من النوع الثاني، أي أنّ الذين كان لهم ارتباط من العلماء بأجهزة السلطة كانوا قلّة نادرة»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع أئمة الجمعة والجماعة من محافظة أصفهان ١٣٦٦/٩/١هـ. ش.

(٢) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ. ش.

الاستقلال المالي

لقد أصبح أفراد المؤسسة العلمائية المسيحية من الأثرياء ومن ملاّك الأراضي، وكانت الكنيسة متحالفة مع إقطاعيّي القرون الوسطى الكبار، ومع أنها لم تكن مفتقرة إلى الحكومة أو الشعب وكانت تعيش في بحبوحة وثراء ذهبي، فإنها لم تكن تستمع إلى شكوى الجماهير وآلامها، بل إنها نفسها كانت جزءاً من آلام الناس.

وأما المؤسسة العلمائية السنية، فمع أنها لم تكن مستقلة ماديّاً إلاّ أنها ارتبطت في معيشتها بالحكومات، فكانت ترتزق منها وتحصل منها على راتبها، وبهذا كانت تقوم بامتداحها أو تخلد إلى الصمت.

ولكن المؤسسة العلمائية الشيعية لم تكن تقترب من الحكومات ولا تجلس إلى موائدها العامرة بما لذّ وطاب، بل كانت تجلس إلى مائدة الطبقات الاجتماعية المستضعفة والمتوسطة، وتزوّدها بالعلم وتمدّها بالمعرفة.

لقد كانت تقطع طريقها وهي تعيش في حصانة وقناعة، حتى إذا ما أغاروا على تلك المائدة فإنها كانت تشاطر المستضعفين آلامهم وتواجه المُغيرين:

«لقد كانت إعاشة العلماء ـ من سهم الإمام إلى أنواع المعونات المالية الأُخرى ـ تقع على عاتق الناس، حيث كانوا قد صاروا مزيجاً واحداً مادةً ومعنى»[1].

إنّ النظام المالي المذكور (أي إدارة حياة الحوزة عن طريق الوجوه الشرعية) كان من خصائص علماء الشيعة، وهم يتميزون بذلك عن علماء السنة:

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ . ش.

«إنّ علماء أهل السنة لا شأن لهم بالناس من الناحية المالية، ولا يتلقّون منهم أي دعم مالي، فهم يؤمّنون معيشتهم من قنوات أُخرى. وأما نحن علماء الشيعة، فإننا نستمد أموالنا من الناس أساساً وهم الذين يدبّرون معيشتنا... وإننا قد ظهرنا كفئة مشخصة منذ البداية في تأريخ بلدنا، فلم يكن لنا شأن إلاّ مع الطبقات المتوسطة»[1].

وفي مثل هذه الظروف كان العلماء يشاطرون الناس آلامهم ويستمعون إلى شكواهم، فيهرعون إلى طريق الإصلاح ويبذلون قصارى جهودهم ويضحون بأنفسهم وكرامتهم:

«إنّ العلماء كانوا مزيجاً واحداً ماديّاً ومعنويّاً، ومن مميزات هذه الظاهرة أن أغلب الحركات التي تشاهدونها في أوساط العلماء ـ الحركات العامة والإصلاحية ـ كانت في سبيل مصالح ومنافع عامّة الناس»[2].

قيادة النهضات الاجتماعية

لقد كانت الحوزات الشيعية في طليعة النضال الشعبي، فواجهت الطغاة ورفضت تسلّط أرباب السلطة:

«إنّ من الخصائص البارزة للحوزات العلمية الشيعية أنها لم تصدّق كلام أولياء الأُمور من الظلمة والمستكبرين والعتاة والمتجبرين وأمثالهم. وفي ذلك الزمان الذي كان فيه الآخرون يجالسون أُولي الأمر المزيّفين ويجارونهم، فإن علماءنا كانوا يعيشون إمّا في الخفاء أو في التقية؛ لأنهم لم يكونوا يرغبون في مساومة أُولئك الخبثاء والفاسدين من أولياء الأُمور»[3].

---

(١) حديث في جمع علماء الدين من زابل ١٣٦٥/٢/٩ هـ . ش.

(٢) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ . ش.

(٣) حديث في جمع من طلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١ هـ . ش.

وبهذه الروح، فإن علماء الشيعة كانوا في صدارة الكفاح ضد الاستبداد والاستعمار، وإنّ النهضات الاجتماعية في هذه المنطقة استهلّت مسيرتها بقيادة العلماء، فاتّسع نطاقها وسجّلت فصلاً ذهبياً من تأريخ مقاومة هذا الشعب:

«بقدر ما كانت تتميز به كافة النهضات والحركات والتطورات ونقاط الإنعطاف التأريخية في بلدنا وتأريخنا ذات الحضور العلمائي من تواصل وديمومة، فإنها كانت تحقق الانتصار الأكيد... لقد أثبتت تجربتنا التأريخية في كافة القضايا أنّ حضور العلماء أو غيابهم هو الذي يقرر المصير»(١).

الاتجاه نحو العلم

إنّ التفكير في تحصيل المعاش يعدّ عيباً في نظام الحوزة، وإنّ التحصيل الدراسي من أجل الدخل المادي يعتبر منقصة. فالتحرّق للدين هو ما ينبغي أن يجذب (الطالب) نحو (الحوزة) ويجعله يحطّ الرحال في هذا الوادي، وحتى أُولئك الذين لا يشعرون بهذا التحرق ثم قذفت بهم الأقدار إلى هذا الميدان فإنهم يأبون أن تجري على ألسنتهم كلمة تحصيل المعاش.

ومع أنّ حب الدنيا، والتطلّع نحو المنصب، والرغبة في الحصول على الدخل المادي وسواها لا تعدّ عيباً أو منقصة لدى أية فئة وفي أي عمل ـ لأن ذلك من لوازمه ـ إلاّ أنّ ذلك في النظام الحوزوي يُسقط الشخص من أنظار أترابه، وكذلك من أنظار الناس:

«طبيعة شخصية عالم الدين أنه لا يفكر ببطنه وغذائه وتأمين معيشته؛ لا لأنه ليس لديه بطن، أو لأنه لا يتناول الطعام، أو لأنه لا يريد أن يمتلك منزلاً، ولكن هذا هو الفرق بين الكسبة والعلماء.

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ . ش.

فعندما يسألون أحد الكسبة: لماذا اخترت هذا العمل؟ فإنه يجيب: لأن دخله أفضل، ولا أحد يلومه على ذلك. ولو سألوا تاجراً: لماذا اخترت هذا النوع من التجارة؟ فإنه يقول: طبق المحاسبات فإن ربح هذا النوع أكثر من الأنواع الأُخرى، فهل تلومونه ـ أنتم العلماء وأهل الله ـ على ذلك؟

إنكم لو سألتم موظفاً في إحدى الدوائر أو غيرها نفس السؤال السابق لأجابكم بأن راتبي يبلغ هذا القدر، وإنني الآن أسعى للحصول على شهادة دراسية أعلى حتى يزداد راتبي، أي أنّ كافة الجهود منصبّة على الدخل المادي. ولكن طالب الحوزة لا يقول إنني أدرس هذه المادة العلمية لأن دخلها أكبر، فمثل هذا الكلام لا معنى له أصلاً، وليس مفهوماً ولا معقولاً.

ومن الممكن طبعاً أن يذهب أحد الطلبة لبعض الدروس أو إلى منزل شخص من الأشخاص من أجل المادة أو الراتب، ولكن مثل هذا العمل ممنوع ويعتبر من قبيل التهريب. فلو علم أحد أنّ شخصاً معمماً يدرس من أجل المادة، أو يسافر من أجل جمع المال، أو يتصرف أو يتودد إلى الآخرين طمعاً في الناحية المادية، لَلامه اللائمون»[1].

وهناك أيضاً مظاهر أُخرى لحب الدنيا، ولكن حب الشهرة والمنصب وما إلى ذلك يحطّ من شأن ومنزلة عالم الدين ويسقطه من مكانته الاجتماعية:

«لقد تعلّمنا من الحوزة العلمية وقرأنا في كتاب «آداب المتعلّمين» أنه لا ينبغي للإنسان أن يحصّل العلم من أجل الحصول على المناصب، فمن العار على طالب الحوزة العلمية أن يدرس بهدف الوصول إلى المنصب المادي، وإن كان ذلك لا يعدّ عيباً أبداً في الأوساط والمحافل الأُخرى والمجامع

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من نوشهر ١٣٧٢/١٢/٨ هـ . ش.

العادية، فيمكن للإنسان أن يدرس من أجل الوصول إلى المنصب أو الحصول على المال، بل ويعتبر ذلك أمراً محموداً... وهذا هو الفرق بين مؤسستنا العلمية والمؤسسات العلمية وغير العلمية الأُخرى»[1].

النفقة اليسيرة

إنّ التناسب بين (النفقة ـ رأس المال ـ والقوة البشرية والانتاج) لمن الأشياء التي تبيّن خصوصية الحوزة وتميّزها عن المؤسسات الأُخرى، فأصالة القيم الأخلاقية في الحوزة كالزهد والقناعة وصفاء الطبع وغيرها من السجايا الأخلاقية تحدّ من طبيعة الجشع الانساني، وإنّ وجود القدوات الزاهدة والمُتّقية في الحوزة تجسّد هذه الأصالة، وتجسّد القيم السماوية على الأرض وتخلق نماذج السلوك.

ومن ناحية أُخرى فإن عدم الاعتماد على دخل مادي مستقل ودائم يعزز من روح (الاقتصاد في المعيشة)، ويحول بين عالم الدين وبين الإسراف والتبذير وتبديد ما عنده من إمكانات ودخل مادي.

وبصفة عامة، فإن هذه الظروف الأخلاقية والاجتماعية تجعل من حياة طالب الحوزة حياة متميّزة بالبساطة والكفاف والقناعة، وتدفع بالمراقب الواعي والمحايد إلى الاقتناع بحقيقة أنّ الحوزة تنفق نفقات ضئيلة جداً بالمقارنة مع القوة البشرية ومستوى الانتاج، وهي نفقات لا يمكن مقارنتها مطلقاً بنفقات أيّ من الوزارات المماثلة:

«إنّ الناس لا يعرفون حقيقة ما يبذل في الحوزة العلمية من جهود علمية قيّمة ونفيسة، وما يُنجز من أعمال قيمة في مختلف التخصصات المهمة. إنهم

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ . ش.

لا يعرفون أنّ الذي يحدث في الحوزة العلمية لا يكلّف سوى القليل جداً من الناحية المادية والمالية.

إنّ الكثير من أعمال ونشاطات الحوزة ذات تكلفة مادية قليلة، وإنّ مثل هذه الانجازات لو أُريد تحقيقها في الأجهزة والمؤسسات الأُخرى ـ كالدوائر والجامعات والوزارات وسواها ربما كلّف الأمر خمسة أو عشرة أضعاف ما يتكلفه في الحوزة.

إنّ طبيعة الحوزة دأبت على القناعة وعدم الاكتراث بظواهر الإنفاق المادي العديم الجدوى والفائدة، ولكن غالبية الناس لا يعرفون ذلك»[1].

مرحلة العزلة ومرحلة الحضور

لقد قطعت الحوزات الشيعية مرحلتين حسّاستين من مراحل التأريخ كان لكل منهما آثار مختلفة على الحياة الفكرية والدينية، وهاتان المرحلتان عبّر عنهما سماحة القائد بمرحلتي (العزلة) و(الحضور):

١ ـ مرحلة عزلة علماء الدين:

مع أنّ الحوزات الشيعية كان لها موقع سياسي واجتماعي في هذه المرحلة، إلاّ أنها كانت بعيدة عن موقعها في تدبير وإدارة المجتمع، ونتيجة لذلك فإن المباحث الفقهية والكلامية وسواها لم يكن لها تجسّد عملي. ومع رواج المؤلفات الفقهية القيّمة، والأبحاث الكلامية والفلسفية وغيرها، إلاّ أنها كانت بعيدة عن نطاق الحياة الاجتماعية.

وقد استغرقت هذه المرحلة تقريباً القسم الأعظم من عصر الغيبة وحتى العصر الحاضر (حاكمية النظام الإسلامي):

(١) حديث في مستهل درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ . ش.

«إنّ مرحلة العزلة هي تلك المرحلة التي لـم يكـن فيهـا للحـوزات العلمية أي تأثير على حياة الناس، أي أنّ نشاط الحوزة العلمية لم يكـن لـه أية صلة بطريقة حياة الناس، فلقد كانـت الحكومـات تـأتي فتعمّـر المدن أو تخرّبها وتقود المجتمع نحو الجهة التـي تريـد بفعـل سـلطتها السياسية، ولم تضطلع الحوزات العلمية وعلماء الدين طوال هذه الحركة العامة إلاّ بدور جزئي وفرعي. ولربما كان هناك بعض العلماء مـن ذوي القدرة الفكرية والعلمية والروحية، وكانت الظروف حينها مؤاتية، فكـانوا يستطيعون التأثير بشكل أفضل.

ولكن على أية حال لم يكن نظام المجتمع بذلك الذي يستقي ويـسترشد حقاً بالحوزة، وبما تقوم به هذه المؤسسة من نشاطات.. إن الأُمور كانت تسير طبقاً للمطامع والأهواء والمشاعر الشخصية.

كان هناك سلاطين ومستبدون، وكان هناك أيضاً علماء لكن فـي عزلـة، يقومون بهداية الناس على الصعيد الروحي أو الفردي»[1].

وبهذا برز (الفقه الفردي) و(الشريعة المغلوبة) إلى ساحة الوجود، فلقـد كانت هناك سلسلة مـن الـسلاطين تأخـذ بزمـام المجتمـع وتقـود أحكـام الشريعة إلى النطاق الضيّق للحياة الفردية:

«إننا لم ننظر للفقه على طول الزمان كشكل وقالب للحكومة، فلقـد كنّـا مجموعة من الرعايا في العهود السابقة، وكانت الحكومـات تفعـل مـا تريـد وتستدر بقرتها الحلوب.

وأما نحن فقد كنّا نعيش داخل الإطار الذي رسمته الحكومات ونتحـرك في تلك الحافلة أو القطار الذي أَركبوا فيه الجماهير وقادوهم نحو الجهة التي

---

(١) حديث في مـستهل درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ. ش.

يرغبون ـ كنّا داخل هذا القطار، في الوقت الذي كنا نتحرك فيه ـ نسعى بالإضافة للعلاقات الشخصية بين الأفراد والمسافرين الى أن نعلمهم ما تيسر من العلم. لقد كان فقهنا على هذه الشاكلة خلال القرون الأخيرة على الأقل»[1].

ومع ارتباط المجتمعات الإسلامية بالحضارة الجديدة والسلطة الاستعمارية الغربية اتّسع نطاق هذا الانفصال، فقد ظهرت القوانين الغربية وما يتناسب معها من أجهزة حاكمة، فزادت الهوّة بين الحوزات الشيعية وبين المجتمع أكثر من ذي قبل، وأبعدت عن تدبير وإدارة شؤون المجتمع؛ فقبل ذلك كان علماء الدين يتولّون إدارة المجتمع بما فيه من متغيرات، وذلك عن طريق المحاكم الشرعية وبعض المناصب العرفية، ولكن هذه الأرضيات أخذت في الانحسار هي الأخرى في ظل الأوضاع الجديدة:

«بعدما أخذ النظام الاجتماعي شكلاً منظماً في القرن الأخير[2] وسُنت القوانين إلى حدٍّ ما وانتظمت الأجهزة الحاكمة، جاء إلى إيران نوع من الانضباط السياسي والاجتماعي جرياً على أُسلوب الديمقراطية الغربية. وفي ذلك الوقت زادت عزلة العلماء، لأن الجدل كان دائراً حول سنّ القوانين، وهو ما لم يكن للعلماء دور فيه.

والكلام هنا لا يدور حول العلماء وشخصية العلماء، بل المقصود هو أنّ الفكر الديني والفقه الديني والحكمة الدينية والهداية الإلهية لم يكن لها دور في الحكومة.

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٢) القرن العشرين.

إن قوانين الجامعات والخدمة العسكرية والحرب والسلام والسياسة الخارجية والمال والمصارف والأُمور الاقتصادية والمالية وسواها من القوانين الأُخرى في البلاد كانت توضع دون أن يكون لها مع الدين صلة.

ولكن بعضاً من القوانين ـ وهي التي تندرج في إطار القانون المدني ـ كان لها ارتباط بالدين، إلاّ أنه ليس بالإمكان القول: بأن الفكر الحوزوي كانت له علاقة بهذه القوانين، فالقانون المدني تمّ اعتماده وأصبح نافذاً في الحياة العملية.

وبالطبع فقد كان للعلماء الكبار والفقهاء والباحثين آراء ونظريات عديدة حول هذا الموضوع، ولكن دون أن يكون لذلك أي تأثير على هذا القانون.. لقد كان لعلماء الحوزة أبحاث حول الإرث وعقد النكاح والطلاق والحضانة وسواها من المسائل، ولكن هل كان هذا القانون يتغيّر أو يتبدّل؟ وهل كانوا يسألون الحوزة عن رأيها حول الحضانة مثلاً؟! كلاّ أبداً، فلقد كانت الحوزة منحّاة جانباً، وكان العمل يتم بموجب ذلك القانون»[1].

٢ ـ مرحلة حضور علماء الدين:

لقد عاشت الحوزة والعلماء عصراً جديداً مع استقرار حاكمية النظام الإسلامي، وأصبحت الحوزة هي المرجع الفكري والنظري للنظام الإسلامي. وبهذا فإن ظهور الثورة الإسلامية في إيران يعتبر بداية فصل جديد في تأريخ الحوزات، بداية تستطيع إضافة المزيد؛ وذلك لثراء الموضوعات وعمق الأبحاث وإيجاد رابطة خلّاقة بين النظرية والتطبيق:

«وأمّا المرحلة الأُخرى فهي مرحلة الحضور، وهي مرحلة عصرنا هذا، أي سنوات ما بعد الثورة، فما معنى مرحلة الحضور؟

---

(١) حديث في مستهل درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

إنه لو استجدت الآن مسألة في هذا البلد، أو طرأ سؤال قانوني مثلاً فيما يتعلق بالقضاء أو الدراسة أو الجهاد والحرب والسلام أو السياسة الخارجية، أو واجهتنا معضلة، فإن أول سؤال يقدح في ذهن المسؤولين هو: ما رأي الإسلام وما هو حكم الله في هذا الموضوع؟ فواضح أنّ محور حكم الإسلام هو الحوزات العلمية وعلماء الدين والفقهاء العظام.

إذاً، فالحوزة لها حضور، أي أنّ هذه المرحلة هي مرحلة حضور الحوزة، ومرحلة الاستفسار والاستفهام والاستعلام من الحوزة»[1].



(١) المصدر السابق.

المقالة الثالثة

نشاطات الحوزة

- ❖ عرض الإسلام الأصيل
- ❖ الجهاد من أجل الشعب
- ❖ تربية أفراد المجتمع
- ❖ الثورة واتساع نطاق نشاطات الحوزة

لقد كان للحوزة وجود مبارك ومثمر في تأريخ بلادنا، كما كان للمؤسسة الدينية وعلماء الدين حضور محسوس وملموس في آفاق الحياة الاجتماعية، وبصفة عامة فقد استطاعوا إثبات ضرورة وجودهم وبقائهم.

وفي هذا الإطار يمكن الإشارة إلى المحاور الآتية:

عرض الإسلام الأصيل

إنّ الحوزة هي منبع الفكر الديني الأصيل، فكل تيار لم يشرب من هذا النبع أو ابتعد عنه صار عرضة للتزلزل والانحراف، وبالعودة إلى تأريخ بلادنا تتضح هذه الحقيقة. وإن اتجاهات كالصوفية، والبابية وغيرها من الفرق الدينية لم تخطئ أهدافها إلاّ بعدما نأت عن نطاق الفكر الحوزوي، وسقطت في شرك الإيمان الكاذب بالنفس والانفصال عن التيار العام للفقاهة الحوزوية.

وهذه الانحرافات لم تكن قليلة في القرن الأخير[1]، وكم من الجماعات الدينية والأشخاص المتدينين الذين لم يأبهوا بتلك الحقيقة أُصيبوا بالفشل الذريع واصطدموا بالعواقب الوخيمة والمخجلة، فلقد امتزج الشعور الكاذب بالاستغناء، مع سوء الظن الذي أُشيع حول الحوزة والعلماء، وغير ذلك من العوامل الأُخرى؛ ممّا أدى بهم إلى الانفصال عن علماء الدين وبرّر لهم نظرية الإسلام بلا علماء!

وفي البداية كانت زاوية الانحراف تبدو ضيّقة، ولكن مرور الزمان وشدة الابتعاد عن الحوزة والعلماء وسّع من نطاق الانحراف، حتى أسفر عن جماعات محاربة ومثيرة للفتن.

---

(١) القرن العشرين.

إنّ هذا الخطر مازال ماثلاً، وعلى أُولئك الذين يشعرون ويفكرون في الدين والدعوة إلى الإسلام أن يأخذوا هذا الخطر مأخذ الجد ويعلموا أنّ الانعزال والابتعاد عن الحوزة لـه آفات عظيمة.

وكما هو شأن الإمام الراحل، فإن سماحة القائد يؤكّد من هذه الزاوية ضرورة الحضور والارتباط مع الحوزة وعلماء الدين:

«إذا ما تصور أحد أن بمستطاع أحد غير المجتمع العلمي لعلماء الشيعة سبر أغوار القرآن والاسلام وزرع الإيمان والعقيدة في قلوب الناس ورفع راية الإسلام في العالمَ فإنه مخطئٌ»[1].

أو كما يقول سماحته في موضع آخر:

«إنّ الذي يتحدث عن إسلام بلا علماء، فإنه لا يريد الإسلام، بل يريد خليطاً من بنات أفكاره وأذواقه وآرائه الشخصية بدعم من الكتاب والسنة، فلو وقف أحد العلماء على ذلك لخالفه ولقال لـه: إنّ هذا ليس هو معنى القرآن والسنة، بل إنه التقاط.

ولكن عندما لا يكون ثمة أحد من علماء الدين، فإن ذلك الشخص سيقول كل ما يحلو لـه بحرية وراحة بال.

إنني عندما أقرأ أحياناً لقاءات ومقالات بعض هؤلاء من مدّعي الإسلام ـ الإسلام الحديث، والإسلام الجديد، وعدا ذلك من مختلف الأسماء التي وضعوها للإسلام ـ فإنني أشعر بالتعجب والأسف؛ لأن هؤلاء لا يعرفون حتى آية واحدة من القرآن، ولكنهم مع ذلك يستندون في أحاديثهم إلى القرآن والسنة ونهج البلاغة!

---

(١) حديث في لقاء مع العلماء العائدين من الأسر ١٣٦٩/٨/٥هـ ش.

ولأن الخبير بهذه المسائل هو عالم الدين، فإنه يتقدم ويقول: إنكم مخطئون، فهذه الآية لا وجود لها في القرآن، إنّما هي منزّلة عليكم أنتم، لذلك فهي ليست حجة علينا وعلى سائر المسلمين؛ لأنها ليست آية قرآنية، ولم تنزل على قلب رسول الله! ولكي لا يسبب لهم عالم الدين هذه المشكلة، فإنهم يقولون: إسلام بلا علماء»[1].

الجهاد من أجل الشعب

إنّ الحوزة لم تعتبر نفسها محدودة ومحصورة في قالب مؤسسة تعليمية، ولم يكن الأمر هكذا أن تعتبر واجبها ورسالتها مجرد التعليم والتعلّم ومن ثم التبليغ في النهاية، متجاهلة آلام ومتاعب المجتمع الذي تعيش فيه، فهذا القول هو الحد الفاصل بين الحوزة والمؤسسات التعليمية المماثلة، وهو ما يميزها عن غيرها ويضفي عليها صبغة خاصة.

إنّ غاية المسؤولية بالنسبة للمؤسسات الأُخرى هو الارتقاء بالمستوى العلمي في داخلها وخارجها دون الاحتكاك بالمشاكل المعيشية والحياة الاجتماعية.

وفي ضوء هذه الملاحظة، تتمتع الحوزة بخصّيصة واضحة تميّزها عن المؤسسات الدينية المماثلة، فإنّ رجال الدين سواء في المسيحية أو في مذاهب أهل السنة لا شأن لهم بمشاكل الناس المعيشية، وعندما يحدث ذلك أحياناً فإنه استثناء وليس قاعدة، فحياتهم المؤسساتية وطبيعة معيشتهم لا تقتضيان ذلك:

«لقد كان علماؤنا يعملون دائماً ويكدحون من أجل الناس، كما كانوا يكابدون المشاق، ويكافحون الفقر، ويهرعون إلى غوث المحتاجين.

---

(١) حديث في لقاء مع العلماء العراقيين المقيمين في قم ١٣٦١/١/٨هـ ش.

وإنني لا أُريد القول بأن هذه قاعدة عامة لا تقبل التخصيص أو الاستثناء، ولكنهم كانوا يدأبون بشكل أساسي على إعانة الفقراء والطبقات الشعبية الضعيفة، وكانوا يقفون بوجه الطغاة والملوك والسلاطين من أجل رعاية هذه الطبقة، وهذا ما كان يشتهر به علماؤنا في الأساس»[1].

التربية الروحية في المجتمع

إنّ للحوزة والعلماء دوراً أساسياً وعظيماً في النظام الأخلاقي والمعنوي لأبناء شعبنا، ففي أوقات الاستقرار والرخاء كان للعلماء دور مؤثّر بما يتمتعون به من عطف ونفوس طيبة وأرواح نقية، حيث استطاعوا الاستعانة بما عندهم من طلاوة الحديث ودفء الكلمات وخلوص النية أن يزرعوا الخلُق الحميد والروح المعنوية في نفوس المخاطبين، وأن يعطّروا بالشذى أجواء هذه البلاد، وأن يرسّخوا فيها قيماً وسلوكيات من قبيل روح المناجاة وحب أهل البيت عليهم السلام والتضرّع والإنابة وسواها من عشرات الصفات الأُخرى.

ومع ذلك فإنه لا يمكن إنكار بعض القصور والتقصير من قِبَل المؤسسة الدينية في أوقات القلاقل والشدائد، وهو موضوع آخر سنتحدث عنه لاحقاً.

وبأخذ هذه الملاحظة بنظر الاعتبار، فإن سماحة القائد يعتبر أنّ مسؤولية تربية الأفراد هي واحدة من المسؤوليات الأساسية التي تقع على عاتق النظام الحوزوي، بل ويرى أنّ هذا الواجب بات مضاعفاً في الزمن الحاضر ـ أي بعد الثورة ـ وأنه شرط أساسي لتحقق أهداف الثورة:

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من بوشهر ١٣٧٠/١٠/١١ هـ. ش.

«إنّ أهداف الثورة تتحقق بصورة كاملة عندما يتحوّل أفراد المجتمع إلى سلمين ومؤمنين حقيقيين، فجزء من الإسلام يتعلّق بسلوك الناس حيث يحدد ويرسم نظامهم الاجتماعي العام وحركتهم الشاملة ويدفعهم إلى الحركة والسير، وأمّا الجزء الآخر فيتعلق بعقائد الناس وروحهم المعنوية وسلوكياتهم الشخصية.

فإذا لم تستطع ثورتنا العظيمة انتشال أفئدة الناس وطبائعهم وحقيقتهم من مستنقع التنشئة الخاطئة التي خلّفها الماضي البعيد وتبديلهم إلى مسلمين، فإن التوفيق لم يحالفها وإن ثورةً لم تقع أصلاً. وإذا لم يتواصل ما وقع ولم يتأصل ويتعمم ويحتضن الجيل الحاضر والأجيال القادمة، أو إذا كان دعاة الإسلام يرفعون من الإسلام والجمهورية الإسلامية والحاكمية شعاراً ولكن حقيقة القضية وواقع حياة الناس شيء آخر ـ لا سمح الله ـ فكأنّ هذه الثورة لم توفق في الماضي والحاضر، نعوذ بالله من أن يحدث مثل هذا الأمر.

فعلى كافة الأجهزة وجميع الأشخاص، ولاسيّما العلماء الأعلام وطلبة العلوم الدينية، أن يبذلوا قصارى جهدهم لتربية نفوس الناس وإحداث ثورة قلبية وأخلاقية في داخلهم، خصوصاً الشباب»(١).

الثورة واتساع نطاق نشاطات الحوزة

تتمثل نشاطات الحوزات العلمية في ثلاثة أُمور تاريخية هي: (عرض الإسلام الأصيل، والجهاد من أجل الشعب، وتربية أفراد المجتمع).

ولكن هذه الأُمور الثلاثة لم تكن دائماً على مستوى واحد، ففي تاريخ علماء الدين إلى ما قبل قيام الثورة الإسلامية في إيران، كانت دائرة مسؤولية وعمل الطالب الحوزوي ـ والمؤسسة الدينية بصفة عامة ـ محدودة وتتصف

---

(١) حديث في لقاء مع أعضاء مجلس الخبراء ١٣٦٩/١٢/١هـ. ش.

بالقناعة التامة، حيث كان أقصى ما يحلم به ويتطلّع إليه الطالب هو الوصول إلى المرجعية، وكان ذلك متوقفاً عند حدود طبع الرسالة العملية وتحصيل الوجوه الشرعية والإدارة الضيّقة والمحدودة لحياة الحوزويين.

وفي مراحل أُخرى كان عالم الدين يقنع بأن تكون له حلقة للتدريس، أو إمامُ جماعةٍ في أحد المساجد الصغيرة، وغير ذلك:

«إنّ حدودَ عمل عالم الدينِ من الطراز الأول في تبريز كانت لا تتجاوز أحد المساجد، فحدود عمل جَدّي ـ الذي كان من علماء الدين المعروفين والفضلاء ـ كانت هي المسجد الجامع ظهراً ومسجد حارة «أهل قره باغ» في المساء. وكان لهذا السيد بعض المريدين من أهل السوق والكسبة وعامة الناس هنا وهناك»[1].

وفي ذلك الزمان، كانت العلوم والمعارف الحوزوية منحصرة في النطاق الداخلي للحوزة دون أن يكون لها صدى خارجي، فعلوم الفقه والفلسفة والتفسير والعرفان وغيرها لم يكن لها وجود خارج المحافل الإسلامية، كما لم يكن لها ظهور ملموس داخلها، وكما يقول سماحة القائد:

«إنّ بعض هؤلاء على طول التاريخ أمضوا حياتهم في العزلة، وقضوا نحبهم أيضاً في العزلة.. وأما البعض الآخر ممن سنحت لهم الفرصة، فقد استطاعوا تربية نحو ثلاثين أو خمسين أو مئة تلميذ خلال عشرين أو ثلاثين عاماً قضوها في التدريس. لقد كانت هذه هي حدود نشاطهم، ومنهم ـ لاسيما في القرون الأخيرة ـ من وصل إلى درجة المرجعية العامة، كالمرحوم الميرزا الشيرازي، والمرحوم الآخوند الخراساني، والمرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني، والمرحوم آية الله العظمى البروجردي، والمرحوم الشيخ الأنصاري.

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من تبريز ١٣٧٢/٥/٥هـ. ش.

لقد امتد نشاط هؤلاء أيضاً ليشمل المتدينين في البلدان الإسلامية، أي أنهم كانوا يكتبون شيئاً في رسائلهم العملية ليرجع إليه من يقلدونهم في المدن الأُخرى، ولكن علوم هؤلاء ومعارفهم ونبوغهم وما كانوا يعرفونه عن الإسلام من حقائق، ظلت محصورة غالباً بحدود حوزاتهم العلمية»[1].

وحتى في العقود الأخيرة، ومنذ زمان مرجعية آية الله العظمى البروجردي ـ والذي استطاع بنظرته الثاقبة ووضوح رؤيته إحداث تحوّلات في أُسلوب النشاط الحوزوي والعلمائي ـ ظل نطاق هذه الحركة محدوداً للغاية حتى وإن امتدت إلى جزء من البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، حيث كان الهدف الأساسي الذي سعى إلى تحقيقه بعض الفضلاء والطلبة مقتصراً على التعريف بالتشيّع وتفنيد ما يوجّه إليه من شبهات، إلاّ أنّ النسيج العام للحوزة لم يلتئم بهذا التغيير في أُسلوب العمل، ولم تكن قد أدركت ضرورة التوسّع في آفاق النشاطات والممارسة:

«عندما دخلت بعض الأفكار المنفتحة والجديدة إلى الحوزات العلمية، وكان مظهرها هو المرحوم آية الله العظمى البروجردي ـ الذي كان يعتبر مرجعاً منفتحاً ومجدداً ـ فإن القضية تجاوزت كونها مجرد ترويج للفكر الشيعي في البلدان الإسلامية إلى محاولة نشر الفكر الإسلامي في بعض البلدان الأجنبية، ولكن هذا أيضاً كان على نطاق ضيّق»[2].

ولكن وسائل الاتصالات التي استخدمت في نقل الأفكار في تلك المرحلة من النضج والازدهار كانت ماتزال محدودة ومتواضعة، فقصارى جهد الحوزة في ذلك المقطع الزمني الجديد كان كتابة المقالات أو إصدار الكتب التي كان لها قرّاء خارج الحوزات العلمية.

---

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ . ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء الدين من أصفهان ١٣٦٦/٩/١ هـ ش.

ومع أنّ هذا كان يعدّ بمثابة تحوّل عميق في أداء الحوزة العلمية، إلا أنّ مسافات واسعة كانت ما تزال تفصل بينه وبين متطلبات العصر:

«في مرحلة القمع وتكميم الأفواه، وعندما كنّا نشكو ونتحدث مع الفضلاء والطلاب ومن كانوا من دعاة التجديد في تلك الأيام، فإننا كنّا نشعر بالأسف والحسرة على أننا لا نمتلك محطة إذاعية أو مطبعة أو مجلة.

لقد كنّا نحلم بذلك، وكنّا نعتقد بأنه إذا ما استطاع العلماء الحديث ساعة في اليوم من خلال إحدى المحطات الإذاعية، فإن كافة الآمال ستتحقق.

إن المرحوم آية الله البروجردي، مع ما كان له من نفوذ واسع، كان إذا أراد التحدث إلى مريديه أو إلى المتدينين في المجتمع الإسلامي، لا يجد سوى الورق وإرسال الرسائل أو الحديث إليهم مباشرة»[1].

وعلاوة على ما تقدم، فقد كان هناك بون شاسع بين الفكر والواقع في تلك المرحلة من الازدهار، ولم يكن ثمة تجسيد للأبحاث والكتابات على أرض الواقع. كما أنّ الباحثين الإسلاميين في حقول الاقتصاد والحقوق وقضايا الأُسرة وسواها لم يكونوا يطمحون إلى تحقّق هذه الأبحاث أو تطبيقها في الحياة العملية:

«لم يكن هناك مجال للدين مطلقاً في مجالات الحياة الأساسية، أو في محيطات العمل والدوائر والمؤسسات الحكومية، أو في سنّ القوانين. وحتى عندما كنتم تهبّون للتبليغ في منطقة من المناطق، فإنكم كنتم تؤدون عملكم وكان النظام الاجتماعي يقوم بعمله»[2].

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ. ش.

(٢) حديث في لقاء مع أعضاء مؤسسة باقر العلوم الثقافية ١٣٦٨/١١/١ هـ. ش.

إلاّ أنّ تحولاً واسعاً حدث مع انتصار الثورة، فقد اتّسع نطاق النشاطات وتجاوز ذلك العدد القليل من التجار والمتقاعدين من روّاد المساجد، والآن ها هي حشود الشباب والطلائع وسواها من الفئات الاجتماعية تتطلّع بحب وشغف نحو الحوزة والعلماء لتلقّي رسالتهم:

«لقد تغيّر الوضع اليوم... ففي داخل البلاد، ها هم الشباب والأكاديميون وأصحاب النظر متشوقون إلى المعرفة وتوّاقون للإطلاع على المعارف الإسلامية وفهمها، إنهم يريدون العثور على الأسس الفكرية والعقائدية لذلك الشيء الذي أوجد هذا النظام الاجتماعي اليوم وفرضه في المجتمع»[١].

إنّ هذا الشوق وهذا الشغف يشاهد أيضاً خارج إيران، وإذا كانت مفردات من قبيل التشيّع وإيران والثورة الدينية وسواها من المفردات المماثلة، كانت مازالت مجهولة وغريبة حتى الأمس، فإن كل مفردة من هذه المفردات وجدت طريقها اليوم إلى قواميس الشعوب، وبات علماؤنا ومثقفونا توّاقين إلى الوقوف على حقيقة مبادئ ونتائج هذا المسعى الجديد ومعرفة رموزه وأسراره، وفتح باب الشبهات أمام أنفسهم بلا نهاية:

«على المستوى العالمي أيضاً، سواء ما كان ينشأ مباشرة عن قيام ثورة دينية وإسلامية، وتشكيل نظام سياسي واجتماعي على أساس الدين ـ وهو ما يعد في حد ذاته حادثاً عظيماً وجّه أنظار العالم إلى الدين وإعادة النظر في القضايا الدينية (إسلامية وغير إسلامية) ـ أو سواء ما استجد فيما بعد من نتائج، فإن ذلك كله كان من آثار ثورتنا وانعكاساتها على النطاق الدولي»[٢].

كما حدثت تغيّرات عميقة أيضاً على مستوى وسائل الاتصال والخطاب، فإن الحوزة الآن لم تعد محصورة في حدود الخطاب وجهاً

---

(١) حديث في لقاء مع أعضاء مؤسسة باقر العلوم الثقافية ١٣٦٨/١١/١ هـ. ش.

(٢) المصدر السابق.

لوجه، بل تستطيع بثّ رسالتها على أمواج الأثير وأن تجد صدى خطابها منعكساً في كل بقاع العالم:

«إنّ علماء الشيعة وعلماء الإسلام يستطيعون قول كلمتهم اليوم من على أعظم المنابر في العالم وأوسع المنصّات انتشاراً في تاريخ البشرية حتى الآن، وإنّ بمقدورنا الآن أن نتحدث عن التوحيد والنبوة والقضايا الاجتماعية والعقائدية للإسلام والقرآن من خلال أوسع وسائل الإعلام العالمية انتشاراً وعن طريق شبكات الاتصال العالمية دونما خشية، ودون أن تؤثر علينا أية قوة دولية»[1].

وفي كلمة واحدة، فإنه يمكن القول: بأن الحوزة بعد انتصار الثورة وجدت طريقها المباشر إلى ساحات الجد والعمل، وهو أمر لا سابقة له في تاريخ الحوزات العلمية، وأنّ هذه الحقيقة التي لا شك فيها اليوم هي سلاح ذو حدّين؛ فبوسعها أن ترفع من مستوى الحماس والشوق، وتضاعف الرغبة في الجد والعمل، وتضيء نور الأمل والنشاط في قلوب ذوي الطاقات المتفجّرة، وتدعوهم إلى العمل والتقدم.

ومن ناحية أُخرى فإنها تستطيع أن تزيد من حجم القصور والتقصير، وتجعل الجيل الحاضر للحوزات يشعر بالخجل أمام مصير ومستقبل المجتمع والحوزة.

وقد أشار سماحة القائد إلى التفاوت بين أُسلوب عمل العلماء والمسؤولية الخطيرة لعصر ما بعد الثورة، فقال:

«إنّ هناك فرقاً بين الحاضر والماضي بالنسبة لعلماء الدين، فمسؤوليتنا في الماضي كانت في حدود قدرتنا واستطاعتنا، وقد كانت قدرتنا واستطاعتنا محدودة...

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ ش.

لقد منعوني من الخطابة في مشهد مع أنني ـ طبعاً ـ لم أكن خطيباً، ولم أكن أرتقي المنبر، بل كنت إمام جماعة في أحد المساجد، وهناك كنت أعقد بعض الجلسات، وألقي بعض المحاضرات، وأعطي دروساً في التفسير للطلبة.. كما أنّ بعض الطلبة الجيدين من نيشابور أتاحوا لي فرصة التدريس هناك، فكنت أذهب من مشهد إلى نيشابور مرة كل أسبوع.

إنّ كل قوّتي واستطاعتي في التبليغ وحدود نطاق عملي لم تكن تتجاوز ذهابي من مشهد إلى نيشابور والتوجّه إلى مسجد أرك لألقي درساً على مئة أو مئة وخمسين طالباً.. وأما الآن فإنني إذا أردت أن أقول كلمة واحدة وأن أُبلّغها إلى كافة أنحاء العالم، فبإمكاني أن أجعل هذه الكلمة تتردد في جميع أقطار الأرض، وإن جماعة علماء الدين كافة قد تغيّر وضعهم الآن بهذا المقدار وهذه النسبة.

إنكم إذا أردتم اليوم أن يكون وجودكم ـ كعلماء دين ـ مفيداً، فإن المجال لبذل هذا الرصيد لم يعد محدوداً بالمسجد أو بمجلس العزاء المكوّن من عشرين أو ثلاثين أو مئة شخص، أو مساحة مدينة أو قرية.

فإذا توفرت لكم الإرادة، وكان لديكم ما ترغبون في تبليغه، فباستطاعتكم إيصاله إلى كافة أرجاء العالم؛ وهذا ما يجعل من مسؤوليتنا أمراً جسيماً»[1].



(١) حديث في لقاء مع علماء الدين من نيشابور ١٣٦٥/٤/٢٩هـ. ش.



الفصل الثاني

الحوزة

ونهضة الإمام الخميني قدس سره

المقالة الأُولى: الحوزة والنهضة

المقالة الثانية: الحوزة والثورة

المقالة الثالثة: الحوزة والدفاع المقدس

المقالة الأُولى

الحوزة والنهضة

لقد أطلق على ثورة الإمام بحق نهضة علماء الدين، حيث كانت مصحوبة منذ إشراقتها الأولى وحتى الانتصار بكفاح العلماء وإقدامهم، وتكللت بالنصر نتيجة ما بذلوه من جهود مضنية ونضال دؤوب:

«إنّ هذه الثورة متأثرة بعلماء الدين، فلولا علماء الدين ولولا الإعلام وهذا الحزب الطبيعي ـ إن جاز هذا التعبير بالنسبة لجماعة العلماء ـ ولولا هذه المجموعة الواسعة الانتشار في كافة أرجاء البلاد، والتي يرتبط بعضها بالبعض الآخر، ويفهم بعضها لغة الآخر، ولها توجّهات مشتركة، وتستلهم من مصدر واحد، وتعمل من أجل تحقيق طموح وهدف واحد، لما قامت الثورة، ولما تصاعدت وتيرتها، ولما تكللت بالانتصار في النهاية»[1].

إنّ قوة وتأثير علماء الدين في النهضة نشأت من مبادئ مختلفة:

أولاً: إنّ ثقة الناس التاريخية بعلماء الدين الشيعة ـ وهو ما ذكرناه آنفاً ـ دعت العلماء إلى أن يعتبروهم ذخراً لا ينتهي من طاقتهم البشرية، وأن يهتمّوا بطاقتهم وقوّتهم الكامنة ويأخذوها بنظر الاعتبار، ويستدعوها إلى الساحة عند الضرورة وفي الأوقات العصيبة.

ثانياً: إنّ شبكة علماء الدين كانت متّصلة ومتماسكة في كافة أنحاء البلاد لدرجة تمكّنها من التعاضد والتخاطب، وتبادل الإمكانيات وسهولة التنسيق فيما بينها عند اللزوم، وفي كلمة واحدة: القدرة على تحقيق التعبئة المنظمة للجماهير.

ثالثاً: إنّ الطريق الوحيد لإسقاط النظام البهلوي في بلادنا كان متمثلاً في اليقظة العامة والشاملة، ولم تكن هذه التعبئة العامة ممكنة الحدوث إلاّ عن

(١) خطاب في جمع من علماء الدين من نوشهر ١٣٧٢/٢/١٨ هـ ش.

طريق العلماء دون سواهم، فالمثقفون والأحزاب والشخصيات السياسية وغيرها، لم تكن تتمتع بمثل هذه القاعدة التي تمكّنها من الحضور الواسع والمليوني؛ ولهذا فإن النهضة الموفقة لم تكن أمراً ميسوراً إلاّ بواسطة تنظيم علماء الدين وحدهم:

«لم يكن باستطاعة أية نهضة أن تحرز هذا النصر إلاّ النهضة التي يتقدّمها العلماء؛ وذلك لأن المقاومة الفدائية لا معنى لها ولا جدوى منها في بلاد كبلادنا، وكذلك في مواجهة شتى الأنظمة المماثلة لنظام الشاه.

فمقاومة مجموعة من الناس لا يمكن أن تحقق شيئاً سوى إثارة النظام الحاكم وإشغاله ومضايقته وضرب مصالحه، ولكنها لا تستطيع إسقاطه؛ لأن إسقاط الأنظمة لا يتيسّر إلاّ عن طريق حركة جماهيرية عامة وعظيمة، وهذه الحركة الجماهيرية العظيمة في بلادنا لم تكن ممكنة إلاّ بقيادة العلماء»[1].

وفي ضوء هذه المميزات استطاع العلماء الأخذ بزمام نهضة الخامس عشر من شهر خرداد[2] وقيادتها إلى النصر النهائي.

إنّ الميزة الأساسية للثورة الإسلامية تجسّدت في أنّ علماء الدين كان لهم حضور بارز ولا يمكن إنكاره في كافة مراحلها، ولكنهم في النهضات السابقة كانوا على درجة من النشاطات في بداية الطريق، ثم ما لبثوا أن تخلّوا تدريجاً عن موقع القيادة والإرشاد.

كما أنّ التجمّع العام لتلك النهضات لم يكن بالشكل الذي جعله يحظى بإرشاد العلماء، أو أن يكون لهم دور إرشادي أساسي في آيديولوجية

(١) خطاب في مراسم تعميم طلاب مدرسة الشهيد المطهري ١٣٦٤/١١/١٧.

(٢) ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢ ش، ١٣٨٣هـ، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام قدس سره وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين.

الجهـاد، أوفـي صـياغة التـشكيلات والتنظيمـات، أو فـي انتقـاء التقنيـات والأساليب:

«لو أردنا العودة إلى التاريخ فإننا نلمس أثر الفكر والوعي الـديني لـدى الجماهير، ففي كل مكان ـ من نهضة الميـرزا الـشيرازي إلـى المـشروطة[1] ونهضة المدرس[2] ونهضة الميرزا كوجك خان[3] وكافة القـضايا الأُخـرى، سواء قبل العصر البهلوي أو بعده ـ نلمس أثر الحافز الـديني، وخاصـة أثـر علماء الإسلام، مشهوداً وبيّناً.

ولكن نهضة يُخطط لها بالكامل من قِبَل العلماء، ويهرع الشعب للمشاركة فيها تلبية لندائهم، فتُنظّم وتنشر آيديولوجيتها في كل مكان عن طريق العلماء، ويتحمّلون فيها كل ما يمارس من ضغوط مكثّفة وشديدة توجه ضدهم وضد الضالعين فيها، فيدافع عنها علماء الـدين حتّـى الرمـق الأخيـر، ويربّـوا لهـا الكوادر ويجتذبوا لها العناصر النشطة ـ إن نهضة بمثل هذه الابعـاد والنطـاق الواسع والجهود المضنية والحثيثـة ـ لـم تكـن مـشهودة قبـل ١٣٤١هـ. ش ١٩٦٢م»[4].

إنّ دراسة نهضة علماء الدين تتطلب الكثيـر مـن الدقـة والعمـق، ومـن جملة ذلك يمكن الإشارة إلى الملاحظات الآتية:

---

(١) انظر هامش صفحة ٢١.

(٢) السيد حسن ابن السيد اسماعيل الطباطبائي، ولد عام ١٢٧٨هـ ق، ونـال مرتبـة الاجتهـاد فـي الأربعين من عمره، استشهد عام ١٣٥٦هـ ق في سجون رضا شاه بعد أن أمضى ٩ سنوات أسـيراً فيهـا، ودفن في مدينة كاشمر.

(٣) الميرزا يونس بن (ميرزا بزرگ)، ولد عام ١٢٩٨هـ ق، درس العلوم الحوزوية حتى سـطوحها العالية، أسس مجموعة لقتال الروس في جبال مدينة گيلان، توفي عام ١٣٠٠هـ ق، وقبره الآن في مدينة رشت.

(٤) خطاب في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧.

١ـ إنّ حضور علماء الدين في النهضة كان ملازماً للمشقة والعسر، فلقد ذاق العلماء المجاهدون مرارة السجون والمنافي والتعذيب والاتهامات والسخرية و... ووقفوا في مواجهتها بكل ما لديهم من قوة.

لقد امتنعوا من الاستسلام والانقياد، وظلوا يقاومون بشموخ، واستهانوا بشتى الضغوط الجسمية والنفسية، وشاهدوا عهد الاستقلال والعزة متألّقة شمسه في مرآة الشعب الناصعة:

«إنّ تاريخ هذه النهضة تاريخ عجيب، فالذين منحوا ثقتهم الكاملة لهذه النهضة، وتعهّدوها بالعناية والرعاية منذ السنوات الأُولى يعلمون ما واجهته من أمواج متلاطمة وضربات قاصمة وآلام شديدة ومصاعب مضنية»[1].

٢ـ إن حضور العلماء المجاهدين في النهضة لم يكن متساوقاً مع الموجة العامة، فالاتجاه العام كان يحثّ على الصمت والقعود، وهو ما كان سائداً حتى بين المتدينين. كما كانت أفضل النصائح لا تخرج عن الحفاظ على الإيمان الفردي، وعدم التردّي في المعاصي الشخصية، والابتعاد عن التلوث بالآثام، والقبول بالاستسلام أمام المدّ العارم ضد الإسلام وضد الإيمان:

«بمرور الخامس عشر من شهر خرداد، كنّا قد قطعنا مرحلة من الجهاد، ولكن مرحلة أُخرى أشد وأقسى كانت قد بدأت تواً، وهي تلك المرحلة التي ضل فيها الكثيرون المسير وقعدوا عن النضال.

فلقد كان هناك الكثيرون ممن يحتاجون إلى إزالة صدأ الأفكار المفروضة والتحريضية والمغلوطة عن عقولهم؛ لكي يستطيعوا تحمل

---

(١) خطاب في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧ هـ ش.

المسؤولية الجسيمة للثورة، وكان هناك أُناس قد لقّنوهم على مدى سنوات طويلة ـ وربما على مدى قرون ـ بأنه لا ينبغي مقاومة القوى المتعاظمة أو الدخول في حروب معها؛ لأن ذلك أمر مستحيل.

إنهم أُناس لم يكونوا يتصورون أن ثمة عبادة يجب مزاولتها والاهتمام بها سوى الصلاة المفروضة والنوافل والتصدق ببعض المال على الفقراء، وإنهم أُناس لم يكونوا يقبلون الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وإنّ على جيلنا الحاضر أن يعلم بأن حقبة مرّت على هذا البلد وأهله لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها من الأُمور التي يعتدّ بها، فلم يكونوا يقبلون بأنه يجب النهي عن المنكر ومقاومة الفساد والظلم والطغيان!»[1].

لقد كان النشاط المتواصل للعلماء المجاهدين هو القادر على تغيير هذه الثقافة الحاكمة، وتفتّح روح الجهاد والمقاومة في الجماهير، وإزالة التحريف عن معالم الدين، وبعث نزعة مقاومة الظلم في نفوس الناس، وإضاءة نور الأمل بالتغيير والتحوّل، وذلك كله من خلال التبليغ وتعليم الإسلام الأصيل.

«لقد كان من الضروري إعادة بناء هذه الجماهير مع ما كانت قد نشأت عليه من أفكار؛ لكي تستطيع تحمّل المسؤولية الجسيمة لثورة اجتماعية شاملة، وهذا هو ما بدأه علماء الدين»[2].

٣ـ إنّ نهضة العلماء بحاجة إلى دراسات وأبحاث مستفيضة، وللأسف فإن دراسة علمية بما يتناسب مع حجم هذه المقولة لم يقم بها أحد حتى الآن.

---

(١) خطاب في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧ هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

ومن الأبحاث الضرورية في هذا المجال دراسة طبيعة النسيج الاجتماعي في المؤسسة الدينية، وما هي التجمّعات التي كان لها حضور أوسع في هذه النهضة؟ وما هي دوافع ذلك؟ وما هي النتائج التي يمكن التوصّل إليها؟ وما هو تأثير هذه النتائج في بقاء وديمومة النهضة؟ وسوى ذلك من التساؤلات:

«إننا لو أردنا القيام بتحليل وضع العلماء وطلبة العلوم الدينية في الثورة لاحتاج الأمر الى دراسة بعيدة الأمد.

إنّ الكل يعلم، وكلنا نقول: بأن العلماء اضطلعوا بالدور الأول في الجهاد وفي انتصار الثورة، وهذا صحيح، ولكن هناك الكثير من القضايا المختلفة في هذا الكلام الصحيح.

فماذا كان حجم الدور العلمائي منذ عام ٤٢ هـ. ش «١٩٦٣م» وحتى عام ٥٦هـ ش «٧٧ ـ ١٩٧٨م»؟ وماذا كان حجم هذا الدور منذ عام ٥٦ هـ ش؟ وما هي الفئة العلمائية التي كان لها تأثير أكبر؟ طلبة الحوزة، أو مدرسو الحوزة ـ وقبل ذلك الشيء الذي يصطلح عليه في عرفنا باسم العلماء ـ أو فئة علماء الحوزة، أي المراجع والمشايخ الكبار والمشهورين والعظماء، أو فئة علماء المدن، كأئمة الجماعات وفضلاء مراكز المحافظات والمدن وأصحاب المنابر على اختلاف مراتبهم جميعاً.

فما هي الفئة التي حملت صارية الجهاد عام ٤٢هش «١٩٦٣م» وواصلت المسيرة غير آبهة بأنواع الأذى والمضايقات»؟[1].

٤ـ إنّ دور الفضلاء والطلبة في نهضة العلماء دور عظيم وخالد، فهذه الثورة كانت قائمة على هذه القاعدة، ومع أنّ مرجعاً مجاهداً وواعياً كالإمام الخميني كان على رأس الهرم حاملاً على عاتقه المسؤولية الجسيمة لقيادة

---

(١) خطاب لدى استقبال أعضاء فرع العلماء في (الحزب الجمهوري الإسلامي) ١٣٦٢/٥/٢٦هـش.

النهضة وتوجيهها، فإن هؤلاء الفضلاء والطلبة كانوا هم الذين يتناقلون بيانات الإمام يداً بيد لتوزيعها على أوسع نطاق، مضحّين في سبيل ذلك بأنفسهم وأموالهم دون أن يهابوا المعتقلات والأذى، كما أنهم لم يذوقوا طعم الراحة والاستمتاع بأوقات الفراغ؛ من أجل تبليغ وبيان رسالة مقاومة الظلم، مستفيدين من كل فرصة ولحظة:

«إذا ماتوصّلنا إلى أنّ الدور الأول في الجهاد كان منصبّاً على عاتق غالبية علماء الدين ـ أي الطلبة الذين كانوا دائماً هم الأغلبية ـ وأردنا معرفة الفئات العلمائية، فإننا سنجد أنّ هؤلاء الطلبة وفضلاء الحوزة غالباً هم الذين شاركوا في الجهاد منذ عامي ٤١،٤٢ هـ. ش «٦٢ ـ ١٩٦٣م»، وهم الذين ثبتوا على الطريق وواصلوا المسيرة وتقدموا إلى الأمام بعد فاجعة عام ٤٢هـ. ش»[1].

إنّ هذه الملاحظة تشتمل على الكثير من العبر والدروس، وسوف يكون لنا حديث مستقل حول دور الفضلاء والطلبة الشباب في إصلاح الحوزة وتطويرها.

٥ـ لقد شارك في نهضة الخامس عشر من خرداد قطاع كبير من علماء الدين، ولكن قمع النهضة ونفي الإمام غيّر من الأوضاع ودفع بعدد لا بأس به من المجتمع العلمائي إلى اليأس من استمرار النهضة.

وهذا التغيير قد تشددت إجراءاته لاسيّما مع ما كان للشاه من سطوة وقوة ظاهرية في العقد الخامس، لدرجة جعلت الكثيرين من علماء الدين يصلون إلى نتيجة مؤدّاها أنّ تغيير النظام أو حتى إصلاحه أمر مستحيل، وأنه لابد من التنازل بمرور الأيام والابتعاد عن مقاومة السلطة الحاكمة!

---

(١) خطاب لدى استقبال أعضاء فرع العلماء في (الحزب الجمهوري الإسلامي) ١٣٦٢/٥/٢٦هـ ش.

إنّ هذه الاستنتاجات كانت متماشية مع المعادلات الظاهرية، فمساندة القوى الكبرى للشاه ـ حتى الأنظمة الشيوعية من قبيل روسيا والصين ـ وازدياد عائدات الحكومة عن طريق الارتفاع السريع لأسعار النفط، وقمع تجمعات المقاومة واستخدام الشدة والعنف مع المجاهدين، وغير ذلك من الظواهر، كانت توحي كلها إلى أصحاب وجهات النظر المادية بأن الوضع القائم آنذاك غير قابل للتغيير، وأن يفكروا بأن أي مسعى على طريق تغيير النظام وإسقاطه من السفاهة، وأن ينظروا إلى حركة العلماء المجاهدين نظرة استخفاف! وأن يستخدموا معهم أساليب السخرية والنقد ـ أو على الأقل التوصية والنصيحة ـ ليدفعوا بهم إلى حافة اليأس والقنوط من مواصلة الكفاح والجهاد:

«لقد كانت تربط والدي بالمرحوم العلامة الطباطبائي صداقة حميمة جداً، فكانا يقضيان ساعات طويلة في منزل والدي وهما يتجاذبان أطراف الحديث.

ولقد كنت أدخل في نقاش معهما حول قضايا الجهاد والمقاومة بصفتي طالباً شاباً وأقول لهما: لماذا لا تنزلون إلى ميدان المقاومة والجهاد؟! فكان الجواب: لقد كان بمقدورنا ـ نحن العلماء ـ التأثير يوماً ما في سير الأحداث ـ أي في عهد المشروطة وبداية دخول الحضارة الجديدة ـ (ولكن ما حدث من خطأ فاحش حينها كان له الأثر على مواصلة هذا النشاط)، وأما الآن فقد أصبح الوقت متأخراً ولا فائدة في ذلك.

إنّ هذا النضال لن يجدي نفعاً، وإنّ هذا النظام الذي نشاهده متربّعاً على سدّة الحكم لا يمكن القضاء عليه بمثل هذا الكلام وهذه الممارسات.

فتصوّروا إذاً أنّ عالماً مثقفاً كالعلامة الطباطبائي ـ الذي لا يشك أحد في ثقافته ووعيه ـ كان يعبّر عن واقع المجتمع بعدم جدواه.

إنني لا أشك في أنّ العلماء الكبار الذين كنّا نعرفهم ولم يكن لهم دور في الجهاد ـ حيث كان هذا النوع من العلماء موجوداً في كافة أرجاء إيران ـ لم يكونوا ليتخلّفوا عن التضحية بأنفسهم، ولم يكونوا أقل ديناً وتقوى من الآخرين المنخرطين في سلك المقاومة، ولكن القضية هي أنهم لم يكونوا ليتقاعسوا عن النضال أو يهابوا السير على نفس الطريق الذي سلكناه ـ طرين السجون وما إلى ذلك ـ فيما لو تصوروا إمكانية مجيء النظام الإسلامي إلى الحكم وسقوط النظام السابق، ولكنهم لم يكونوا يشعرون ببصيص من الأمل في تحقق مثل هذا الأمر»[1].

كما يثير سماحة القائد الملاحظات الآتية عندما يتعرض لوصف وتحليل تلك الأوضاع والظروف:

«طبعاً لابدّ من الاعتراف بشيء ما، لأننا لو لم نفعل فإن الآخرين سيحاولون استغلال الحقائق المُرّة التي كانت موجودة حينذاك؛ بأنّ العلماء وطلبة العلوم الدينية لم يكونوا يؤمنون جميعاً بالنضال، ولم يكونوا يفكرون جميعاً بأننا نحتاج الى جهاد فكري وأخلاقي طويل وعميق من أجل إعداد الجماهير، ولم يكونوا جميعاً يقبلون بأننا ـ فضلاً عمّا لدينا من خصومات شخصية تافهة ـ نواجه عدوّاً لدوداً هو النظام الحاكم المتجبّر، وأنه لابدّ لنا من تجاوز بعض الخلافات الضئيلة؛ لكي نستطيع مواجهة هذا النظام.

كما لم يكونوا يرضون جميعاً بأن يتحدث طالب حوزوي شاب عمّا يتعرض له مجتمعنا من مظالم وفجائع، إلى جانب اهتمامه بالدراسة والمطالعة والمباحثة. ومجمل القول: إنهم لم يكونوا جميعاً يقبلون بأنه يجب علينا في تلك المرحلة من القمع والمحاصرة أن نقوم بمجابهة جهاز حاكم متجبّر وطاغوت، قد اتّضح فساده أمام الجميع»[2].

---

(١) خطاب في جمع من علماء الدين في محافظة همدان ١٣٦٤/٩/١١ هـ. ش.

(٢) خطاب في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧ هـ. ش.

إنّ الممارسات القاسية إزاء علماء الدين لم تكن قليلة في هذه المرحلة، فالنظرات المتحجّرة والباردة كانت كثيرة حينذاك، حتى أنّ الأيدي لم تكتف بتجاهل آلام المعذبين، وبأن تَضِنَّ بمسحة من العطف والشفقة على جراحهم الفاغرة، بل إنها كانت تمتد لتصفع هؤلاء البؤساء وتنكئ جراحهم المندملة! فكانت أشد وأقسى عليهم من يد النظام الجلاد:

«إنّ عدداً من الفضلاء والطلبة الشباب قد عانوا الآلام المُرّة وتحمّلوا المزيد من الحرمان، وإنّ الكثيرين منهم قطعت عنهم الرواتب الشهرية؛ لأنهم كانوا قد اعتقلوا من قِبَل السافاك. فالذين كانوا يعرّضون أنفسهم للمخاطر ويقفون صامدين في طليعة الصفوف غالباً ما كانوا يتركون لوحدهم بلا عون ولا مساندة، وكان الذين ينبغي عليهم مساعدة هؤلاء ونجدتهم ومدّ يد العون لهم يتركونهم وشأنهم دونما اهتمام»![1].

وأخيراً، وفي نهاية هذه المقالة لا يمكن تجاهل نقطة مهمة، وهي: أنّ العلماء المجاهدين كان لهم دور بارز في بقاء وحياة المؤسسة الدينية، فلولا جهادهم وتحمّلهم للمصاعب لكانت الحوزات الشيعية في إيران قد واجهت مصيراً مظلماً وحالكاً، ولتعرّضت المؤسسة الدينية للمزيد من الاضمحلال وفقدان الهوية، وتجربة الحوزة العلمية في النجف خير شاهد على ذلك، حيث تعاني اليوم الضعف والخمول الشديد بعد ألف عام من التألّق والازدهار.

فهل كان يمكن لحوزات كحوزة قم، ومشهد، وأصفهان وغيرها أن تنتظر وضعاً أفضل مع استمرار ووجود النظام البهلوي؟!

«لو لم يكن فَهْم ووعي مجموعة من العلماء الذين أدركوا متطلبات العصر في ذلك الزمان ولبّوا حاجاته لما حدثت النهضة ولما قامت الثورة،

---

(١) خطاب في جمع من طلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١ هـ ش.

ولما حققت المقاومة أهدافها، ولظل بلدنا وشعبنا يعاني لسنوات أُخرى طويلة من نير الاستكبار، ولما بقى أدنى أثر للعلماء أنفسهم كمجموعة وطائفة تأخذ على عاتقها مسؤولية تبيان المعارف الإسلامية.

فتلك المجموعة التي لبّت صيحة الجهاد في ذلك اليوم هي صاحبة الفضل في نجاة علماء الدين»[1].



(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين المقاتلين والمعوقين ١٣٦٧/١١/٢٩ هـ ش.

المقالة الثانية

الحوزة والثورة

- الحوزة ومكاسب الثورة
- حق الثورة على الحوزة
- قدر النعمة
- مسؤولية الحوزة

لقد ساهم علماء الدين بنصيب وافر في تأجيج الثورة؛ وهو ما نراه أكثر وضوحاً وبروزاً في زمن اندلاع الثورة وبدايتها، ولأننا أشرنا إلى ذلك في الفصل السابق، فإننا سنخصص هذه المقالة لدور العلماء بعد انتصار النهضة.

وبدايةً، فإنه من الضروري تأكيد ثلاث نقاط أساسية:

١ـ في الحركات النهضوية التي نشأت خلال القرن الأخير، حاول المغرضون تحريف التاريخ والتقليل من دور العلماء في النهضات، ولربما تحروا الصمت والتجاهل أو التحريف وسوء الفهم أحياناً، متجاوزين حضور العلماء وطلبة العلوم الدينية وممارسة نشاطهم السياسي في هذه النهضات، وهو ما نلاحظه أيضاً عند الحديث عن الثورة الإسلامية في إيران.

ولقد كان ذلك واضحاً منذ البداية، ومن الممكن أن ينمو ويمتد على نطاق أوسع في المستقبل:

«إنّ دور العلماء في هذه الثورة هو أمر لا يمكن إنكاره، وحتى الآن لم ينكر أحد ذلك الدور، وطبعاً فإن الوقت ليس متأخراً لإنكاره، فأصابع الدسّ والتحريف لم تألُ جهداً في مزاولة التدخّل وإبداء الرأي وممارسة النفوذ منذ البداية وحتى الآن عملاً على تشويه تاريخنا.

وليس من المستبعد أبداً أن يأتي من يكتبون ويزعمون بأن المؤسسة العلمية الإسلامية وعلماء الإسلام لم يكن لهم دور ولا تأثير في هذه الثورة»![1].

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من محافظة مازندران ١٣٦٣/٢/١٧ هـ.ش.

٢ـ إنّ هذا الخطر لا يبدو ملموساً تماماً في هذا العصر الذي يتميّز بحضور الجماهير في ساحة النهضة والثورة؛ وذلك لأن الذين كان لهم حضور في ميدان الثورة وكان لهم دور فيها يمنحونها نوعاً من الحصانة إزاء مثل هذه التحريفات:

«إنّ شعبنا الآن مازال حديث العهد بالثورة ومازالت قضايا الثورة حيّة في ذاكرته، ولهذا فإنه على علم بأن العلماء الأعلام كان لهم تأثير بارز في تفجير هذه الثورة وانتشارها وتعميقها وانتصارها، فلو لم يكن هؤلاء العلماء لما حققت هذه الثورة انتصارها»[١].

٣ـ إنّ الخطر يزداد بمجيء الجيل الثاني الذي لم يكن قد شارك في نهضة الخامس عشر من خرداد[٢] ولا شهد ثورة عام ٥٧ هـ. ش. (١٩٧٩م) مما يجعله عرضة للتحريفات التاريخية حول النهضة الإسلامية في إيران، فلا يكاد يدرك حجم الجهود الجبارة التي بذلها العلماء في سبيل قيام هذه النهضة، وربما أخطأ في تحليل العوامل التي أدّت إلى الثورة.

وهذا الخطر الجدّي يحتّم علينا ضرورة تدوين وتحليل أثر العلماء في الثورة الإسلامية ولزوم جمع الحقائق وتسجيلها ودراستها بما ينبغي لها:

«إنّ تأثيرات العلماء على الثورة هي تأثيرات عميقة وعجيبة ومدهشة؛ مما ينبغي بحثها ودراستها بشكل تحليلي في مؤلفات خاصة، وللأسف فإنه لم يكتب شيء من هذه المؤلفات حتى الآن.

فعلى الطلبة الشباب أن يلاحظوا ذلك، ويجب عليكم أن لا تكتفوا بهتاف الناس باسمكم الآن في المناطق والمدن والقرى المختلفة، بل من الضروري

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من محافظة مازندران ١٣٦٣/٢/١٧ هـ.ش.

(٢) انظر هامش صفحة ٧٠.

أن يسجل التاريخ حقيقة دور علماء الدين في هذه الثورة وما هي صلتهم بها»[1].

الحوزة ومكاسب الثورة

لقد تعلّم العلماء دروساً نافعة من تجارب النهضات السابقة، فلم يضيّعوا ثمار جهودهم وجهود شعبهم، ولم يلجأوا إلى العزلة والانطواء بعد انتصار الثورة، بل إنهم واكبوا أحداث ما بعد الثورة خطوة فخطوة، وعبّروا عن استمرار حضورهم من خلال القيام بالأدوار المختلفة والاضطلاع بالمسؤوليات العديدة:

«لقد كان العلماء عنصراً مؤثراً للغاية منذ بداية الثورة في الحفاظ على منجزاتها، فالكلام الحميم لعلماء الدين هو الذي حافظ على هذه المصانع وهذه المعسكرات وهذه المراكز وهذه الجبهات، ولاسيّما أُولئك المناصرين للثورة والذين كانوا يعكسون مشاعرهم الجيّاشة بما يجري على ألسنتهم من كلام حميم»[2].

إنّ مؤامرات أعداء الثورة كانت كثيرة جداً خلال هذين العقدين، فلقد لاحت في الأُفق بوادر تحركات التنظيمات السياسية، والمؤامرات الرامية إلى إسقاط النظام، والدمار الاقتصادي، والحرب المفروضة، وعشرات المؤامرات المناوئة للثورة، والتي كانت كل واحدة منها كفيلة بإسقاط أرقى الأنظمة، ولكن الثورة ظلت صامدة وراسخة.

وبالطبع فإن عوامل مختلفة ساعدت على هذا البقاء، إلاّ أنه لا يمكن تجاهل دور العلماء من بين هذه العوامل بصفتهم لسان حال الثورة.. إنّ

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من نوشهر ١٣٧٢/٢/١٨ هـ.ش.

(٢) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من كاشان ١٣٦٦/٩/٣ هـ.ش.

خدماتهم في المراكز العسكرية، والتعليمية، والصناعية، وفي الجبهات، والقرى وسواها خلال هذين العقدين من عمر الثورة تستلزم دراسات تفصيلية ومستقلة.

وللأسف، فإن تحليلاً جامعاً ومطلوباً حول أبعاد حضور وتأثير العلماء لم يتم إنجازه حتى الآن!

إنّ العلماء خلال هذين العقدين ـ سواء عن طريق التبليغ بالأساليب التقليدية والحضور المباشر في أوساط الناس، أو عن طريق وسائل الإعلام والاتصالات الحديثة ـ استطاعوا إبطال مفعول جزء كبير من الدعاية المضادة، والمحافظة على أواصر الثقة بين الشعب والثورة.

فالثورة الإسلامية لم يكن بمقدورها مطلقاً مواجهة الأمواج الصاخبة للهجوم الإعلامي والعسكري بمعزل عن هذه الشبكة الواسعة والمتجذّرة، أو الدفاع عن نفسها أمام كافة ألوان الأعداء. وبهذا فإننا نجد أنّ دور العلماء في ديمومة الثورة لا يقلّ بحال عن دورهم في تأجيجها واندلاعها.

يقول سماحة القائد مقدّراً وممجداً كافة هذه الخدمات:

«إن خدماتكم ـ أيّها السادة المحترمون والعلماء والفضلاء والطلاب والخطباء ـ طوال هذه السنوات العشر لا يمكن مقارنتها بخدمات أية فئة أُخرى.

إنّ جهودكم وصدقكم وإخلاصكم وتواجدكم في مختلف الميادين خلال هذه الفترة جعل القلوب المشتاقة تنبض بالحب وصيّرها مستعدةً للتضحية، فكم من أعداء للإسلام في الأماكن المختلفة كانوا طامعين في إلحاق الدمار بهذا البلد، ولكن وجود واحد من العلماء حال دون أطماعهم»[1].

---

(١) خطاب في مراسم بيعة جمع غفير من أئمة الجمعة وعلماء الدين من محافظتي مازندران وأصفهان، وعلماء وطلاب البلدان الإسلامية المقيمين في إيران ١٣٦٨/٤/٤ هـ.ش.

وعلاوة على الدور الدفاعي والإعلامي للحوزة في مواجهة مؤامرات اعداء الثورة فإنها كانت عاملاً على احتفاظ الثورة بهويتها الإسلامية، فلولا علماء الدين لكانت إسلامية الثورة قد تعرضت للخطر منذ الأيام الأُولى ولصارت في معرض الزوال والفناء، ولكن الوعي الفريد للإمام الراحل ـ الذي كانت قيادة العلماء الواعين بعهدته ـ وكذلك وقوف الحوزة بجانبه ووفاءها له، أدى إلى إبطال مفعول العواصف المعادية للإسلام وعدم سقوط الإسلام في أحضان التيارات الآيديولوجية المختلفة:

«لولا وجود علماء الدبن حين تشكيل نظام الجمهورية الإسلامية لما تحقق ما أُريد تحقيقه على أساس الدين، فلقد شاهدنا بعضاً من المتدينين الذين كانوا يريدون الاستنباط من الكتاب والسنة، ولكنهم سقطوا في الكفر وتاهوا في وادي الضلالة؛ لأنهم لم يكونوا ضالعين في الدين، ولم يكونوا يعرفون ما ينبغي عليهم فهمه»[١].

حق الثورة على الحوزة

لقد طبعت الثورة آثاراً ملحوظة على نسيج المؤسسة العلمائية، وفتحت آفاقاً واسعة أمام الحوزة العلمية، فغيّرت من قالبها التقليدي، ووضعت نصب عينيها متطلبات جديدة، وجعلت العلماء يطلعون على عالم جديد.

إنّ الحوزة في القرن الأخير[٢] كانت قد تخلّفت عن ركب التقدم السريع جرّاء الابتعاد عن الإدارة الاجتماعية، فقبل تلك المرحلة كانت الحوزة مواكبة للحركة الاجتماعية على الأقل إن لم تكن متقدمة عليها، فكانت تتفهّم متطلبات وأفكار المجتمع، وكانت ثمة لغة مشتركة بينها وبين الجماهير؛ ممّا

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من نوشهر ١٣٧٢/٢/١٨هـ ش.

(٢) القرن العشرين.

جعلها تفهم لغة جيل الشباب كما كانت تفهم لغة الشيوخ وجيل المخضرمين، فضلاً عن أنها كانت تفتح باب التفاهم والحوار، وتشعر بآلام المجتمع ثم تسعى لإيجاد حلول لها.

لقد كانت الحوزة قبل القرن الأخير على صلة بالجماهير والطبقات الكادحة التي كانت توفّر لقمة معيشتها بالطرق التقليدية، وتتغذى خيوط وأنسجة فكرها ولغتها من نبع ثقافتها الذاتية، ولم تكن الحوزة تشعر بالنقص في التعامل مع هذه الثقافة وتلك التقاليد.

ومع تطورات القرن الأخير، وجد المجتمع نفسه يخوض مجموعة من المتغيّرات، حيث استحدثت أفكار جديدة، واختراعات جديدة، ومؤسسات جديدة، طَبَعَتْ المبادلات واتصالات المجتمع بطابع آخر، وضخّت المدارس الجديدة ووسائل الاتصال الحديثة أفكاراً مجهولة لدى المجتمع، وجاءت التكنولوجيا والصناعات المستوردة بمنتوجات جديدة إلى أسواقه، فغيّرت من نظام الحياة وأُسلوب الاستهلاك لدى سكان هذه المنطقة، كما غيّرت المعاهد والمراكز التربوية الجديدة، هي الأُخرى من مناهجها الدراسية ونظمها التعليمية لاحتضان الجيل الجديد.

وأمام هذا التطور العاصف شعرت الحوزة بالاغتراب، فرغم أنّ بعض الحوزويين اتّجهوا نحو هذه التيارات الحديثة، إلا أنّ هذا كان مجرد علاقة شخصية وحاجة ذاتية، ولم يكن ينطوي على برنامج منظّم. وهكذا وجدت الحوزة نفسها تتخلّف يوماً بعد آخر عن قافلة المجتمع الجديد دون أن تكون قادرة على مواكبة هذه التطورات الحديثة.

ولهذا فإن الحوزة أصبحت تدين للثورة بالكثير عندما أخذت تخطو خطوات واسعة للتغلّب على هذا النقص، وإنّ احتكاك الحوزة بالأجواء

الاجتماعية والإدارية المختلفة جعلها تَطّلِع على المتطلبات والمتغيرّات الجديدة وترتبط بالمواد التعليمية والنظم المعلوماتية في المجتمع، وتقف على الأحداث الجارية وتصبح على صلة بالنظام الاجتماعي الجديد.

ومع أنّ هذا الحدث لم يبلغ ذروته وأوجه، إلا أنّ براعمه المباركة قد أضحت مزهرة، وهو ما يجعل حق الإمام والثورة على الحوزويين أمراً خالداً لا ينسى:

«ذت يوم كان الخوض في القضايا السياسية أمراً خطيراً ومحظوراً ويعاب عليه المعممون، وهكذا كان أيضاً النزول إلى معترك السياسة، وكذلك كانت الوسائل الممهّدة لمعرفة الشؤون السياسية كالتعامل مع الإذاعة والتلفزيون والصحف وما إلى ذلك.

كان هناك أحد العلماء في مشهد اسمه آية الله الحاج الشيخ هاشم القزويني ﷺ، وهو عالمٌ جليلٌ وفاضل؛ هذا الشيخ كان يحب قراءة المجلات، ولكنه عندما كان يشتري مجلة يدسّها في جيبه، فكانت تظهر من تحت عباءته وهو يعبر الحرم إلى مدرسة نواب أو في طريق عودته إلى المنزل، وكان هذا الرجل يشار إليه بالبنان من بين علماء مشهد ـ أولئك الذين كانوا على معرفة بذلك ـ فيقال بأن الشيخ هاشم يقرأ المجلات!

إن هذه أفكار عجيبة جداً، فانظروا كيف كانت هذه الفئة، وكيف كان علماء الدين بعيدين عن أحداث العالم.

لقد دفعت الثورة بالعلماء إلى ساحة الحياة والاطلاع، فكيف يمكن أن تكونوا حماة لإحدى القلاع ـ حيث إن اسمكم هو حماة وحراس هذه القلعة ـ ولكنكم دخلتم إلى إحدى الغرف وأغلقتم الباب خلفكم دون أن تعرفوا ما الذي يحدث خارج أسوار القلعة أو في الخنادق أو على بعد

كيلومتر واحد منها فضلاً عن خمسة فراسخ؟! فهل يمكن أن تكونوا حماة لهذه القلعة؟! لقد كان هذا هو وضعنا.

أما الآن فقد تحسنت الأحوال كثيراً من هذه الناحية لدى مقارنتها بالماضي، وكان هذا من تأثير الثورة، فأحد آثار الثورة هو أنها دفعت بنا إلى معترك السياسة وقضايا الحياة، ووسعت من ادراكاتنا، وجعلت علماء الدين كمجموعة متميزة يخوضون ميادين الحياة المختلفة»[1].

قدر النعمة

إنّ على المؤسسة العلمائية أن تعرف قدر الثورة وقيمتها أكثر من أية فئة أُخرى، وأن تحافظ على حرمتها وتعتبرها نعمة إلهية، وأن تجعل من قولها وفعلها شكراً لله وثناءً عليه. كما يجب على طائفة العلماء أن يعتبروا الثورة محققة للآمال التي اكتنزتها السنوات الألف والأربعمائة من تاريخ الشيعة، وأن ينظروا إليها من هذا المنظار ويجتهدوا في الحفاظ عليها.

وفي السطور التالية يكشف سماحة القائد الستار عن هذا المشهد مبيّناً ملاحظات دقيقة عندما يقول:

«إنّ الشك يتبادر إلى ذهني أحياناً بأن بعضنا ـ نحن المعممين ـ لا يدرك جيداً عمق عظمة تشكيل حكومة على أساس الإسلام، أي حكومة القرآن والشريعة الإسلامية وفقه آل محمد ﷺ.

إنّ تشكيل هذه الحكومة يعتبر أمراً عظيماً جداً، ولكن الإنسان عندما يكون في وسط الحدث فإنه لا يشعر بعظمته ولا يدركه.

إنّ بإمكانكم أن تلاحظوا أنه بعد عام ٤١ للهجرة ـ أي عام صلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ـ وحتى زمن تشكيل نظام الجمهورية الإسلامية، لم تقم

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من نوشهر ١٣٧٢/٢/١٨ هـش.

ذات يوم حكومة على أساس القرآن يرأسها شخص عادل ، فهل هذا مـزاح؟ أي أن الإمام الصادق والإمام الباقر والإمام موسى بن جعفر والأئمـة(عليهم السلام) بعـد وقوع حادثة عاشوراء ـ وطبقاً لما يفهمه المرء من مجموع حيـاتهم ـ كـانوا يسعون جميعاً لإقامة حكومة إسلامية في مرحلة قريبة من زمانهم، سواء أكان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، ولدينا العديد من الروايات في هذا المجال.

فقد روي عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفـر(عليه السلام): إنّ عليـا(عليه السلام) كان يقول إلى السبعين بلاء، وكان يقول بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نرّ رخاء؟ فقال أبو جعفر (عليه السلام): يا ثابت إن الله تعالى كانَ وقّت هذا الأمـر في السبعين، فلما قتل الحسين اشتدّ غضب الله على أهل الأرض، فأخّره إلـى ستين ومئة سنة فحدثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع الستر، فأخّره الله ولم يجعل لـه بعد ذلك وقتا عندنا [1].

[إنّ الأئمة(عليهم السلام)] كانوا يعملون بهذا الأسلوب، أي التحرّك من أجل إقامة حكومة على أساس القرآن.

وأما ما عدا الأئمة(عليهم السلام) فإن أولادهم ـ كزيد بن علي، والحسين بن علـي «شهيد فخ»، ومحمد بن عبد الله «صاحب النفس الزكية»، وإبراهيم بن عبد الله وسواهم ـ كانوا يسعون من أجل إقامة حكومة العدل وتشكيل حكومة علوية.

إنّ النهضات الصحيحة التي قامت كانت تسعى من جانبها هـي الأُخـرى لعلّها تستطيع إقامة حكومة على أساس القرآن؛ فما المقصود بحكومـة علـى أساس القرآن؟

يعني أولاً: أن تكون القوانين والقواعـد الحاكمـة علـى ذلـك المجتمـع والأساليب العامة والاجتماعية السائدة فيه قائمة على أساس الحكم الديني.

---

(١) بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي ج ٥٢،ص ١٠٥.

وثانياً: أن يكون الشخص المتصدّي لهذه الحكومة متّصفاً بما يتطابق مع المعايير الدينية للحكم»[1].

لقد كانت الحكومة الدينية حلم علماء الدين أيضاً؛ إنهم كانوا يشعرون بالحزن العميق، ويتألّمون لفصل الشريعة عن الحكومة، ويعلّقون آمالهم على اجتماعهما معاً من جديد في يوم من الأيام:

«إنني رأيت لدى بعض العلماء الكبار أملاً وحلماً بإقامة الحكومة، ومن هؤلاء المرحوم السيد الرضيﷺ، حيث يشمّ ذلك من بعض أشعاره ونقاشاته مع الخليفة العباسي، إذ يبدو أنّ ذلك الرجل العظيم كان يأمل ويطمح إلى تشكيل الحكومة والخلافة، ثم نجده يموت وهو في ريعان الشباب ـ عام ٤٠٦هـ ـ أي قبل شقيقه الأكبر علم الهدى بنحو ثلاثين عاماً.

وكذلك ابن طاووس حيث لاحظت في أحد مؤلفاته أنه كان يحمل نفس هذه الفكرة، ولربما كان ذلك في كتابه «كشف المحجة» وهو من كتبه النفيسة، وقد كتبه لإبنه، وإن كنت الآن بعيد العهد بهذا الموضوع.

يقول ابن طاووس في هذا الكتاب: أنه فَهَم من أخبار أهل البيت أنّ واحداً من هذا البيت ـ أي بني هاشم ـ سيشكّل حكومة في عصر الغيبة وسيكون على رأسها، وأنه كان يأمل أن يكون هو ذلك الشخص.

وكأن ذلك الرجل العظيم كان يرى في نفسه أنه جامع لشرائط الحكومة، والتي لابد وأن تكون مجموعة في شخص مثله»[2].

وفي القرن الأخير[3] عندما قامت النهضات الاجتماعية في المجتمعات الشيعية، كان للعلماء فيها حضور فعال، كما كانوا يضطلعون بدور القيادة

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من تبريز ١٣٧٢/٥/٥ هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

(٣) القرن العشرين .

والريادة. وفضلاً عن الالتحام مع آلام ومشاكل الجماهير فإن الهدف من هذا الحضور كان هو السعي لأن تكون الحكومة قريبة من الشريعة، وأن تكون إدارة شؤون المجتمع منطبقة مع أحكام الدين أكثر فأكثر:

«في الماضي القريب، كان العلماء الذين صادقوا على المشروطة[1] ـ المرحوم الآخوند الخراساني[2] والمرحوم الشيخ عبد الله المازندراني[3] والمرحوم السيد إسماعيل الصدر[4] وسواهم ـ يقولون: لقد اقتربنا خطوة الى ما هو أقرب الى الحكومة الإسلامية.. فعندما وضعوا ذلك البند بملحق الدستور في عصر المشروطة أحسّ المرحوم الشيخ فضل الله النوري[5] والآخرون بأنهم حققوا مكسباً عظيماً، وهو كذلك في الواقع»[6].

إنّ الثورة الإسلامية جسّدت هذه الآمال التاريخية على أرض الواقع، وبادرت إلى مطابقة الشريعة مع الحكومة على نطاق أوسع مما كان متوقّعاً، فإذا كان هدف علماء المشروطة هو أن يقوم الفقهاء المنتخبون بالإشراف على قوانين مجلس الشورى الوطني ـ وهو الأصل الذي لم يطبق إلا على

---

(١) انظر هامش صفحة ٢٣.

(٢) محمد كاظم بن حسين، ولد في مشهد عام ١٢٥٥هـ ق، كان مرجعاً للتقليد وقائداً لنهضة المشروطة في إيران، توفي عام ١٣٢٩هـ ق في مدينة النجف الأشرف.

(٣) عبد الله مازندراني، ولد في مازندران عام ١٢٥٦هـ ق، كان مرجعاً للتقليد وقائداً لنهضة المشروطة في إيران.

(٤) اسماعيل صدر، ولد في أصفهان عام ١٢٥٨هـ ق، مرجع تقليد، أصدر فتواه الداعمة لحركة الشعب، من قادة المشروطة في إيران.

(٥) فضل الله بن عباس، ولد في منطقة كجور بمازندران عام ١٢٥٩هـ ق، فقيه مجتهد، قائد نهضة المشروطة المشروعة في إيران، أُعدم في طهران عام ١٣٢٧هـ ق في عهد محمد علي شاه.

(٦) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من تبريز ١٣٧٢/٥/٥هـ.ش.

صورة نصف بند في المجلس الثاني ـ فإن الثورة الإسلامية، وبالإضافة إلى تحقق هذا الأصل في مجلس صيانة الدستور، وضعت في اعتبارها أيضاً آليات أُخرى للإشراف الشرعي، وذلك من قبيل الإشراف العام للولي الفقيه على كافة الأجهزة التنفيذية والحكومية.

وهذه الخطوات ـ وإن بدت الآن سهلة وبسيطة ـ تتضح قيمتها لدى إلقاء نظرة على تاريخ التشيّع:

«إنّ لكم أن تقارنوا الآمال والأحلام التي اكتنزها ألف عام من الزمان مع ما حققه أحد الرجال الإلهيين في برهة زمنية وفرصة رحمانية ونفحة من النفحات الربوبية... لقد كانت هذه فرصة إلهية جمع الله تعالى أسبابها، وهيّأ لها شخصاً كالإمام الخميني، وإن الله إذا أراد شيئاً هيّأ أسبابه»[1].

وللأسف، فإنه ينبغي القول بأن بعض العلماء ـ ومع كل هذا ـ لا يقدّرون قيمة هذه العظمة، بل يتعلّلون بأقل المعاذير، فيسلكون سبيل المخاصمة وعدم الإنصاف، ويحوّلون توافه الأُمور إلى عظائم، ويتجاهلون الخطوات الواسعة التي اتخذت في هذا المجال:

«الحقيقة هي أنّ بعض العلماء لم يعتبروا أنفسهم جزءاً من هذه الثورة، والواقع أنّ بعض العلماء لم يتحمّلوا المسؤوليات الجسام لهذه الثورة، بل الأدهى من ذلك حقاً هو أنّ بعض العلماء لم يكونوا مستعدّين حتى للإيمان برسالة الثورة بعد انتصارها!

فالأمر الذي كان مفهوماً لشعوب العالم والشعوب المستضعفة وللكثير من المراقبين الدوليين لم يكن مفهوماً بالنسبة لهم! وإن هؤلاء البعض هم الذين

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من تبريز ١٣٧٢/٥/٥هـش.

جعلوا من العيوب الصغيرة في نظام الجمهورية الإسلامية عيوباً كبيرة وأساسية»[1].

إنّ هؤلاء يتخلّون عن المسؤوليات الجسام للثورة، ثم يتوقّعون منها أن تفعل المستحيل وتقوم بالمعجزات. إنهم لا يكفّون عن الانتقاد وتتبّع العيوب، وكأنهم يتوقّعون حكومة خالية من العيوب والنقائص، متناسين محدودية الحكومة ومشكلاتها في المجتمع البشري:

«إنهم يهبّون متحمّسين للاعتراض وطرح الاشكالات والتشدّق بالحماقات بمجرد وجود خلل تافه هنا أو هناك طبقاً لسلائق البعض وآرائهم الشخصية. وبمحض التعرض لمشكلة في إحدى الدوائر الحكومية والاصطدام مع أحد الموظفين فإنهم يسرعون إلى الهذيان والمهاترة بأن هذا العهد ما زال كالعهد السابق !

أفليس هذا كله نابعاً من عدم الفهم لما حدث؟! أليس هذا ناشئاً عن الجهل بالنعمة الإلهية؟! أم أن مردّه إلى إنكار النعمة الإلهية لا سمح الله؟! ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[2].

أفليس هذا جفاءً لحركة بهذه العظمة؟! وهل ستصلح كافة الأُمور في الحكومة بكاملها بمجرد أن تصبح حكومة صحيحة وموازينها كاملة؟ فكيف يمكن إثبات ذلك وبرهنته؟

في عهد أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان مثالاً للعدل والتقوى ـ فهل تعرفون من هو أعدل وأتقى وأصدق في أحكام الله وأخشن في ذات الله من أمير المؤمنين؟ ـ هل كان جميع أولئك الولاة الذين اختارهم أمير المؤمنين وأرسلهم إلى الأمصار يشبهون أبا ذر وسلمان؟ كلا، فلم يكن هناك سوى

---

(١) خطاب في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧ هـ ش.

(٢) سورة النحل: ٨٣ .

عدد نادر ومحدود كأبي ذر وسلمان وعمّار، وأما الباقون فكانوا يخطئون، وما عليكم إلاّ أن تراجعوا التاريخ.

لقد كان «زياد بن أبيه» أحد ولاة أمير المؤمنين، وكان حاكماً على منطقة شاسعة، وكان هناك الكثيرون على هذه الشاكلة في أنحاء وأرجاء البلدان الإسلامية.

وأما الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فقد كان قائد جيشه هو «عبيد الله بن عباس»، وكما تعرفون فإنه هو الذي ذهب متخفّياً بالليل إلى معاوية ـ الذي كان في الجبهة الأُخرى ـ وتفاوض معه، ثم أخذ منه أموالاً، وترك موقعه في الجيش وانضم إلى معسكر الأعداء.

فلقد نام الجند ثم استيقظوا صباحاً وانتظروا خروجه من الخيمة فلم يخرج، حتى إذا مضت ساعة ثم ساعتان، دخلوا الخيمة فلم يجدوه! ولما دققوا النظر في الخيمة وجدوا شقّاً في أحد جوانبها، فعلموا بالأمر. فمن الذي كان على سدّة الحكم؟ إنه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

فلماذا كل هذه التوقّعات الخاطئة، حتى إذا أخطأ أحد الرؤساء أو المرؤوسين أو عدد من موظفي الدوائر الحكومية أو أحد القضاة أو مدير لأحد الأقسام في بعض مؤسسات الحكومة الإسلامية، فإن الشخص الذي حدث معه هذا الخطأ يسرع إلى توجيه الإهانات إلى أصل النظام الإسلامي وأصل الجمهورية الإسلامية وأصل الحكومة الإسلامية»؟![1].

وللأسف الشديد، فإن مثل هذه الإهانات والإدانات تصدر من أُولئك الذين كانوا يؤثرون الصمت والسكوت في عهد حكومة الجور والإرهاب، وكانوا يمرّون بسلام على آلاف المظالم وهم يتلون آيات التقية والسكوت!

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من علماء الدين من تبريز ١٣٧٢/٥/٥ هـ ش.

لقد كانوا لا يعرفون لأنفسهم مسؤولية سوى المدرسة والمنزل والمحراب، وكانوا يعتبرون التدخّل في السياسة نقصاً، ويعدّون الحديث في شؤون الحياة الدنيا عيباً، ويقولون: دعوا ما لقيصر لقيصر، مؤثرين لأنفسهم طريق السلامة والعافية، حتى إنهم كانوا لا يجدون على أنفسهم جناحاً في كيل بعض الثناء للنظام السابق عندما كانوا يتعرضون أحياناً للترهيب أو الترغيب!

لقد كانوا يقيمون آلاف الأدلة والتبريرات على الاستسلام والخضوع، بل ويعتبرون ذلك من واجباتهم العقلية والشرعية:

«إنّ أُولئك الذين كانوا يؤثرون الراحة والعافية، لم يتعبوا أنفسهم مطلقاً، ولم يتحمّلوا صفعة واحدة في سبيل الله، بل ولم يتحمّلوا كلمة واحدة سيّئة في سبيل الله وفي سبيل العلم وفي سبيل العلماء. وإنّ أصحاب تلك القلوب المريضة مازالوا يدسّون أنوفهم هنا وهناك، ويثيرون الفتن ضد الثورة وضد الجمهورية الإسلامية والمسؤولين في حكومتها!

إنّ أُولئك الذين تصالحوا مع أجهزة الطاغوت العاتية، ولم ينبسوا أمام النظام الطاغوتي ببنت شفة، هبّوا اليوم للنَيْل من نظام الجمهورية الإسلامية ـ الذي لا يدعي الكمال على كل حال ـ وتوجيه اللدغات كالعقارب إلى المؤسسات القضائية والمالية والأجهزة الحكومية والإدارية في هذا النظام، وكما يقول الشاعر:

أسدٌ عَلَيَّ وفي الحروب نعامةٌ..!

إنني رئيس للجمهورية، ولكن أقسم بالله العلي العظيم، أنني لا أعتبر نفسي أفضل من سائر الطلبة ذرة واحدة ولست كذلك. لقد وضعوا على عاتقي هذه المسؤولية، وإنني أبذل أقصى جهدي لأداء هذه الإمانة وتسليمها إلى من سيأتي بعدي.

إننا لا ندّعي شيئاً، فمتى طلبنا منكم أن تضعونا في هـذا المنـصب؟ فـي تلك الأيام التي كنّا نخوض فيها الجهاد لم نكن نفكر في تحقيق أدنى حد من الشهرة والفخر وما إلى ذلك، فقد كنّا نعمل جاهدين على تحقيـق الأهـداف المرجوّة وحسب، ولكن الله سبحانه وتعالى قدّر هذا الأمر ووضع على عاتقنا هذه المسؤولية، ومن الطبيعي فقد كان أفضل ـ اليّ ـ وأرجى للراحة فيما إذا واصلتُ الخدمة في الحوزة.

إنه بمجرد أن يتعرقل أحد الأعمال في مكان ما، فـإن هـؤلاء الثرثـارين والمتحذلقين سرعان ما يسلقوننا بألسنة حداد، هذه الألسنة التي طالما صمتت لسنوات متمادية إزاء الظلم المجسّد، ولكنها عادت اليوم لتنطلق في مواجهـة العدل الإسلامي»![1].

مسؤولية الحوزة

على الحوزة أن لا تفكر بأن مسؤوليتها قد انتهت حيال الثورة، وأنها قـد قامت بدورها كاملاً، أو أن تعتبر أنّ مسؤولية مواصلة الطريق لا تقع إلاّ على كاهل عدد ضئيل من أفرادها، وإنّما عليها أن تؤمن بـأن دورهـا قـد أصـبح مضاعفاً في استمرار الثورة، وأنّ الثورة في حاجة إلى ما تبذلـه الحـوزة مـن التزام ومساندة على غرار ما فعلته في مراحـل قيـام الثـورة وتـشكيلها، وأنّ تخلّيها عن الثورة سيؤدي بالثورة إلى الانحراف والابتعاد عن جادة الصواب:

«**وعلى هذا، فإن العلماء يقفون مرفوعي الرأس أمام الشعب بسبب الثورة، إلاّ أنّ الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، أي أنّ مجرد وجـود مـاضٍ حـسن فـي الثورة لا يكفي؛ لأن الثورة ليست أمراً دفعياً، بل تدريجي، فقيامهـا تـدريجي وبقاؤها أيضاً تدريجي كبقاء سائر الأشياء.**

---

(١) خطاب في جمع من الفضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١ هـ ش.

إنّ الثورة تبقى عندما تكون هناك حركة ثورية دائبة، وإلاّ فإن ما سيبقى لن يكون ثورة. فانظروا كم من الثورات قامت في العالم، ولكن كم هو عدد البلدان التي ظلت محافظة على خطّها الثوري وعلى ما أعلنته من مبادئ ثورية وما رفعته من شعارات؟ ستجدون أنّ عددها ضئيل جداً.

والسبب في ذلك هو أنّ الحركة والعمل والجِد الثوري يعد من لوازم حياة الثورات، فلو انعدم انعدمت حياة الثورة، وهذا أمر حتمي وقهري.

إنّ الثورة إذا كانت ديمومتها منوطة بدوام الجِد الثوري، فإن جزءاً كبيراً من هذا الجد الثوري يقع على عاتق من حملوا صارية الحركة الثورية الإسلامية منذ البداية، أي علماء الإسلام»[1].

على العلماء أن يدركوا جيداً أنّ مواصلة الطريق لا تخلو من المشاق والمصاعب كما هو شأن البداية، وأنّ ذلك يتطلب الحرمان والمثابرة ومجانبة فراغ البال، ويستلزم فراق الأهل والديار، ويستتبع إساءة المسيئين وطعن الطاعنين، ويؤدي إلى الإصابة بالجروح وإلى الاستشهاد، وفي كلمة واحدة، فإنه يحتّم على الحوزة المزيد من الفداء والتضحية:

«إذا ما أردنا أن نقوم بواجباتنا على الوجه الصحيح، فعلينا أن نعلم بأن مواصلة المسير من الآن فصاعداً لن تكون أسهل مما مضى بالتأكيد؛ لأن الطريق شاق.

إنّ القضية من الآن فصاعداً هي قضية الحفاظ على القيم، وإيصالها إلى أذهان شعوب العالم، والذبّ عنها داخل المجتمع الإسلامي، وهذا ليس ممكناً بمجرد القول، إنه ممكن بالعمل والجدّ والتضحية والأمل والاستعداد والعلم والتقوى.

---

(١) خطاب في جمع من علماء الدين من محافظة مازندران ١٣٦٣/٢/١٧ هـ.ش.

ومن الآن فصاعداً خلال هذه المرحلة، فإن العلماء الذين هم حماة ودعاة نشر هذا الفكر الإلهي في كافة أصقاع العالم إذا ما تحلّوا بهذه الصفات فإن هذا الفكر سيشقّ طريقه نحو التقدم، ولكن إذا ما أحسّ العلماء بالتعب والملل والإحباط واليأس ـ لا قدّر الله ـ واعتادوا على اليسر وراحة البال، وتهرّبوا من المخاطر والمصاعب، فإن هذا العبء سيبقى ملقىً على الأرض، ولا يواصل هذا الفكر تقدمه نحو الأمام»[1].

وفي نهاية هذه المقالة، نشير إشارة مقتضبة إلى المسؤوليات الثورية التي تقع على كاهل الحوزة:

١ـ يجب على الحوزة رعاية حرمة الإمام والثورة في داخلها، وأن تتذكر النعمة وتفي بحقّها، وأن تحافظ على شعائر الثورة، وتظهر أمام الناظرين بوجه الحوزة الثورية، وفي كلمة: لابدّ أن يَبْدو لَوْن الثورة ويعبق شذاها من بين أبواب وجدران الحوزة:

«على حوزة قم العلمية والحوزات الأُخرى أن لا تنسى حق الثورة والإمام على الحوزات؛ فإن للثورة والإمام قدس سره بالتأكيد حق الحياة على حوزاتنا العلمية، ولو لم تقم هذه الثورة وهذه الحركة العظيمة، لكان ذلك الأُسلوب الذي اتّبعته الأجهزة المناهضة للدين قد أفرغ الحوزات من مضمونها وقضى عليها ومحاها بالتدريج من الوجود، بعد أن كان قد محا مضمونها تماماً. كانت (تلك الأجهزة) تتحرك بهذا الإتجاه والهدف.

إنّ الاتجاه نحو الدراسة في الحوزات كان قد انحسر فعلاً، وفي الحقيقة فإن قيمة الحوزة كانت تقترب من الصفر في التقويم الاجتماعي، فهكذا كانوا يتحركون ويعملون، ولكن هذه الثورة وهذا الإمام العظيم نفخا في الحوزة

---

(١) خطاب في جمع من العلماء والطلاب الأحرار ١٣٦٩/٨/٥ هـ ش.

روح الحياة، وأعادا لها كرامتها في العالم وفي المجتمع، كما منحاها شخصيتها ورفعا رأسها وجعلا جبينها يشعّ بالنور والضياء»[1].

٢ـ يجب أن لا تصبح الحوزة ميداناً يصول ويجول فيه من يحملون الأحقاد والضغائن للثورة، وينبغي أن لا يعتبر كون الإنسان ثورياً بمثابة ذنب لا يغتفر كما كان الحال في الماضي القريب! كما لا ينبغي أن يتحوّل المعارضون للمقاومة والجهاد إلى قادة يتصدّرون واجهة الأحداث.

على أبناء الثورة في الأوساط الحوزوية أن يكونوا في طليعة المواجهة ضد التيارات العاتية التي تريد إعادة الحوزة إلى عصور الصمت والعزلة، وأن يصدّوا هذه التيارات المهاجمة ويدافعوا عن «حوزة الإمام والثورة»:

«أيها الطلبة الشباب، أيها الفضلاء الأعزاء، وأنتم أيها المدرسون المحترمون وعلماء الحوزة، إن هذه الحوزة الثورية الواعية أمانة في أيديكم اليوم، فخلّصوها من شر هذه النسور الجارحة التي تتحيّن الفرص لتنقضّ على الفريسة وتزدردها.

يجب عليكم أنّ تحافظوا عليها ويجب أن لا تسمحوا بإهانة مقدسات الثورة في الحوزات العلمية.. اعملوا على أن تبقى الحوزة حوزة ثورية، وانظروا للثورة بعين الاحترام والتقدير داخل الحوزة.

إنّ الحضور الثوري، والمشاعر الثورية، والوعي الثوري، والسياسة الثورية، هي السياسة الأساسية للحوزة العلمية»[2].

إنّ التيار المناهض للثورة في الحوزات لا يفعل فعله فجأة ودفعة واحدة، بل بالتدريج. إنه يعرّض النشاطات الثورية للحوزويين للشك

(١) خطاب في بداية درس بحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩ هـ ش.

(٢) خطاب في جمع من الفضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١ هـ ش.

والإنكار، ويقسّم علماء الدين على فئات وأجنحة خاصة، ويصنفهم إلى علماء حكوميين وعلماء غير حكوميين، ويطلق على العلماء المحبّين للثورة والنظام اصطلاح وعّاظ الحكومة ووعاظ البلاط، ويفسّر استقلال الحوزة على أنه عدم اكتراث بالثورة والنظام ويعطي لذلك أصالة وقيمة خاصة، ويعيد الكرامة للشخصيات المعادية للثورة في أوساط الحوزة ويسند إليهم دوراً محورياً، ويكرّس حضوره هنا وهناك، ويسعى جاهداً إلى الحدّ من إيمان الحوزويين بالمباني الثورية، وما إلى ذلك من الممارسات.

ويقول سماحة القائد حيال هذا المدّ التدريجي:

«على الطلبة الشباب والفضلاء والتنظيمات الحوزوية أن لا يسمحوا لذوي النوايا السيئة بالتغلغل داخل الحوزات. إنهم لم يكونوا يجرؤون على التنفّس جرّاء سلطة الثورة وهيبتها، فلا تفتحوا أمامهم مجالاً للنفوذ حتى لا ينخروا الأسس العقائدية لدى المؤمنين كما تفعل الأرضة، ويزعزعوا إيمانهم بالثورة والإسلام الثوري والمبادئ الثورية»[1].

٣ـ على الحوزة أن تكون على علم بالتيارات العالمية المعادية للثورة، وأن تكون واقفة على كُنْه تحركات الكفر العالمي ضد الثورة، هذه التحركات التي باتت اليوم ممتزجة بالدعاية ضد الإسلام والتشيّع.

كما ينبغي على الحوزويين دراسة مئات بل آلاف الكتب والمقالات التي تستهدف الثورة والإسلام، ويضعوا أصابعهم على ما يركّزون عليه من محاور، فيعكفون على بحثها ومناقشتها في مؤسساتهم العلمية والتحقيقية، ويقبلون على دراستها بدقّة ومعرفة، ثم يقدمونها بالشكل والأسلوب المناسب:

---

(١) خطاب في بداية درس بحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩ هـ ش.

«إنّ هذا هو أحد الأعمال التي يجب على الحوزة إنجازها، أي توخّي التركيز، وجمع الكتب التي صدرت في العالم حول الثورة، سواء منها ما يعالج موضوع الثورة بشكل مباشر، أو ما يوجّه الشتائم والسباب للشيعة والإسلام بسبب الثورة، أو ما يمتدحنا منها ويبيّن ما لدينا من نقاط قوة كنّا نجهلها نحن أحياناً»[1].

٤ـ على الحوزة أن تبذل غاية جهدها في تدوين آيديولوجية الثورة، فتعدد مبانيها وأُصولها، وتقوم بتوضيحها والتعريف بها، وتفي بحقّها الآيديولوجي، وتقدم توضيحاً لائقاً وشفّافاً وتفسيراً دقيقاً ومعرفياً ومنطبقاً على الواقع في ما يخص مكوّنات ومستلزمات الثورة الإسلامية، وتعمل على إزالة الإبهام عن هوية الثورة إزاء التيارات الدعائية، والمعلومات المدوّنة والدقيقة، فتزيد من وعيهم حول الثورة الإسلامية في إيران، وتمنحهم أداةً للرد المنطقي على المعارضين والمنتقدين:

«على باحثي الحوزة في هذا المركز أن يجمعوا أمثال هذه الكتب في داخل البلاد ويخضعوها للدراسة، وعندما ننطق بكلمة «باحث» لا ينبغي أن تنصرف الأذهان فجأة إلى الكهول العاجزين عن العمل، فعلى الباحثين الشباب ـ من أمثالكم ـ أن يقوموا بتقسيم هذه الكتب وتصنيفها، ويعمدوا إلى تبيان فكر وعقلية الثورة، أو كما يقول الأوروبيون «آيديولوجية الثورة» ـ وهو الاصطلاح الذي لم نجد معادلاً له في اللغة الفارسية حتى الآن للأسف ـ ثم يقوموا بإصدار ذلك ونشره في عدة كتب ومجلدات بأساليب وطرق مختلفة، حتى إذا ما سألونا: ما هي ثورتكم؟ أجبناهم: ها هي ثورتنا.

---

(١) خطاب لدى استقبال ممثلي وطلاب الحوزة العلمية في قم ١٣٦٨/٩/٧.

وإنكم إذا لم تقوموا بإنجاز هذا العمل، فإن الآخرين ـ الذين لا يصلحون لذلك غالباً ـ سوف يَقْدمون على إنجازه»[1].

٥ـ إنّ الحفاظ على حرمة الثورة داخل الحوزة منوط بتكريم الشخصيات الحوزوية التي ضحّت من أجل الثورة وتحمّلت المصاعب في سبيلها، فلا ينبغي أن يصبح هؤلاء في طيّ النسيان ولربما منبوذين بمرور الأيام!

فعلى الحوزة أن تعرف مكانتهم وتسعى إلى تقديرهم، ولا تعرّضهم للسخرية والاستهزاء وتبذل قصارى جهدها لحلّ مشاكلهم:

«إنّ من حق الوجوه الثورية أن تحظى بالاحترام في الحوزات، فالطلبة الذين سارعوا إلى الجبهات وشاركوا في القتال، والذين أصبحوا مُعاقين والذين يقدمون الخدمات للثورة يتمتعون بمكانة رفيعة.

إنّ العمل من أجل الثورة يجب أن لا يعتبر نقطة ضعف في حق أُولئك الذين قدّموا خدماتهم للثورة طوال عدة أعوام، أو أُولئك الذين يقومون الآن بتقديم خدماتهم لها. كلا، فهذه نقطة قوة، ويجب أن تعطى قيمة خاصة واعتبار مميّز ـ قولاً وعملاً ـ لأُولئك الذين التحقوا بالجبهات»[2].

٦ـ على الحوزويين المضحّين أن يتحمّلوا المسؤولية الجسيمة لبقاء الحوزة حوزة ثورية، وأن يدافعوا عن كيان الثورة داخل الحوزة، ويجب على الحوزويين المقاتلين والمعوقين والأحرار الذين أوقفوا حياتهم وأنفسهم في سبيل الإمام والثورة أن يحافظوا اليوم على كل هذه التضحيات وكافة تلك العطاءات، وعلى التزام الحوزة إزاء الإمام والثورة.

كما ينبغي على جيل الحوزويين التعبويين أن يحملوا لواء الحوزة

---

(١) خطاب لدى استقبال ممثلي وطلاب الحوزة العلمية في قم ١٣٦٨/٩/٧.

(٢) خطاب في بداية درس بحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩.

الثورية عالياً، ويتذكروا واجبات الحوزة حيال الثورة ويمهّدوا السبيل أمام تحقق أهدافها:

«إنني أتصوّر أنّ بإمكانكم أن تقوموا بدور عظيم جداً أنتم أيها الطلبة ويا أهل العلم، الذين تحمّلتم المتاعب والأذى في مرحلة الأسر ونجحتم في اجتيازها بتفوّق، وكذلك هم كافة الطلبة المقاتلين وجميع أهل العلم الذين خبروا ساحة القتال وعايشوا ظروفها الخاصة، ولهذا فإنني أنظر إليكم بعين الأمل.

فعلى كل منكم أيها الأعزاء أن يسعى لتفعيل تلك الخبرة القيّمة التي اكتسبتموها من هاتين الساحتين في سبيل التقدم بالثورة إلى الأمام نحو الأهداف السامية، ونشر هذا الفكر على مستوى العالم، وتعميقه داخل المجتمع.. فعندما تكون القضية قضية اجتياز طريق وعر والصعود إلى قمة جبل مرتفع، فإن المرء يقول للجميع: سيروا في هذا الطريق حتى تصلوا إلى القمة، ثم يذكّرهم بالمزايا التي سينالونها لدى بلوغ الذروة.

ولكن الذي تعوّد على الجري لمسافات طويلة، واعتاد صعود الجبل، ويتمتع جسمه باللياقة الكافية، فإن الأمل به أكبر. وهكذا أنتم، فإن لهذا الأسر ولهذا الجهاد والمقاومة في ميدان القتال قيمةً كبيرة، فعليكم استثمار هذه الحصيلة الثمينة»[1].



(١) خطاب لدى استقبال جمع من طلبة الحوزة الأحرار ١٣٦٩/٨/٥ هـ.ش.

المقالة الثالثة

الحوزة والدفاع المقدس

- ملابس القتال
- تأثير علماء الدين في الحرب
- مكاسب الحوزة من الدفاع المقدس
- تكريم المضحين

لقد كانت الحرب المفروضة فرصة ثمينة بالنسبة للحوزات، إنها أعـادت ذكرى حضور العلماء في جبهـات الجهـاد، وبيّنـت التـضامن بـين العلمـاء والشعب في أيام الصعاب والمشاق.

فلقد كان علماء الدين حماة استقلال ووحدة أراضي البلاد علـى طـول التاريخ الإيراني، وكشفوا عـن دورهـم الطليعـي لمـرات عديـدة علـى هـذا الطريق:

«عندما قام البريطانيون بإنزال قوّاتهم في بوشهر، فإن المرحوم آية الله العظمـى السيد عبد الحسين اللاري[1] ـ ذلك العالم المجاهد من الطراز الأول ـ أعلـن الجهاد وحمل السلاح وأمر الآخرين بالتسلّح، وتصدّر مكانه في طليعـة الـشعب، وجاهد»[2].

إنّ علماء الدين عبّروا عن رغبتهم في علوّ المسلمين والدفاع عن كرامة الدين من خلال إصدار الفتاوى والدعم المعنوي والمادي، والحضور المباشر في ميادين المعارك.

وفي القرن الأخير سجّل علماء الدين الـشيعة حـضورهم فـي عمليـات المقاومة ضد الاستعمار علـى جبـين تـاريخ شـعب إيـران والعـراق ولبنـان وغيرها:

---

(١) السيد عبد الحسين بن عبد الله، ولد عام ١٢٦٤هـ .ق، فقيه مجتهد، شارك في نهضة المشروطة وفي مقاومة الاستعمار في إيران، توفي عام ١٣٤٢هـ ق ودفن في جهرم من توابع مدينة شيراز.

(٢) خطاب لدى استقبال أئمة الجماعات والفضلاء والطلاب عشية شهر رمضان المبارك ١٣٧٠/١٢/١٤.

«عندما أقدم الإيطاليون على غزو ليبيا وقاموا باحتلالها في تلك السنوات، فإن المرحوم السيد محمد كاظم الطباطبائي[1] ـ صاحب العروة ـ وبعضاً من مراجع قم أصدروا فتوى في الجهاد لصالح الشعب الليبي المسلم وضد الإيطاليين»[2].

ويقول سماحة القائد في واحدة أُخرى من ذكريات حضور العلماء في جبهات الحرب:

«لقد قدّم علماؤنا الكثير في الماضي، وكان لهم حضور في الحروب المختلفة، ففي ثورة العشرين«في العراق عام ١٩٢٠م» كان علماؤنا في طليعة المجاهدين، وكان المرحوم الميرزا محمد تقي الشيرازي[3] ـ الميرزا الثاني ـ ومن بعده المرحوم شيخ الشريعة الأصفهاني رحمه الله يتوليان القيادة في ميدان الحرب.

لقد التقيت اثنين من العلماء كانا قد التحقا بتلك الجبهة وقد ارتديا ملابس القتال وشاركا في المعارك، أحدهما المرحوم آية الله الكاشاني رحمه الله، والثاني أحد علماء مشهد»[4].

---

(١) السيد محمد كاظم اليزدي، ولد في يزد عام ١٢٤٨هـ. ق، وصار مرجعاً للتقليد بعد رحيل الميرزا الكبير، توفي عام ١٣٣٧هـ. ق ودفن بجوار قبر أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

(٢) خطاب لدى استقبال أئمة الجماعات والفضلاء والطلاب عشية شهر رمضان المبارك ١٣٧٠/١٢/١٤ هـ. ش.

(٣) راجع صفحة ٢٦ تجد فيها بيان حاله مع تاليبه، أي الأصفهاني والكاشاني.

(٤) خطاب لدى استقبال جمع من الفضلاء وأئمة الجمعة والجماعة من أصفهان ١٣٦٦/٩/١هـ. ش.

ملابس القتال

لقد بقي العلماء في مرحلة من حياتهم بعيدين عن جبهات الجهاد، وهي تلك المرحلة التي اتخذ فيها الصراع طابعاً داخلياً وكان يهدف إلى الإمساك بزمام السلطة والسيطرة، فالحروب كانت حروب الأمراء والمتطلعين إلى السلطة الذين ادّعى كل منهم لنفسه جاهاً وتربّع على أريكة للحكم، وكان هذا كله نابعاً من أطماع أصحاب المصالح الذين كانوا في خدمة أرباب السيطرة والقوة.

وكان من نتائج هذه المرحلة أنها أدت إلى ابتعاد العلماء عن ميادين الجهاد وعدم ارتداء الزيّ العسكري، فارتداء الزيّ العسكري في الكتب الفقهية بات رمزاً لعدم المروءة، ومثالاً شائعاً للتناقض بين السلوك والسجيّة والمكانة الاجتماعية.

ويقول سماحة القائد موضّحاً ذكريات الأيام الأُولى للحرب:

«في عام ١٣٥٩هـ. ش «١٩٨٠م» حينما كنت أذهب أحياناً إلى المناطق الحربية، كنت أعود مرة كل أُسبوع إلى طهران من أجل صلاة الجمعة، وبمجرد وصولي كنت أتوجّه إلى سماحة الإمام، وذات مرة انطلقت إلى سماحته وأنا أرتدي الزيّ العسكري، فعند صعودي إلى الطائرة للعودة إلى طهران كنت أرتدي العباءة والعمامة فوق الزيّ العسكري، حيث لم تكن لدي ملابس لأرتديها بدلاً من الملابس العسكرية، وهكذا ذهبت إلى الإمام.

وعندما وقع بصره على هذه الملابس العسكرية قال شيئاً أظن أنّي قد دوّنته في إحدى الأوراق، ولكنني ما زلت أتذكره إجمالاً، فلقد قال سماحة الإمام ما معناه: إن ما يبعث على الفخر هو أن يرتدي أحد علماء الدين ملابس القتال، فهذا هو المطلوب، وهو ما ينبغي أن يكون.

وفي الحقيقة، فإنهم كانوا فيما مضى يعتبرون ارتداء عالم الدين للملابس العسكرية أمراً مخالفاً للمروءة، وقالوا في باب إمام الجماعة إنه يجب أن يكون عادلاً وأن لا يفعل ما يخالف العدالة والمروءة، ومن الأُمور المخالفة للمروءة التي كانوا يذكرونها هو أن يرتدي إمام الجماعة الملابس العسكرية مثلاً، وكان ذلك في عداد أن تصدر عنه حركة خارج حدود الأدب والاحترام في السوق مثلاً أو في الطرقات العامة»[1].

إنّ علماء الدين يشعرون بالفخر؛ لأنهم لم يكونوا علماء للحكام ولم يرتدوا لباس العبودية والذُّلّة في عهد الطغاة من السلاطين، إنّ منزلتهم كانت أسمى من قبض الرواتب وارتداء الملابس العسكرية أو المدنية.

وأما في عهد نظام العدل والحق، فإنهم يفخرون بارتداء ملابس الجند والجيش، ويعتبرون ذلك إعلاءً لقدرهم ومكانتهم:

«في الواقع، كان ارتداء ملابس الجند مخالفاً للمروءة، بل وخلافاً للعدالة، وأما ملابس جند إمام الزمان فإنها تناسبنا ـ نحن أصحاب هذا الادّعاء ـ أكثر من أي شخص آخر»[2].

---

(١) خطاب لدى استقبال طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية ١٣٦٥/٢/٦ هـ ش.

(٢) خطاب في حشد كبير من الطلبة المتوجهين إلى الجبهات ١٣٦٦/٨/٢٩هـ ش.

تأثير علماء الدين في الحرب

لقد استطاعت الحوزة القيام بنشاطات مختلفة في الحرب المفروضة، والتعبير عن حضورها الفعال في المجالات المختلفة طوال أعوام الدفاع الثمانية:

١ـ الحفاظ على الروح المعنوية:

إنّ جهاد شعبنا لم يكن دفاعاً عسكرياً فحسب، بل كان مهداً لتربية الإنسان الموحّد العاشق، ومعبداً للحب والعرفان والمعنويات، فطُويت مراحل السير والسلوك في أخطار المعارك، وكشف النقاب عن آلاف النماذج من عبّاد الليل وأُسود النهار.

ولا شك أنه كان للحوزة وعلماء الدين دور عظيم وخالد في خلق هذه الأجواء، وهو ما عبّر عنه سماحة القائد بالقول:

«أقول لكم في جملة واحدة:

بها باشد كه مردى آسمانى — به جانى سرفرازد لشكرى را

يمكن لأحدكم أن يرفع بإيمانه الروح المعنوية للجيش ويمده بمعاني الجهاد العظيمة التي يحتاجها لتحقيق النصر»[١].

كما يقول سماحتة القائد في موضع آخر:

«إنّ جبهاتنا تمتاز عن كافة جبهات العالم بأنها محراب للعبادة يتلألأ بالأنوار المعنوية، إنّ جبهاتنا ليست جبهات للقتال فحسب، بل إنها جبهات للدعاء والمناجاة والعبادة والذكر والصفاء الروحي.

انظروا إلى وجوه هؤلاء الفتية كم هي مشرقة عندما يروحون ويغدون،

---

(١) خطاب في حشد كبير من طلاب الحوزة العلمية في قم ١٣٦٧/٣/١٩هـ ش.

فهذا يحدث ويتوفّر بوجودكم بينهم، إنكم عندما تذهبون إلى هناك تجعلون الناس ملكوتيين وإلهيين»[1].

٢ـ الالتزام بالأحكام الشرعية:

إنّ جبهة الدفاع المقدس كانت نموذجاً رفيعاً للإلتزام بالأمورالشرعية، ولربما كان هذا الالتزام منقطع النظير خلال جميع الاعصار، فالالتزام بأداء الواجبات وترك المحرمات وحتى الإتيان بالمستحبات واتّقاء المكروهات كان هو الصفة الغالبة لمقاتلينا، ولم يكن سرّ هذا الثبات وهذه الاستقامة في القتال سوى الحفاظ على هذه الروح المعنوية.

ولقد أشار سماحة القائد إلى اثنتين من الحوادث التاريخية التي وقعت في أيام الحروب والقتال، فأمّا أُولاهما فتتعلق بثورة «إبراهيم بن عبد الله بن الحسن المحض»:

«استشهد إبراهيم بن عبد الله في أحد المواطن، ثم استشهد أخوه بعده بعام واحد. وكان إبراهيم بن عبد الله قد ضرب خيامه وعسكر بقوّاته في الصحراء، ثم خرج ذات ليلة يسير بين خيامه ويتفحص عسكره، فطرق سمعه صوت لعب ولهو يصدر من بعض الخيام، حيث كان جمع من الجند يقهقهون ويعربدون، ولربما كان بعضهم سكارى، فبكى إبراهيم وقال: إننا سوف نُهزَم، ولقد هُزموا»[2].

وأما الحادثة الثانية فتعود إلى حرب صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين:

«مرض صلاح الدين الأيوبي ذات ليلة عندما حمل على بيت المقدس

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من العلماء وطلبة العلوم الدينية من محافظة يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ. ش.

(٢) خطاب في جمع من العلماء في جبهة الجنوب ١٣٦٧/٥/٥ هـ ش.

بهدف تحرير الشام من أيدي الصليبيين، فعاده الطبيب، ثم قال له: لابد لك من تناول شيء من الخمر حتى تبرأ من مرضك، فأمر صلاح الدين بأن يطوفوا بالعسكر ويطلبوا كأساً من الخمر من أجل شفاء الأمير.. فلما طافوا بالعسكر جميعاً لم يجدوا كأساً واحدة من الخمر، فقال صلاح الدين: هذا الجيش سينتصر، ولسوف نحقق النصر.

ولكنكم لا تقارنوا ذلك الجيش بجنودنا من أبناء حزب الله، فتناول الخمر في ذلك الزمان وبين أولئك الناس كان رائجاً، ولكن جندياً واحداً من بين ذلك الجيش الجرار الذي كان قد جهّزه صلاح الدين لم يكن يحتفظ لديه بشيء من الخمر حتى يعطيه للأمير..»[1].

لقد لعبت الحوزة والعلماء دوراً مؤثراً وأساسياً في منح الحصانة للجبهة العسكرية التي كانت تضمّ مئات الآلاف من الجنود وتمتد على عدة آلاف من الكيلومترات، وكان من الممكن أن تسبب الحرب الكثير من الآفات، إلّا أنّ المساعي التبليغية التي بذلها العلماء حالت دون ظهور هذه الآفات أو قللت من حجمها بدرجة كبيرة:

«لولا العلماء، فإن باستطاعة البعض أن يحافظوا على هذه الروح المعنوية وهذا الإيمان، وأما البعض الآخر فلا.

إنكم تعلمون أنّ درجات الإيمان مختلفة، فالبعض على درجة واحدة من الإيمان، والبعض الآخر على عشر درجات، ولهذا فإن ضعفاء الإيمان ينبغي ضخّ الإيمان دائماً في قلوبهم، وهذا لا يتسنّى إلاّ بوجود العلماء»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) خطاب في جمع من العلماء وطلبة العلوم الدينية المتوجهين إلى الجبهات ١٣٦٦/٨/٢٦.

٣ـ تقوية الروح المعنوية:

ثمة صلة وثيقة بين القوة العسكرية وتقوية الروح المعنوية للجيش؛ لأن عدد القوات المسلحة وامكاناتها المادية، يعين قسماً من المعادلات العسكرية في الحرب؛ أما القسم الأعظم من هذه المعادلات والأقوى تأثيراً فتعينه الروح المعنوية لهذه القوات.

وبالرغم من الضغوط الدعائية ضدنا في أيام الحرب، فضلاً عن شدة الحرب وتصاعد وتيرتها، إلّا أنّ ذلك لم يضعف من قوة الروح المعنوية لجند الإسلام، فلم يقعوا فريسة للتعب والإحباط، ولم يتأثروا بالصراعات الداخلية، وظلوا يواصلون طريقهم بإيمان وثقة.

إنّ الدور الأساسي للحوزة والعلماء في حضورهم التبليغي تمثّل في الحفاظ على القلوب قوية وثابتة، والإفاضة على الأقدام بالمزيد من الثبات والرسوخ، والحيلولة دون الضعف والتشتت، وتقوية اليقين والإيمان أكثر فأكثر:

«إنّ دوركم أيها العلماء لا يقل عن دور القادة بحال؛ فلو لم يكن هناك قائد لهذه الفرقة أو الوحدة أو الكتيبة أو الفيلق المتمركز هاهنا، لأصبح كجسد بلا رأس، ولو لم يكن فيه عالم من العلماء لكان كبدن بلا قلب.

إنّ الفكر هو الذي يمنح الإنسان والجسد نشاطاً وحيوية، وإنّ الروح المعنوية هي التي تبعث القوة في أعضاء بدن الإنسان، وإنّ قوة القلب هي التي تجعل قدم الإنسان ثابتة في ميدان الحرب وساحة الخطر، وإلاّ فإن جسد «مدرّس»[1] لم يكن سوى مجموعة من العظام، ولكنه استطاع بصفعة واحدة إسقاط رضا خان.

إنّ الذي جعل «مدرّس» مدرّساً هو قلبه، ولقد قلت مرات عديدة: إنّ

(١) انظر هامش صفحة ٧١. (لحديث عن السيد حسن بن اسماعيل الطباطبائي).

الذي يفرّ ويلوذ بالهزيمة أولاً هو قلب الإنسان ثم جسده، فالإنسان يخسر أولاً قلبه أمام الأخطار، ثم ما يلبث أن يدير ظهره للعدو. فمن الذي يستطيع أن يعمر هذا القلب؟ ومن الذي يستطيع الحفاظ على هذا الذهن مفعماً بالنشاط ؟ ومن الذي يستطيع الحفاظ على هذه الروح مفعمة بالحيوية؟

إنه أنتم وما تقدمونه من فكر ونصائح بليغة، لقد جربتم ذلك مراراً في جبهات الحرب، وجرّبته أنا أيضاً»[1].

إنّ عالم الدين بحضوره التبليغي في الجبهات كان يمنح اليقين والاطمئنان للقلوب المترددة، ويبعد الوساوس عن النفوس، ويمدّ المقاتلين بالهدوء النفسي، ويتلو عليهم آيات الجهاد والمقاومة فيعلّمهم واجب الاستقامة، ويذكّرهم بتاريخ صدر الإسلام فيفتح أمامهم صحيفة التضحية والشجاعة، ويحدثهم عن مصائب أهل البيت وسيد الشهداء عليه السلام فيلقّنهم درس البطولة والمظلومية.

وفي ضوء هذه الجهود المتواصلة كانت جبهة الدفاع المقدس تنعم بالروح والمعنوية العالية والقوة النفسية.

إنّ المقاتلين الذين لم تنهكهم الحرب الطويلة، زادتهم هذه الحرب جَلَداً، وضاعفت من حماسهم وشوقهم، وجعلتهم أشدّ تصميماً على مواصلة الطريق. وبعد ثماني سنوات من المشاقّ والمصاعب، وإثر تجرّع إمام المجاهدين للسمّ من كأس البلاء والابتلاء، بكى الكثير من التعبويين من أعماق قلوبهم وحزنوا حزناً شديداً على أيام الجهاد الخالية، ولم يكن هذا ممكناً لولا أنفاس الإمام وحضور العلماء التبليغي المؤثر:

«في جبهات الحرب، يستطيع إخواننا من علماء الدين تحويل الفرد الواحد إلى عشرة أو عشرات الأفراد بفضل النصائح الحسنة، وتوضيح

---

(١) خطاب لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية من محافظة طهران ١٣٦٧/٩/١٠هـ.ش.

الحقائق، وقراءة القرآن والأحاديث، والتوسل والتضرع والذكر والدعاء، وهذا شيء بالغ الأهمية.

ويحضرني الآن شعر «صائب»[*] الذي يقول:

يُذكي حديثُ الهوى نار الأولى عشقوا كشمعةٍ أجّجت شوق الفراشات»[1]

إنّ علماء الدين، فضلاً عن حضورهم التبليغي، كانوا يخلقون الثقة النفسية بحضورهم الميداني، كما كانوا يوجدون الهدوء والطمأنينة، ويضاعفون الحماس والشوق، ويجعلون الرغبة في الجهاد والشهادة أكثر حيوية.

ويتحدث سماحة القائد عن ذكريات الأيام الأُولى من الحرب، فيقول:

«عندما مضى أُسبوع أو عشرة أيام على بداية القتال، وجدت أنّ كل خبر يأتي يجلب معه اليأس.. لقد كنت ممثّل الإمام في مجلس الدفاع الأعلى والناطق باسم هذا المجلس آنذاك، ووجدت أنني لا أستطيع القيام بشيء، فكان قلبي يغلي ولا أستطيع الصبر مطلقاً.

وذهبت إلى لقاء سماحة الإمام وقد تغلّب عليّ القلق، وكان الإمام دائماً ينصحنا بمراقبة النفس والسيطرة عليها، فقلت للإمام: أرجوك أن تسمح لي بالذهاب إلى الأهواز أو دزفول، لعلّي أستطيع أن أفعل شيئاً، فسمح لي على الفور. وعندها شعرت بالفرحة الغامرة، وكأنه قد نبتت لي أجنحة، وكان

(*) ولد الشاعر لإيراني الشهيد (صائب التبريزي) في أصفهان عام ١٠١٠هـ إثر انتقال والده إليها من تبريز في عصر الشاه عباس الصفوي. وبعد أن أنهى (صائب) دراسته سافر في شبابه إلى مكة المكرمة ومنها إلى الهند حيث التحق ببلاط (شاه جهان) وبعد ست سنوات عاد إلى إيران تلبية لرغبة والده، وكانت لـه حظوة ومنزلة في بلاط الشاه عباس الثاني. يتميز شعره بالرقة والعمق. توفي عام ١٠٨١هـ ، ودفن في أصفهان.

(١) خطاب لدى استقبال جمع من العلماء وأئمة الجمعة والجماعات من محافظة أصفهان ١/ ١٣٦٧/٩هـ . ش.

المرحوم جمران موجوداً أيضاً عند الإمام، فقال لـه: واسـمح لـي أنـا أيـضاً بالذهاب إلى الجبهة، فسمح لـه الإمام بالذهاب.

وذات يوم، انطلقنا عصراً أنا والمرحوم جمران، فوصلنا إلى الأهواز وقت المساء.. وفي الليلة الأُولى من ذهابنا إلى هناك تـشكلت مجموعـة صـغيرة، وتقرر أن يحمل أفراد هذه المجموعة قاذفـات الـ «آر.بـي.جـي» والبنـادق ويتسللوا ليلاً إلى صفوف العدو، فكنّا نقوم بهذه العمليات كل ليلة.

وبعد نحو أربع ليال، جاءني رجل متقدم في السن إلى حـدٍّ مـا، وكـان يحمل رتبة عقيد، فسلّمني رسالة، وقال لي: أرجـوك أن تـولي عنايـة لهـذه الرسالة، فقلت في نفسي لابدّ وأنّ هذا الشخص جاء يطلب إجازة، وذهب بي التفكير مذاهب شتى،حيث أخذت أُحدث نفسي: ما هذه الرسالة ونحن علـى هذا الوضع وفي مثل هذا الموقف؟!

وعندما فتحت الرسالة، وجدت مكتوباً فيها: إنكم تذهبون كل ليلة لتنفيـذ العمليات، فخذوني معكم إحدى الليالي! ولَكَمْ تغيّر حـالي بعـد قـراءة هـذه الرسالة.

إنّ وجود أحد علماء الدين مؤثر لهذه الدرجة، ولا يوجـد عامـل آخـر بإمكانه أن يملأ هذه القلوب بالحماسة والشوق كعلماء الدين»[1].

٤ ـ ترسيخ القيم الأخلاقية:

إنه لا يوجد في المظهر العام للدين عنصر يعاني الغربة والعزلة بقدر مـا يعانيه عنصر الأخلاق.

إنّ العقائد الدينية في مجتمعنا ظلت قوية إلى حـد بعيـد دون التعـرض للخلل، ولم يكن الملتزمون بالأحكام العملية للشريعة قليلـي العـدد، ولكـن

(١) خطاب لدى استقباله علماء وطلبة العلوم الدينية من طهران ١٣٦٧/٩/١٠ هـ ش.

هذا الانطباع لم ولن يكون موجوداً عندما يتعلق الأمر بمجال القيم الأخلاقية؛ إنّ الكذب والجشع، والطمع والنفاق، والأنانية وسواها من عشرات الرذائل الأخلاقية، كانت ومازالت تعدّ غالباً من أمراض المجتمع الشائعة وآفاته السائدة.

وإنّ أيام الدفاع المقدس كانت فرصة للمجتمع ليملأ هذا الفراغ، ويتخذ من الاتصال بعالم الحقيقة وسيلة للنجاة من سراب المادية وحب الذات، ويجعل الفداء والتضحية أُموراً غالبة على الحياة الفردية والاجتماعية، ويُوجِد نوعاً من التوازن بين المعارف والفقه والأخلاق، ويحوّل المجتمع الديني إلى كيان متعادل ومتوازي الأضلاع:

«لقد بقينا نحن الشعب الإيراني ـ للأسف ـ بعيدين عن الأخلاق الإسلامية لقرون طويلة في ظل حكومة السلاطين.

إنّ العقائد الإسلامية ظلت حية بداخلنا؛ لأنها قائمة بالعلماء ونصح بها علماء الدين، وكذلك هي الأحكام الإسلامية ظلت حيّة بيننا علماً وعملاً؛ لأن العمل بالأحكام القائمة بالبدن والجسد ليس أمراً صعباً، ولكن الأخلاق الإسلامية تعرضت بيننا للضعف؛ وذلك لأن الأخلاق ليست علماً قابلاً للتعليم والتعلّم.

إنّ الأخلاق ليست علماً قائماً بالبدن حتى يعوّد الإنسان جسمه عليها، بل هي قائمة بالروح، وذلك من أشقّ الأُمور.

ومع أننا ـ نحن الشعب الإيراني ـ قمنا بثورة وغيّرنا مسير الثقافة في المجتمعات الإسلامية ـ وليس في مجتمعنا فحسب ـ وهذا ما لا يمكن إنكاره، ولكننا في مجال الأخلاق والسلوك الأخلاقي والخصال الأخلاقية مازالت هناك مسافة شاسعة بيننا وبين ما يجب أن نكون، فعليكم بالاهتمام بهذه النقطة، فإن الأخلاق أصعب من أي شيء آخر.

والآن، فإننا إذا أردنا أن يتحلى شعبنا بالأخلاق الإسلامية وأن نروّضه

على التخلّق بأخلاق الله، فإن أفضل المجالات لذلك في جبهة الحرب؛ لأن مجاهدة النفس هي الأصل المبدئي والأساسي في باب الأخلاق، وذلك موجود في جبهة القتال، حيث إنّ نفس الإنسان تهفو إلى الرفاهية والحياة والبقاء والراحة، وجبهة القتال تنافي جميع هذه الرغبات»[1].

وبهذا امتزج الجهاد الأكبر بالجهاد الأصغر، وكانت الجبهة فرصة مباركة لتهذيب النفس ونقاء السريرة وإصلاح الباطن. وفي هذا الحدث كانت الحوزة بعلمائها ذات تأثير واضح؛ فلقد ضاعف علماء الدين الاستفادة من الأجواء الأخلاقية للجبهة من خلال التبليغ للقيم الأخلاقية في أيام حضورهم.

كما أنّ العلماء والطلبة المضحّين والمخلصين اتخذوا من سلوكهم سبيلاً لتعليم طلاب المعرفة والعطاشى للقيم المعنوية دروس الأخلاق والإخلاص والمحبة باذلين جهودهم على طريق الرفعة الأخلاقية في المجتمع.

ولقد أشار سماحة القائد إلى هذه الرسالة وأهميتها في إرشاداته إلى علماء الدين الذاهبين إلى جبهات القتال، فقال:

«إنّ جبهة الحرب مكان لتهذيب الأخلاق؛ لقد توافدت الجموع على جبهة الحرب ـ التي هي محل لصناعة الإنسان ـ، فهناك تتيسّر عملية البناء، وإنّ أفضل نوع لبناء الإنسان هو البناء العملي.

وإذا استطاع عالم الدين المرابط في الجبهات أن يتخذ من سلوكه وسيلة لتعليم الأخلاق، فإن الاستكبار سيقف عاجزاً؛ لأن الأجواء ستكون مناسبة ونقية.

إنّ ذلك المكان هو أفضل موقع لبناء الإنسان أخلاقياً، وإنه المكان الأصلي للصبر والإيثار واجتناب الشهوات، وتجاهل المكانة الاجتماعية

---

(١) خطاب في جمع غفير من الطلبة المتوجهين إلى الجبهة ١٣٦٦/٨/٢٩ هـ ش.

والابتعاد عن حب الظهور والتظاهر، والعجب والرياء والتكبر والحسد والبخل والحرص والتعالي على الآخرين.

فلو اكتسب الإنسان هذه الصفات الحميدة لأصبح الفلاح والنجاح الواقعي من نصيب هذا الشعب بالتأكيد، وعندئذٍ لن يكون بمقدور العالم بأجمعه والاستكبار وعشرة أضعافه القيام بأي عمل، وهذا أمر متيقن»[1].

٥ـ الحفاظ على الروح المعنوية للمجتمع:

إنّ ارتفاع الروح المعنوية للمجتمع في أيام الحروب يعتبر أمراً قيّماً وأساسياً كما هو الحال بالنسبة للقوة العسكرية والنفسية للعسكريين، وبدونها سيدبّ الخلل والاضطراب في صفوف المقاتلين، وتتفشّى فيهم جرثومة النفاق والازدواجية؛ وهو ما يعطي جيش العدو فرصة ثمينة للتغلغل والنفوذ إلى الخطوط الأمامية وإثارة الشائعات وممارسة الحرب النفسية، وبالتالي تحطيم الأبواب المحصنة وتحقيق النصر الساحق.

إنّ الروح المعنوية للشعب كانت بلا نظير في أيام الحرب المفروضة، فلقد ظلت ثابتة وراسخة رغم القصف والغارات وتشييع قوافل الشهداء، وصعوبة أيام الحرب وأمواج الدعاية المتلاطمة التي كان يبثّها الأعداء.

إن قوافل التعبئة كانت تنطلق بمئات الآلاف نحو الجبهات ـ حتى في السنوات الأخيرة للحرب ـ معبّرة عن وفائها لبيعة الإمام، والتزامها باستقلال البلاد.

إنّ سجل هذا الشعب في أيام الدفاع المقدس متلألئ ومزدهر، ولقد أمدّت القوى العالمية عدونا بالقوة والعتاد ليحطّم الإرادة الشعبية، فأشعلوا فتيل حرب المدن في مناطق واسعة من البلاد، وقصفوا منازل الأهالي العزّل

---

(١) خطاب في جمع غفير من الطلبة المتوجهين إلى الجبهة ١٣٦٦/٨/٢٩ هـ.ش.

وشرّدوهم من ديارهم؛ إنهم مارسوا الحرب النفسية، واستخدموا ما لديهم من مئات الوسائل الدعائية لاتّهام النظام الإسلامي بالتجاوز والعدوان وزعزعة إيمان الجماهير بمواصلة الدفاع والمقاومة.

لقد التقت التنظيمات السياسية في الداخل والخارج على طريق واحد، وأخذت تطلق المقولات حول أضرار الحرب وفوائد السلام!

إلا أنّ كافة هذه الإجراءات والتنسيقات باءت بالفشل، وأدّت إلى خيبة العدو وهزيمته. وإثر التحركات الأخيرة للعدو بعد قبول قرار مجلس الأمن الدولي بوقف الحرب، عادت القوافل البشرية تتدفّق من جديد نحو الجبهة بحب وشوق لترعى حقانية الدفاع المقدس.

وبلا شك، فإن علماء الدين كان لهم دور فعال في تكريس هذه الروح الشعبية المتوثّبة؛ لقد كانت أنفاس مبلّغي الدين ومساندة العلماء هي التي حافظت على الروح المعنوية للشعب عالية ومتوقّدة، ومنحتهم الصمود والثبات في خنادق المقاومة، وإنّ شبكة النظام التبليغي الواسعة التي أنشاها علماء الدين كانت هي صاحبة الفضل في إبعاد الشك عن الأذهان وإحباط وساوس الخنّاسين:

«إنّ كل واحد من أهل العلم وكل شخص من المعممين، من الفقيه الكبير في الحوزة العلمية الذي يجتمع إليه عدد من الطلبة ويتلقّون عنه البحوث، إلى العالم الفاضل في المدينة والمدرس، ورجل المنبر والطالب، وقارئ التعازي وقارئ المدائح، يمكنهم جميعاً أن يكون لهم دور في هذا المشهد وهذه المنطقة الثانية ـ التي أشرت إليها ـ وذلك بالعمل على زرع الأمل، ورفع الروح المعنوية، وإعطاء الحيوية والنشاط، والحيلولة دون التعب والإرهاق.

لقد ورد في دعاء أبي حمزة الثمالي «اللهم إني أعوذ بك من الكسل

والفشل والهم والجبن والغفلة»[1]، فمن الواجب إذاً مقاومة هذه الآفات ومواجهتها، وهذه هي مسؤوليتنا نحن المعممين»[2].

مكاسب الحوزة من الدفاع المقدس

إنّ العلماء ـ شأنهم في ذلك شأن الفئات الأُخرى ـ قد استفادوا الكثير من الدروس ، ومرّوا بمرحلة طويلة من التجارب، وأضافوا المزيد إلى الإنجازات التاريخية للحوزة؛ ففي هذه المرحلة استطاع العلماء أن يكشفوا جيداً عن قابلياتهم أمام جماهير الشعب، وأن يبيّنوا ضرورتهم الحيوية ويعبّروا عن فلسفة وجودهم ردّاً على الطاعنين والمغرضين، وأن يجسّدوا النماذج الممتازة من العلماء المفيدين في شخصية الآلاف من علماء الدين من أصحاب التضحية والفداء، وأن يعبّروا عن حقيقة كون الحوزة مؤسسة فاعلة في هذه المرحلة العصيبة من تاريخ هذا الشعب:

«إنّ العلماء الذين يلتحقون بالجبهات يمثلون مظهر عالم الدين الذي يستطيع أن يكون مفيداً للمجتمع»[3].

إن علماء الدين أظهروا ما لديهم من خصوصيات قيادية بذهابهم إلى جبهات القتال، علّموا الجميع أنّ أوامر الصمود والمقاومة لا تصدر من داخل القلاع الحصينة، وأنّ دعوة اليقظة لا تنبعث من الأبراج العاجية، بل إنهم يعيشون بجوار المقاتلين في الأيام الصعبة، ويحيون بأنفاسهم الملتهبة، ويجدون الراحة والطمأنينة في الحرب، ويكتبون التاريخ إلى جنب المجاهدين المخلصين.

---

(١) عن أبي حمزة الثمالي ﷺ، كان الإمام زين العابدين ﷺ يدعو به في سحر شهر رمضان.

(٢) خطاب لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية من دامغان ١٣٦٧/٤/١٥ هـ ش.

(٣) خطاب لدى استقبال طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية ١٣٦٥/٢/٦ هـ ش.

ولقد أشار سماحة القائد إلى هذه الزاوية في مرحلة الدفاع المقدس، وعدّ فوائد وجود علماء الدين في الجبهات من خلال هذا المشهد:

«عندما يكون العلماء في الخط الأول ستعود علينا العديد من الفوائد. والفائدة الأُولى هي: الحفاظ على شخصية ومنزلة العلماء أنفسهم، وعندئذ يتّضح أننا نعمل بما نقول؛ إننا عندما دعونا الناس للإلتحاق بالجبهات كنّا قد سبقناهم إليها.

لقد كنت أقول دائماً في أيام القمع والإرهاب: إنّ الفرق بين القائد ومن يعطي العنوان هو، أنّ معطي العنوان يقول لك: اُسلك هذا الطريق، ثم اقطع عدداً من الكيلومترات، وبعدها اتّجه يميناً أو يساراً؛ لكي تصل إلى العَنوان المطلوب. هذه هي صفات الدالَ على عنوان ما عن بعد.

ولكن القائد هو الذي عندما يسأل عن مكان بعينه يأخذ بيد الشخص ويرافقه في الذهاب إلى المكان المقصود، هذا هو القائد.

ولقد كان قائدنا هكذا عندما أصبح قائداً، حيث مضى بنفسه دون انتظار أحد، فميزة كلمة «هيّا بنا» هي أنّ الناس يسيرون خلف الشخص، وإنّ قيادة علماء الدين اليوم لا تتحقق بقولهم للناس «اذهبوا» بل بقولهم «فلنذهب» »[1].

إنّ حضور علماء الدين في جبهات القتال زاد من بصيرتهم وفقاهتهم، فلقد نَفَذوا إلى أعماق أعداء الدين المشحونة بالبغضاء، وشاهدوا اجتماع الكفر على منابذة الحق، وأبصرّوا الإمدادات الإلهية، وأدركوا خطأ التحليلات الخاضعة للموازين المادية، وسَخَروا من حسابات المحللين السياسيين، ولم يتعلّموا دروس الإدراك والوعي السياسي في المراكز التعليمية والنصوص السياسية الجافة، بل في ميادين القتال والجهاد الواسعة، وصنعوا جيلاً حوزوياً واعياً ومثقفاً:

---

(١) خطاب لدى استقبال جمع من العلماء وطلبة العلوم الدينة من محافظة يزد ١٣٦٦/٩/٨هـ ش.

«إنّ الذي ينـزوي في ركن من منزله لا يدري ما سيفعله أعداء الإسلام، وما الذي يحتاج إليه المسلمون اليوم، وما هي الأخطار التي تهدد عقلية وواقع حياة المسلمين الآن، وما هي تيارات الفساد والانحراف، وما هي الطرق التي يسلكها الأعداء للقضاء على المجتمع الإسلامي، وما هي حيلهم ومؤامراتهم وكيف يمكن إحباطها، وما هي الأخطار الجسيمة التي يشكلها الاستكبار العالمي، وما هي الصهيونية والرجعية الامبريالية والاستكبار العالمي والمدارس الإلحادية والالتقاطية، وكل ما يقوم به هو أن يفتح «الجواهر»[1] ويضع أمامه عدة مجلدات للحديث؛ لكي يستنبط حكماً للمكلفين وتدبير معيشتهم، إنّ مثل هذا الشخص لن يصل الى التفقّه في الدين.

ومصداق الآية القرآنية الكريمة ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾[2]. هو ذلك الشخص الذي يحتك بمشاكل المجتمع، ويقف على حقيقة أعداء الداخل الذين يتسربلون بلباس الأصدقاء، ويدرك معنى العداء ويفهم أساليبهم، ويعي معنى الحرب المفروضة على الأُمة الإسلامية ـ سواء أكانت حرباً ثقافية أم غيرها ـ ويستطيع أن يفهم الآيات القرآنية ويتدبّرها كما ينبغي. وهذا كله فيما إذا كان قد أجهد نفسه في طلب العلم وقطع شوطاً في التحصيل الدراسي»[3].

وبهذا فقد أصبحت ميادين الجهاد مصنعاً عملياً للفقاهة الدينية، وتكاملت الرؤية الفردية والجماعية للحوزويين، وازداد ما لديهم من معرفة

---

(١) (جواهر الكلام) دورة فقهية في بحث خارج الفقه في شرح (شرائع الإسلام) للمحقق الحلي، وهي حصيلة جهد دام ٣٢ عاماً من بحث المؤلف الشيخ محمد حسن النجفي المتولد عام (١٢٠٠هـ ق) والمتوفى عام (١٢٦٦هـ ق).

(٢) سورة التوبة: ١٢٢.

(٣) خطاب لدى استقبال طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية ١٣٦٥/٢/٦.

ووعي عميق، وصاروا قادرين على إعطاء التحليلات والتوفر على دراسة التعقيدات السياسية ومناقشتها.

ومن ناحية أُخرى فقد قويت شخصيتهم وروح الثقة بالنفس، وترسّخت عندهم الثقة الدينية، وباتوا في منأى عن الضعف والخضوع والتفسّخ الذي يتّصف به العصر الحاضر:

«إنّ المرء يكتسب التفقّه في الدين من خلال حضوره في ميدان الحرب؛ ولهذا فإن الذين انطلقوا إلى ساحات القتال وهم على وعي ومعرفة يكتسبون الإيمان والعقيدة الراسخة بالحركة والعمل، بحيث لا تحدّهم حدود ولا يمنعهم مانع.

إنه يجب عليكم أن تحملوا الـ «آر.بي.جي»، وأن تصبحوا غوّاصين، وأن تقوموا بمهام الحراسة، وأن تستمعوا إلى أصوات الاطلاقات والقذائف، وأن تفعلوا كل ما يمكنكم فعله، ولكن يجب عليكم في نفس الوقت الاستعانة بهذه التجربة القيّمة؛ لكي تصبحوا طلبة ممتازين أو علماء كباراً أو فقهاء مجتهدين في الدين»[1].

والخلاصة: أنّ الحوزة تعلّمت درس المعنوية والإخلاص في ساحة النضال، واستفادت من الأجواء المعنوية للجبهة، واستضاءت بقبسات العرفان والمعرفة المشعّة من الوجوه الصافية والملكوتية لآلاف الشباب.

إنّ الجبهة عوّضت عن غربة الحوزة بدرس الأخلاق، وفتحت أمامها آفاق الأخلاق العملية، كما استطاعت الجبهة أن تجعل الحوزة تجتاز مرحلة التمهيدات والمقدمات وتمنحها شعلة المسيرة، وتضع مفتاح الانتصارات والفتوح في يد طالب المعرفة:

---

(١) خطاب لدى استقبال طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية ١٣٦٥/٢/٦ .

«إنّ درساً آخر في تلك المدرسة أصبح جاهزاً، وذلك هو الدرس الأساس. اللهم إنك شاهد على أنني لو استطعت الذهاب إلى ميدان المعركة مستريح البال كواحد من هؤلاء الطلبة والفضلاء الشباب لما تأخرت عن ذلك لحظة واحدة.

إنّ هناك عالماً عجيباً، وهناك جنة الصفاء والمعنوية والانبهار. إنّ المرء يشاهد العرفان مجسّداً ومتبلوراً في وجوه وأقوال وأفعال الشباب الذين لا تتعدى أعمارهم سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً.

إنّ وصايا الشهداء تفجر ثورة في أعماق الإنسان، وإنّ شباباً دون العشرين من أعمارهم يكتبون كلاماً وكأنهم من العرفاء المرتاضين ذوي السبعين عاماً، وإنّ مثل هذه التجلّيات لا تنبع إلاّ من القلب، فهي طبيعية دون تصنّع أو تقليد، وكل هذا يمكن مشاهدته والتعلّم منه في الجبهات.

فانطلقوا، وصلوا هذا الجهاد بذلك الجهاد، وامنحوا هذا العلم بذلك العمل رونقاً وبهاءً»[1].

لقد كانت الجبهات مجالاً لمعرفة نقاط القوة والضعف الشخصية، كما كانت حضوراً ملموساً للموت وحدّاً فاصلاً بين الدنيا والآخرة، وهذا الحد الفاصل هو معلّم المعنوية. وفي ضوء الحضور في الجبهات كان بإمكان الحوزة أن تضع نفسها على المحك وتزن نفسها وتكتشف نقاط ضعفها وتسعى للتغلّب عليها والتخلص منها، وأن تضع أصابعها على نقاط القوة فتضاعف من حجمها:

«إنّ حالة الصفاء والمعنوية في الجبهات ضرورية لنا جداً، وعلينا الذهاب إلى هناك ولو لبعض الوقت.

---

(١) خطاب لدى استقبال طلبة الحوزة العلمية في قم ١٣٦٧/٣/١٩ هـ ش.

إن هناك الحد والخط الفاصل بين الدنيا والآخرة؛ فمن هذه الناحية تشدّنا الدنيا إليها بكل ما فيها من بريق وجاذبية، ومن تلك الناحية فإنه سيكون فوزاً عظيماً إذا ما استطاعت الآخرة أن تشدّنا إليها وتجذبنا إلى تجلّياتها الباهرة. وإنّ البقاء على هذا الحد الفاصل بين الدنيا والآخرة لهو أمر ثمين للغاية»[1].

إنّ الدروس المعنوية في الجبهات لا تعرف فرقاً بين الشيوخ والشباب، وبين الطلبة العاديين والعلماء البارزين والكهول، وكل من كان ينطلق إلى ذلك الوادي كان يستفيد ويتعلّم الكثير ويدّخر ذلك لحياته الأُخروية.

لقد كان شَهَد الحضور يتحوّل في داخله إلى شوق وشغف، وكان يعثر على نبع ماء الحياة بين المغارات المظلمة للحياة المادية الغضّة، فيحيا من جديد.

ويعتبر المرحوم آية الله الميرزا جواد آقا الطهراني ـ العالم البارز والزاهد الكبير الذي كان مقيماً في خراسان ـ نموذجاً حسناً على صدق هذا الادّعاء؛ فلقد كان ذلك الشيخ العظيم وذلك العارف الشهير كثيراً ما يتحدث عن الدروس المفيدة التي يتعلّمها الإنسان من ميادين الجهاد، وكان يحكي عن الدروس والعبر التي استفادها من أيام وجوده في الجبهات، وكان يبدو عليه السرور والحبور وهو يستعيد تلك الذكريات.

ولقد تحدث سماحة القائد مراراً عن ذلك العالم الكبير، وحكى عن حماسه المتدفّق أيام حضوره في جبهات الحرب:

«لقد ضربت هذا المثل وتحدثت عن هذا النموذج في أماكن مختلفة، وسأكرره هنا: لقد كان هناك عالم من علماء مشهد الموقرين جداً والأعزاء والملتزمين والنجباء والوجهاء، وكان هذا العالم يبلغ نحو الثمانين من عمره،

---

(١) خطاب لدى استقبال مدرسي وأساتذة الحوزة العلمية في قم ١٣٦٦/٩/١٠ هـ ش.

ومعظم الناس يعرفونه، وقد التحق ذلك العالم الكبير بجبهات القتال مع أنه كان محني الظهر، وكان يتوكّأ على عصا ويمشي وكأنه في حالة ركوع، وهناك خلع عباءته وارتدى زيّ المتطوعين الذي أعطاه له جنود الحرس الثوري.

وكان قد عبّر عن رغبته في القيام بأي مهمة تسند إليه، فأخذه الشباب إلى واحد من المدافع، وقالوا له: عليكم بوضع هذه القذيفة من عيار «٨١ ملم» داخل هذه الاسطوانة.

وعندما عاد من الجبهة، ذهبنا لزيارته في طهران، فوجدنا وجهه يشعّ بنور خاص ويتألّق بضياء باهر، وأنه يتدفّق حيوية وفرحاً وسروراً بعد شهور عدّة قضاها في الجبهة، فخاطبني قائلاً: لقد استمتعت كثيراً بوجودي بين هؤلاء الشباب.

لقد أثّر فيه صدق المقاتلين وإخلاصهم كثيراً، ثم استطرد قائلاً: لقد قالوا لي عليك بوضع هذه القذيفة في الاسطوانة، وبعد ذلك عليك إرجاع رأسك إلى الوراء ووضع يديك على أذنيك حتى لا يؤذيك الصوت ولا يضر بسمعك. فكنت أضع يديّ على أذني وأصيح: الله أكبر.

فيا له من أمر مدهش أن يذهب شيخ محني الظهر في الثمانين من عمره إلى جبهات الحرب، ويقوم بإطلاق القذائف من عيار ٨١ ملم»[1].

---

(١) خطاب لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية من محافظة يزد ١٣٦٦/٩/٨ هـ ش.

تكريم المضحّين

لقد سجّلت الحوزة فصلاً ذهبياً ومشرقاً في سجل تاريخها في سنوات الدفاع المقدس.

إنّ حشود الطلبة الشباب المخلصين والمضحّين انطلقت إلى ساحات القتال، فأبقت على الثقة التاريخية التي يوليها المجتمع لعلماء الدين، وحافظت على عزة الدين وكرامة العلماء. وإنّ التحاق أفواج علماء الدين المتتابعة بكتائب القتال والتبليغ، وبَذْل الكثيرين من شهدائهم لدمائهم الزكية استطاع إبطال مفعول الدعايات المغرضة، وأظهر قدرة الحوزة على تحمّل صعوبات الحركة:

«أيها الإخوة، إنّ محاسبة بسيطة هنا تدل على أنّ نسبة الشهداء من طلبة العلوم الدينية بعد الثورة بلغت أكثر من ضعفي نسبة الشهداء من فئات الشعب الأُخرى»[1].

إنّ استمرار النشاطات العلمية والثقافية للحوزة طوال سنوات الحرب لم يحُل بينها وبين تقديم الخدمات لجبهات القتال والحرب أيضاً؛ فلقد استطاعت الحوزة أن تسجل وثيقة مزدهرة يمتزج فيها العلم والجهاد أحدهما مع الآخر، وأن تعبّر عن تفوّقها في جهادها العلمي والعسكري من خلال التدافع المتواصل لمدرّسيها وطلابها على جبهات القتال:

«لقد قدّم الآن الأخ العزيز قائد اللواء ٨٣ المسمى بلواء الإمام جعفر الصادق عليه السلام تقريراً عن وضع هذا اللواء، مما يستحق التكريم والتجليل والتوّجه إلى الله تعالى بالحمد والشكر.

---

(١) خطاب في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧ هـ ش.

وعندما كانت تقع عيني اليوم وخلال الأيام الماضية على هذه الصور المضيئة والوجوه المتلألئة المصطفّة على امتداد هذا الطريق[1] الطويل كنت أشعر بالتأثر الشديد من كل أعماق وجودي.

إنّ الدموع تنهمر عادةً من عينيّ وأنا أشقّ هذا الطريق للمجيء إلى هنا. إنّ هذه الوجوه المنيرة لشهدائنا الأعزاء من طلاب وفضلاء الحوزة ومن قم لها قيمة كبرى.

إنّ بإمكان الحوزة العلمية اليوم أن تصبح عبرة ودرساً لكافة الجامعات والحوزات العلمية في العالم أجمع؛ فمن الممكن أن يجدّ الإنسان ويجتهد في تحصيل العلم ـ الذي هو جهاد في حدّ ذاته ـ ثم يكون حاضراً في نفس الوقت في الميادين العملية للجهاد في سبيل الله»[2].

لقد تألّق المضحّون في عرصات الفداء على جبين الحوزات الدينية، ونقشوا لأنفسهم هوية خالدة في وجدان تاريخ علماء الدين؛ لقد استطاعوا بما تكبدّوه من خسائر ظاهرية ومادية أن يخلقوا لأنفسهم وللكيان العلمائي شخصية وقيمة عظيمة، وأن يتلقّوا عن ذلك جزاء الخالدين.

ولقد استطاع شهداء الحوزات أن يتربّعوا على مقعد صدق في الملأ الأعلى، وانفتحت عيونهم على ذرى الكرامة عندما نهلوا من شهد ورضاب الشهادة.

وأما الذين لم يقدّر لهم الالتحاق بركب الشهداء فعليهم أن يعلموا بأنهم بكل ما بذلوه من تضحية وفداء لم يخسروا شيئاً، بل حصلوا على مغانم عظيمة. ولا يجدر بهم أبداً أن يتأثّروا بوساوس الخناسين والشياطين الذين

---

(١) وهو طريق قم ـ طهران، حيث كان مليئاً بصور الشهداء من العلماء وطلبة العلوم الدينية.

(٢) خطاب لدى استقبال طلبة الحوزة العلمية في قم ١٣٦٧/٣/١٩هـ ش.

يريدون أن يبثوا في نفوسهم سوء الظن ويحركوا في صدورهم الشك والريب، ويشعلوا نار البغضاء فيما ادّخروه من مكاسب.

إنّ أجر تلك التضحية وذلك الفداء لم ولن يضيع أبداً عند الله، وسيظل منقوشاً على الذاكرة التاريخية للأُمة والعلماء، وإنّ صدى أنفاسهم الملتهبة سيظل يتردد دائماً على كل بقعة من الأراضي الإيرانية؛ في شلمجة والهور وخرمشهر وهويزة وما عداها، وستبقى آثار أقدامهم الراسخة علامات خالدة تهتدي بهديها الأجيال القادمة.

كما أنّ رمال الصحراء وأرصفة الشوارع والأزقّة ستتخضّب بدمائهم الحمراء الزاكية، وكأنها عروس تخضّبت بحناء العشق والعرفان:

«إنكم وجميع أولئك الشباب والعناصر الحوزوية التي أدت واجبها في الجبهات تستحقون الشكر والعرفان بالجميل لأنكم استطعتم الحفاظ على دور علماء الدين، «شكر الله سعيكم»، وإذا كنتم قد ضحيتم بأعينكم وأيديكم وأرجلكم ونخاعكم فاعلموا أنّ ذلك لم يذهب هباءً وأن أجره لا يضيع.

إنّ هناك فرقاً بين أن يفقد الإنسان خاتماً ثميناً، وبين أن يبيعه في السوق بسعر مرتفع؛ إنّ الخاتم لم يعد في إصبعه في كلتا الحالتين، ولكن أين هذا من ذاك؟ ففي فقدانه خسارة وضياع، ولكن عند بيعه يظل ما يعادله محفوظاً لديكم.. وعلى كل من ضحى بوقته وعمره وبدنه وأعضائه في هذا السبيل أن يعلم بأنه لم يفقد ذلك ولم يضيّعه أبداً.

على الطلبة الشباب أن لا يفكروا مطلقاً بأنهم لو كانوا الآن في قم مثلاً لكانوا قد أنهوا هذه السنة «الكفايتين»، أو تقدّموا في السنة الثانية لامتحان البحث الخارج، وأما الآن فمازال عليهم أن يتقدموا لامتحان «شرح اللمعة».

من الطبيعي أنّ الإنسان إذا ما انشغل بأمرٍ ما لمدة عامين أو ثلاثة فلن يكون بمقدوره الانشغال بأمر آخر ـ وهذا شيء قهري ـ ولكن الذي حصلتم

عليه أفضل كثيراً مما كان بإمكانكم الحصول عليه خلال هذه الأعوام، أو من دراسة هذه المجلدات، أو من العمل في إحدى المؤسسات وما يترتب على ذلك عادة من إنجازات، ﴿وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾[1]»[2].

ومع كل ذلك، فلا ينبغي أن تتجاهل الحوزة واجباتها، وعليها أن لا تدع عُمّار طريق الجهاد يضربون على غير هدى، وأن لا تتركهم غارقين في طوفان المشاكل المادية والدراسية، وأن لا تثقل عليهم بما تصدره من تعليمات إدارية جافة، وأن لا تنظر إليهم أحياناً بعين الاستهزاء، وأن لا توجّه إليهم الإهانات بسبب تخلّفهم عن الدراسة، ثم تتذرع بآلاف الحجج والأعذار لتعبّر عن قوّتها وصلابتها.

على الحوزة أن تكون مبلّغاً وراعياً للقيم المعنوية في المجتمع، وخاصة قيمة الجهاد والتضحية، ويجب عليها أن تكون هي المبادرة في ذلك. كما ينبغي عليها أن تراعي حرمة أبنائها المضحين وأن تفرض احترامهم على الجيل الحوزوي القديم والجديد، وأن لا تعتبر تكريمهم تكريماً للأشخاص بل تكريماً للقيم، وأن تهبّ من هذا المنطلق إلى نشر المثل الإلهية في صفوف الحوزة:

«إنّ احترام قيم الثورة في الحوزة العلمية اتخذ مظاهر متعددة، كان أولها وأوضحها، يتمثل بتكريم الحوزة للطلاب والفضلاء المضحين والمعوقين والأحرار، لما يمثلونه من ذكرى لجهاد الشعب الإيراني وتضحياته في سبيل تحقيق أهدافه الإلهية، وباعتباره وثيقة افتخار للحوزة العلمية لمشاركتها الشاملة في ذلك الجهاد العظيم.

---

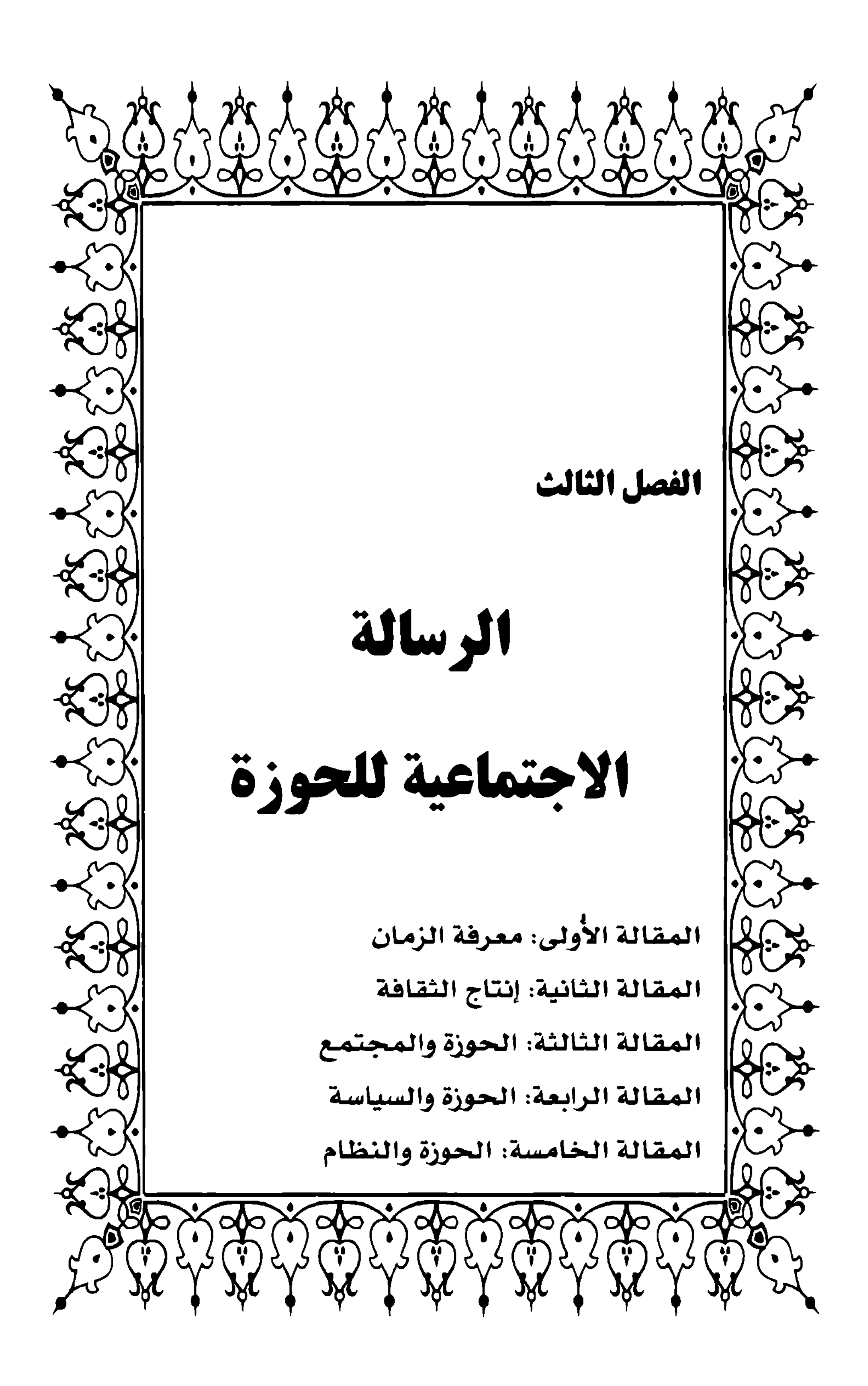
(١) سورة القصص: ٦٠، سورة الشورى: ٣٦.

(٢) خطاب لدى استقبال جمع من المقاتلين والمعوقين من طلبة العلوم الدينية١٣٦٧/١١/٢٩.

إذاً، من اللائق الاهتمام بهؤلاء الأعزاء وجميع الطلاب الذين شاركوا في جبهات القتال، ورعايتهم بالشكل الذي يجسد الفضائل القرآنية للمجاهدين في محيط درس القرآن»[1].



(١) بيان إلى جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط التابع للحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.



الفصل الثالث

الرسالة الاجتماعية للحوزة

المقالة الأُولى: معرفة الزمان

المقالة الثانية: إنتاج الثقافة

المقالة الثالثة: الحوزة والمجتمع

المقالة الرابعة: الحوزة والسياسة

المقالة الخامسة: الحوزة والنظام

المقالة الأولى

معرفـة الزمـان

- إدراك اللحظات
- مواكبة العلماء لمقتضيات الزمان
- التعامل الفاعل مع تطورات العصر

لقد تطبّعت الحوزة بـ «التقاليد» وابتعدت عن بدع ومبتدعات الزمان، وقد كانت هذه الظاهرة ايجابية من جهة وسلبية من جهة أخرى؛ فهي من ناحية صانت المؤسسة العلمائية من آفات زمانها، وحافظت على صفات الإخلاص والصفاء والمعنوية، والزهد والورع، والتواضع والأدب، والتهجّد والتقوى، وحاكمية القيم الأخلاقية على العلاقات التربوية وسواها من عشرات المناقب في الحوزة، وحالت بينها وبين مفاسد وأضرار الحياة الحديثة، فاستطاعت الحوزة في ظل هذه القيم الحفاظ على هويتها وعدم السقوط في مستنقع الحداثة العميق والاحتفاظ بكيانها على صورة مجموعة متميزة وفريدة.

وأما من ناحية أُخرى، فقد جرّ هذا الواقع الكثير من الآفات على الحوزة ومازال؛ فقد أبعدها عن الارتباط الفاعل بالعصر، وجعلها غريبة وقصيّة عن لغته، فلم يعد هناك تعادل بين ما تقول وما تفعل، وفقدت الكثيرين من مخاطبيها، وأصبح ما تبدعه من نشاطات وما تخرّجه من أفراد متشابهين ومكررين أمراً عادياً ومتداولاً، وبقيت مشدودة لنماذجها التربوية والتعليمية المستهلكة والقديمة، وأضاعت الكثير من الوقت والفرص هدراً في هذا الصدد، وباتت غافلة عن كيد الأعداء، وبالتالي فقد صارت الحوزة والمؤسسة العلمائية على هاوية السقوط:

«عندما دخل الاستعمار إلى هذا البلد، وعندما تخلّى السيف عن مكانه للبندقية، وعندما حلّت أساليب التآمر السياسي المعقدة محل الأساليب البسيطة القديمة، وعندما كانت مؤسستنا العلمائية أكثر من أي وقت آخر بحاجة إلى

المزيد من الوعي ومعرفة العدو، والحياة بأُسلوب العصر والاستعداد، ومعرفة الزمان ومتطلباته، والخوض في مجال الحياة، فإنها وللأسف تأخرت عن الركب في مرحلة من الزمان.

وعندما أعطى الميرزا الشيرازي تلك الفتوى[1]، فإن الاستعمار اتخذ كل ما لديه من إجراءات، فاشتغل جيداً على الحوزات العلمية ليجعلها بعيدة قدر الإمكان عن الأحداث السياسية العالمية»[2].

إنّ الإمام ﵀ كان ظاهرة استثنائية في تاريخ الحوزات، حيث نجح في المزج بين «التقليدية» والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته «الاهتمام بالعصر»؛ فهو من ناحية كان نموذجاً لألف عام من تاريخ الحوزات الشيعية، وكان يحمل على كاهله راية المرجعية والفقاهة، وكان يتحدث طبقاً للموازين والمناهج المتقنة للفقه والاجتهاد، ويعمل على أساسها أيضاً، كما كان حاملاً لتعاليم علماء ومجتهدي التشيّع العظام، وجامعاً لقيم العارفين والقديسين ذوي الصيت الذائع في عالم العلم والمعرفة.

ولكنه من ناحية أُخرى، أعطى اهتماماً فائقاً لأحداث العصر، فاكتشف «اللحظات الحاسمة»، وعرف قدرها، ثم قاد أكبر ثورة في زمانه بالشكل المناسب وفي اللحظة المناسبة، وحقق لها الانتصار:

«إنّ إمامنا هو ذلك الرجل الذي تغلي بإيحاء من اسمه الأهداف والروح الثورية في العالم اليوم، مع أنه كان مدرساً للسطوح العالية في حوزة قم.

إنّ جميع الأشياء والحقائق الواقعة في ذلك الوقت كانت جليّة وواضحة في قلبه الطاهر والمضيء من الناحية السياسية، ولكنه كان ينتظر اللحظة المناسبة.

---

(١) انظر هامش صفحة ٢٤.

(٢) حديث في جمع من فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

إنّ الفرق في ذلك بينه وبين الآخرين أنه تحيّن اللحظة المناسبة فأصاب الهدف»[1].

لقد كان المزج بين منهج الفقاهة ومراعاة التقاليد وبين الاهتمام بحقائق العصر أمراً جليّاً في آرائه الفقهية؛ ولذلك فإن التطور في آراء الإمام الفقهية انطلاقاً من تطور الزمان، كان أمراً مقبولاً ومعتمداً في ضوء تلك الأصول الفقهية:

«إنّ الآراء الفقهية للإمام ﷺ قد تغيّرت تغيّراً كبيراً بالتأكيد من اليوم الأول لعودته إلى إيران وحتى يوم وفاته. ولكم أن تراجعوا فتاواه في مسألة الغناء، والمسائل المتعلقة بالمعادن وأمثال ذلك.

لقد راجعنا الإمام فيما يتعلق بالمعادن، عندما طُرح الموضوع في البرلمان، فقال لنا كلاماً مبنياً على أساس تلك الظواهر الفقهية، إلاّ أنّ رأيه كان قد تغيّر تماماً في الفترة الأخيرة، أي أنه طبّق المباني على الحقائق الموجودة وأعاد صياغتها، ومع ذلك فقد كان من أعبد الفقهاء حتى آخر عمره.

إنّ التمسك بالظواهر هو مبنانا الفقهي، فهي شغلنا الشاغل؛ فإننا في الفقه لا نعير أهمية للقياس والاستحسان وما لدينا من تصورات اعتبارية، ولكننا ننظر إلى لغة الحديث، ومعيار وعلاقة ذلك أيضاً عن طريق الظواهر، هو ترجيح الظهور. ولقد كان الإمام ﷺ ملتزماً تماماً بهذا المعنى، فلم يتغافل عنه أبداً»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث لدى استقبال أعضاء مؤتمر بيان المباني الفقهية للإمام الخميني ﷺ ١٣٧٤/١٢/٧ هـ ش.

إدراك اللحظات

إنّ الزمان يبدو وكأنه نهر جارٍ يغطس فيه الناس بنسبة واحدة، ولكن «درك اللحظات» هو الذي يميّز الواحد عن الآخر، وإنّ معرفة الوقت المناسب يعد من المميزات الفريدة التي تفرق بين حكماء التاريخ والأشخاص العاديين، فالذين يتحيّنون الفرص المناسبة ويستفيدون منها يصلون إلى أفضل النتائج، ويحققون أفضل الإنجازات.

إنهم يذهبون لاصطياد «اللحظات» ويعرفون قيمة الفرص الذهبية، شأنهم في ذلك شأن الصياد الماهر، ويحبون أن يكون لهم حضور فاعل في الزمان، ولا يقنعون بمجرد المشاهدة أو المراقبة، ويُظهرون أداءاً فوريّاً ومناسباً في التعامل مع متطلبات الزمن و«اللحظات»، ولا يقدمون الدواء بعد موت المريض:

«عندما كنت مشغولاً بالتدريس في حوزة مشهد العلمية، أي في هذه الحوزة وهذه المدرسة وفي هذا المدرس، كنت أنصح الطلبة الشباب دائماً بالاهتمام بمقتضيات الزمان. هذه هي المهارة والحنكة؛ ففي دنيا الإسلام كان هناك الآلاف ممن يحبون الحسين بن علي وأباه وأمه عليهم السلام، وكانوا على أهبة الاستعداد للالتحاق بركبه ونصرته، كما أنهم كانوا يكرهون «يزيد» وأتباعه وكافة من شاركوا في واقعة كربلاء في الجبهة الأُخرى، ومع ذلك فإنهم لم يصبحوا حبيب بن مظاهر ولا زهيراً، ولا ذلك الغلام حديث العهد بالإسلام، ولم يصيروا كعلي الأكبر وأبي الفضل العباس من بين بني هاشم، فلماذا؟

لأنهم كانوا غائبين عند حلول اللحظة المناسبة؛ إذ كيف يحسب الإنسان نفسه مستعداً للتضحية من أجل الدين، ثم يفتقده هذا الدين عند الحاجة؟! وما الفائدة إذا لم يعرف الوقت المناسب ومتطلبات اللحظة؟

إنّ من حق الإنسان أن يشعر بالفخر عندما يهبّ لمساعدة المريض في اللحظة المناسبة ويعطيه الدواء في وقت الحاجة، ولكن عندما تضيع تلك الفرصة وتمضي تلك اللحظة سدىً، فما الفائدة من إعطائه أضعاف ما كان يحتاجه من دواء»؟![1].

إن تلبية متطلبات اللحظة هي المسؤولية الجسيمة التي تقع على كاهل الحوزات المعاصرة.

إنّ "اللحظات الخاصة" كانت قليلة في العهد السابق، ولم تكن تمرّ سوى حالات نادرة في حياة عالم الدين مما يمكن أن تكون لحظات مصيرية، فلقد كانت الحياة تمرّ ببطء وبشكل عادي دون تغيير، ولكن عالم الإسلام والتشيّع دخل مرحلة جديدة من التحوّل العميق في القرن الأخير، وكانت أمامه العديد من اللحظات الخاصة.

إنّ الثورة الإسلامية وانتصارها في إيران ضاعف من حجم تلك اللحظات وزاد من مساحات النضج والوعي، وهو يضاعف من رسالة الحوزات الدينية. وعلى المؤسسة العلمائية أن تعدّ نفسها لمواكبة هذه اللحظات المتوالية، وأن تفي بدورها بما يتناسب معها من حضور فاعل وضروري.

ولقد أشار سماحة القائد إلى نقطتين أساسيتين فيما يتعلق بشروط الحضور المناسب للحوزة في اللحظات المناسبة:

«إنّ تلبية حاجات العصر ليس بالعمل اليسير، وهو ما يتطلب أولاً: الفهم والقابلية والذكاء، وثانياً: الشجاعة والشهامة والقدرة على القيام بما لا يستطيع أن يقوم به الآخرون»[2].

---

(١) حديث في جمع من فضلاء وطلاب الحوزة العلمية في مشهد ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

(٢) حديث لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية في رفسنجان ١٣٦١/٢/٧ هـ ش.

إنّ الشجاعة والشهامة هما مفتاح «الحضور في الزمان»، وبدونهما تبقى أوسع المعارف والعلوم بلا أثر ولا مفعول ولا تحقق أي هدف من الأهداف، فكم من أرباب المعارف والعلوم الذين توقفوا لدى الخطوة الأُولى ولم يبلغوا وادي الحضور، فانكفأوا على ذواتهم واستسلموا للموت والزوال؟

وكم من العلماء الذين وقعوا نهب مخاوفهم النفسية، فتيبّست خطواتهم وتكمّمت أفواههم وعجزت أقلامهم عن تدوين مفردة واحدة في وقت الحاجة تلبيةً لمقتضيات اللحظة؟

ولو كانت الألسن قد نطقت والأقلام قد أبدعت لتولّد عالم من النشاطات والعمل، ولكان الظلم والطغيان قد لفظ أنفاسه الأخيرة منذ زمن طويل، ولقامت الحكومة الدينية في الظروف المناسبة.

وفي هذا الصدد، فإن الحوزة إذا كانت عازمة على أن يكون لها حضور فاعل في (الزمان)، وأن تبرز كفاءتها في (اللحظة) المناسبة، فإن عليها أن تتحلى بعنصري الشجاعة والشهامة أكثر من أي وقت مضى.

إنّ النظام العلمي والمعيشي للحوزة يجب أن يكون بالشكل الذي يجعل الحوزويين يظهرون الشجاعة والشهامة في ميادين العمل والحياة فضلاً عن مجالات الدراسة والبحث، وبالصورة التي تحول بينهم وبين الضعف والخور النفسي وتبعد عنهم عدم الثقة بالنفس، وترعى في داخلهم روح إحقاق الحق، وتخلق فيهم الوضوح والصراحة، وتباعد بينهم وبين التوجس والخوف، وتمنحهم قلباً ساكناً ومطمئناً وراسخاً على طريق الحق.

مواكبة العلماء لمقتضيات الزمان

إنّ صلة العلماء الوثيقة بمتطلبات العصر تغيّر من ملامح الحوزة، وتضع بصمات عميقة ومباركة على نظامها الداخلي وعلاقاتها الخارجية، وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الفوائد:

١ـ التطور في الأسلوب التعليمي والتحقيقي:

إنّ الصلة الفاعلة بمقتضيات العصر تُطوّر الأُسلوب التعليمي والتحقيقي للحوزة وتجعله مواكباً لحاجات المجتمع، كما أنّ المعرفة بالزمان تمنح الفقيه والباحث الديني أُفقاً واسعاً؛ كيلا يخطئ في استنباط الأحكام الشرعية، أو يصدر حكماً على موضوعات مجهولة في مجال تطبيق وانطباق قواعد وأصول الاجتهاد:

«إنّ الأحكام الإلهية اليوم لا ينحصر استنباطها بالجواهر والوسائل فحسب.. إنّ الأحكام الإلهية بحاجة إلى فهم روح العصر فضلاً عن الإلمام بالأحكام والفقه والقرآن والحديث والمباني الفقهية، وإنكم إذا أردتم استنباط الأحكام الاجتماعية والحياتية للناس من الكتاب والسنة فعليكم أن تعلموا في أي عالَم تعيشون»[(١)].

إنّ المعرفة بالزمان تُطوّر مناهج الدراسة والأبحاث، فتحوّل الموضوعات القديمة التي لم تعد محل ابتلاء إلى موضوعات مستحدثة وعامة الابتلاء، وتحول دون إضاعة الفرصة في بحث الأُمور التي لا جدوى منها سوى القليل، وتمهّد الطريق أمام ترشيد الطاقات البكر والموهوبة:

«إنّ جهودنا في الماضي إذا كانت منصبّة على مجرد كتاب الصلاة والطهارة والزكاة والصوم والحج، أو على البيع والإجارة على أحسن تقدير، فإن قضيتنا واحتياجاتنا الآن قد باتت شاملة لكافة شؤون حياة المجتمع.

(١) حديث لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية في نيشابور ١٣٦٥/٤/٢٩هـ ش.

إننا نحتاج إلى فقه بوسعه تلبية مطالب الحكومة والسياسة الخارجية والعلاقات الدولية وكيفية التعامل مع الشبكات الاقتصادية العالمية الكبرى.. إنّ قضيتنا اليوم لم تعد مجرد أنّ بغلة فلان ابن فلان تحمل متاعاً من مكان إلى آخر، أو مجرد بيان أحكام البيع والشراء بالنسبة لبائع متجوّل.

إننا نتعامل اليوم مع شبكات اقتصادية عالمية، بضمن ذلك موضوع النفط وقيمة الدولار وقضايا التجارة الخارجية والمصادر الطبيعية، فهل للإسلام أحكام في مثل هذه القضايا، أو لا؟ فلو أجبنا بالنفي لاعتبرنا الإسلام ناقصاً، وهذا غير ممكن.. ولكننا نجيب بالإيجاب، وعلى ذلك فمن الذي يجب عليه استنباط تلك الأحكام ؟»[1].

٢ـ الكفاءة والإفادة :

إنّ بإمكان الحوزة في ضوء المعرفة بالزمان أن تعبّر من كفاءاتها وطاقاتها الكامنة، وإنّ عالم الدين لن يكون له دور ومكانة في مجتمعه ما لم يفصح عن قابلياته، ويثبت أنّ باستطاعته تقديم خدمات للمجتمع الذي يعيش فيه.

إنّ المخاطبين التقليديين لعلماء الدين يتضاءل عددهم يوماً بعد آخر جرّاء انتشار العلم والمعرفة في المجتمع، ويحل محلهم جمع جديد من ذوي الشهادات العلمية العالية أو الذين يشقّون طريقهم للحصول على الدرجات العلمية، ومثل هذه النوعية من المخاطبين تتمتع بمعرفة تطورات العصر بشكل أو بآخر؛ ولهذا فإنهم لا يقصدون أيّ محفل كان، ولا يقتنعون بسهولة بكل ما يقال:

---

(١)حديث لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية في نيشابور ١٣٦٥/٤/٢٩هـ ش .

«إنكم اليوم لو كنتم على درجة كبيرة من العلم والتقوى ولكنكم لا تعرفون زمانكم، فإنكم ستكونون عرضة للضرر والاهتزاز وقلة النفع والفائدة، وهو ما يستدعي حديثاً طويلاً في حد ذاته؛ «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابسس»[1].

وإننا نعرف بعض العلماء الملتزمين ولكنهم كانوا عديمي الفائدة في وقت كان بإمكانهم أن يصبحوا نافعين ومفيدين للإسلام والمسلمين»[2].

إنّ الإقبال على علماء الدين في الآونة الأخيرة كان تابعاً لمدى معرفتهم بمتطلبات العصر، وكلما كان عالم الدين واعياً بضروريات عصره ومهتمّاً بها في أفكاره وأقواله، ومعطياً لها الأولوية في البحث والتدوين والعرض زاد الإقبال عليه من قِبَل المخاطبين وحقق نجاحات واسعة:

«لقد كان هناك نوعان من الخطباء في إيران في العصر الماضي؛ فنوع كان يرتقي المنبر ويتحدث دون أن يهتمّ أحد بما يقول، لماذا؟ لأن محور كلامه لم يكن منصبّاً على متطلبات عصره وزمانه.

والنوع الآخر كان يحتشد حوله الناس من كل حدب وصوب، لاسيّما فئة الشباب، ويستمعون إليه بآذان صاغية، «حيثما وُجد بائع الحلوى اجتمع عليه الزبائن».

فماذا كان الفرق بين هذين النوعين من الخطباء؟ هل كان في القدرة على التعبير؟ أو في طبقة الصوت؟ أو في الشكل والمظهر؟ لقد كانت هناك أنواع شتى من الخطباء تنتمي لكلا الفريقين، إلاّ أنّ كل فريق كان يتمتع بخصوصيات مميّزة.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٦٩.

(٢) حديث في مراسم التعميم (يوم النصف من شعبان) ١٣٧٠/١١/٣٠هـ. ش.

إنّ أُولئك الخطباء الذين لم يكن لهم مستمعون أو مخاطبون كانوا هم أُولئك الذين لم يعرفوا متطلبات العصر وكانوا يتحدثون في أُمور أُخرى.

لقد كان الجمهور توّاقاً للاستماع إلى كلام جديد حول الإسلام، وهو ما لم يكن يتفوّه به أُولئك الخطباء، إما لعدم جرأتهم على ذلك، أو لعدم وصوله إلى عقولهم، أو لعدم تجويزهم للخوض فيه، ولربما كان ذلك الكلام يدور في أذهان بعض الخطباء، ولكنهم كانوا ينصرفون عنه لسبب أو لآخر»[1].

لقد حازت هذه الملاحظة على أهمية قصوى في ظروف ما بعد انتصار الثورة، وبات لزاماً على أُولئك الذين يشكّون من ندرة المخاطبين وقلّة المستمعين أن يعيدوا النظر في أفكارهم، ويصدقوا بأن المجتمع الثقافي للبلاد يتحرك في نطاق متطلباته الملحّة، ويعالج مشاكله الفكرية والروحية ويبحث لها عن حلول موضوعية، ويهمه أن يسمع جواباً أو على الأقل ظلالاً لجواب عمّا يحتاجه من متطلبات فيما يقال وما يكتب، وأن لا يشعر بوجود هوّة عميقة بين قضاياه وبين ما يقال وما يكتب، وذلك حتى يولي أهمية من جانبه هو الآخر لما يقوله الخطباء والكتّاب.

وفي مثل هذه الحالة فإن باستطاعة النظام التحقيقي والتبليغي للمؤسسة العلمائية أن يحقق ما يصبو إليه من نجاح ونشاط، إذا ما أقدم على إيجاد علاقة فاعلة بين نظامه التحقيقي والتبليغي وبين حاجات المجتمع، واستقى موضوعاته ومحاور نشاطه من متطلبات المجتمع المعاصرة والملحّة، وأقام على أساسها برنامجه التحقيقي ونظامه التبليغي:

«إن نصيحتي لكافة العلماء، ومن بينهم علماء رفسنجان، هي أن يبحثوا عن متطلبات العصر ويفتشوا عن حاجات المجتمع، ثم يقوموا باستنباط

---

(١) حديث لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية في رفسنجان ١٣٦١/٢/٢٧هـ.ش.

أحكامها من الشرع الإسلامي المقدس؛ لأنه ﴿تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾[1]، وهذا مما لا شك فيه.

فعليكم بتجهيز كل ذلك وإعداده، ومن ثم تقديمه كلقمة سائغة إلى الجمهور»[2].

٣ـ الحصانة النسبية من التضعضع والاهتزاز:

تتمتع الأجواء الطبيعية للحوزة بالتناسق والتناغم والتضامن الجمّ، وهذه الأجواء التي تبدو طبيعية تستولي على مشاعر الحوزويين وتمنحهم روح الثقة العالية؛ فالحضور في الحجرة السكنية والصف الدراسي، والتعامل مع الكتاب والدرس والزملاء يخلق جواً متميزاً لصفاء الطّويّة[3] والبساطة والسهولة بشكل طبيعي، مما يستتبع الثقة السريعة في الآخرين، أو يسلب الثقة بسرعة أيضاً جرّاء الوساوس والشكوك.

ومثل هذه الخصوصيات حتى ولو لم تكن عامة وشاملة ـ وإن لم تقل أيضاً موارد الاستثناء فيها ـ فإنها تعطي صورة تقريبية عن حقيقة النظام الحوزوي القائم.

إن ما يمكن أن يمنح المؤسسة العلمائية حصانة نسبية هو معرفة العصر والعلم بالزمان؛ فإذا ما كان العالم مطّلعاً على الدسائس العالمية، ومدركاً لمكائد أرباب السياسة، وعارفاً بأساليب ذوي الحيل والخِدَع، وواقفاً على طرائق اللفّ والدوران المعقدة لدى ساسة العالم وحكامه، فإنه سيكتسب الحصانة النسبية ويقي نفسه من الهزّات الاحتمالية، ويكون أبعد عن الوقوع في حبائل وشراك الأعداء المخادعين والماكرين.

---

(١) سورة النحل: ٨٩.

(٢) حديث لدى استقبال علماء وطلبة العلوم الدينية في رفسنجان ١٣٦١/٢/٢٧.

(٣) الطّويّة: النية والضمير

ولن يكون العالم بمنأى عن الأخطار الماحقة إذا لم يتمتع بهذه الصفات حتى لو بلغ أرفع درجات العلم والقداسة والتقوى، بل إنه كلما زاد الارتقاء في مدارج العلم والتقوى زادت المخاطر؛ فالعلماء الزاهدون بما لهم من منزلة في أوساط المجتمع يصبحون عرضة لمكائد المستكبرين وأصحاب رؤوس الأموال الذين يطرقون كل باب من أجل استمالة العلماء الهداة لعلّهم ينخرطون في سلكهم، ويسيرون على نهجهم القائم على أساس رغباتهم ومصالحهم الذاتية.

وعلى هذا فإن مجرد العلم والتهذيب النفسي لن يجدي نفعاً، بل إنه سيضاعف المشكلة ويجعل الفرد عرضة للمؤامرات الحثيثة إذا لم يتسلح بـ «معرفة الزمان»:

«وأما النقطة الثالثة فهي العلم بالزمان؛ فلو كان هناك ـ لا قدّر الله ـ عالم على قدر كبير من التقوى، لكنه جاهل بزمانه ولا يعرف ماذا يدور في هذا العالم، ولا يستطيع أن يفرّق بين الصديق والعدو، سترون أن هذا الجبل من العلم والتقوى قد أصبح في كفّة الباطل.

وبالطبع فإنه لا يكون عامداً في ذلك، أو أنه يريد أن يرتكب عملاً سيئاً لا سمح الله، بل يكون نتيجة للجهل بالأوضاع المعاصرة وعدم معرفة العدو وماذا يريد منّا. فعليكم بالوعي، لأن «العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»[1]»[2].

ولقد أشار سماحة القائد إلى هذه النقطة في حديث آخر، وأخضع سوء تصرفات بعض العلماء إزاء الثورة والنظام للدراسة والتحليل، وذلك من منظار عدم العلم بأوضاع العصر والزمان:

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٦٩.

(٢) حديث في مراسم التعميم ١٣٧١/١١/١٨ هـ ش.

«اعلموا لو أنّ أحد الأشخاص نبغ في التحصيل الدراسي وأصبح عالماً من الطراز الأول، واكتسب قدراً من التقوى يجعله «سلمان» العصر، فإن مثل هذا العالم العادل الفقيه التقي الورع إذا لم يكن عالماً بزمانه فإنه يمكن أن يكون أداة للشيطان لو لم تنله الرحمة الإلهية!

إنه يمكن أن ينجو بنفسه ويدخل الجنة؛ لأنه عمل طبقاً لاستنباطه واجتهاده، ولكن دون أن يسدي خدمة للناس، لأنهم يستفتونه فيخطأ في الفتوى.

إنّ هناك العديد من الأشخاص الطيّبين، ولكنّ الشيطان يقصدهم ويسألهم قائلاً: هل تعلمون ما يجري في محاكم الجمهورية الإسلامية؟ فيجيبونه متسائلين: وماذا يحدث؟ فيقول: لقد حمّلوا شخصاً ما لا يطيق من الضرائب! فيعلّقون: يا لهم من أشرار!

ولنفرض الآن وجود حالة من هذا النوع، فـ «الجزئي هل يكون كاسباً أو مكتسباً»؟ وهل يصبح هذا سبباً في أن نشنّ هجوماً على جمهورية إسلامية بهذا القدر والعظمة؛ لأن بعض المحاكم ارتكبت بعض الأخطاء؟!

لقد كان كافة الأنبياء وأئمة الهدى عليهم السلام يأملون في إقامة حكومة من هذا النوع يكون فيها القرآن حاكماً، وهذا هو ما تحقق في زماننا حالياً، فيجب علينا أن نفديه بأرواحنا.

ولكننا نجد أنّ بعض المتقوّلين والجهلة والبعيدين عن معرفة الزمان والمكان يشنّون حملة شعواء على الجمهورية الإسلامية ذات العظمة والعزة، ويوجّهون إليها الانتقادات والشتائم!

وأقصد من هذا أنه ربما يوجد بعض الطيّبين الأتقياء والمتدينين والعلماء ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الزمان والمكان وأوضاع هذا العالم، مما يتسبب

في أن يصبحوا وسيلة للشيطان الرجيم، فمع أنهم عملوا طبقاً لتكليفهم وتشخيصهم، وليسوا بأناس سيّئين، وسيدخلهم الله الجنة، ولكن من الممكن أن يوقعوا بعض الجهلة والبسطاء في الخطأ ـ لا سمح الله ـ بسبب طبيعتهم تلك.

وعلى أية حال، عليكم أن تعلموا بأن واجبكم هو الدراسة واكتساب التقوى، ولكن هذا ليس كل شيء؛ فعليكم أن تضمّوا إلى ذلك الوعي والبصيرة، فبدونهما لن تكون عاقبة العلم والتقوى في صالحكم ولا في صالح الناس»[1].

٤ـ معرفة الأوضاع:

إنّ العلم بالزمان يتأتّى عن طريق معرفة الأوضاع، وإنّ العالم يستطلع موقعه أولاً ثم يتخذ ما يتناسب معه من مواقف، فلا ينبغي له أن يَقدِم على أمر دون العلم بوضعه ووضع بلاده، كما أن عليه أن يتحاشى ردود الفعل السريعة وغير المحسوبة، وأن يستشرف نتائج قراراته ويدرس آثارها على البيئة التي يعيش فيها.

إنّ عالم الدين الجاهل بأوضاع زمانه يغلب عليه سريعاً الشعور بالمسؤولية المتوخّاة، ومن ثم يتخذ قراراته بناءً على معلومات أولية، ويسرع إلى تنفيذ تلك القرارات دون الاهتمام بما لذلك من أبعاد وآفاق ونتائج أو الأخذ بالاعتبار وضعه ووضع البلاد:

«إنّ ما ينتظره الشعب منّا ثانياً هو أن نكون على علم دقيق بالأوضاع الحساسة للبلاد، وأن تكون كافة قراراتنا قائمة على هذا الأساس. ولربما كان بعض الطلبة أو العلماء أو الخطباء أو أئمة الجماعة المحترمين في المدن

---

(١) حديث في مراسم التعميم ١٣٧٢/١٠/٢٦ هـ ش.

المختلفة لا يعيرون أهمية كبيرة لأفعالهم وتصرفاتهم ومواقفهم وعلاقاتهم، ولا يعتبرونها مصيرية فيما مضى، إلاّ أنها باتت اليوم مهمة ومصيرية.

إنّ العلماء اليوم، ولاسيّما المقيمين في مدنهم والذين يتمتعون بمنزلة خاصة ويضطلعون بإحدى المهام الثورية، تعتبر جميع حركاتهم وسكناتهم أمراً مصيرياً؛ ولذلك فإن الناس ينتظرون منّا أن نتعامل مع الأحداث بحصافة وحكمة»[1].

التعامل الفاعل مع تطورات العصر

إنّ مرور الزمان يخلق ما يتناسب معه من تطورات، وسيغيّر من وضع المؤسسات والكيانات الاجتماعية، وكثيراً ما ذاقت الحوزة طعم هذه التطورات على طول تاريخها؛ فعلى نطاق المواد الدراسية والنظم التعليمية والتشكيلات والأنظمة المختلفة ووسائل التبليغ وغيرها من الأمور ذات الصلة والاهتمام شهدت الحوزة والمؤسسة العلمائية تاريخاً حافلاً بالتحوّل والتطوّر.

ولقد أشار سماحة القائد إلى هذه النقطة، وخصّ بالذكر تطور كيان المرجعية في المؤسسة العلمائية، فقال:

«إنكم لو دققتم النظر لوجدتم أنّ أوضاع الحوزة كانت تتطور طبقاً لتطورات الزمان ومتطلباته المختلفة حتى في مرحلة العزلة والانطواء؛ فلقد كانت وسائل الاتصالات ضعيفة في الماضي، وكانت اللقاءات نادرة، وكان هناك مرجع للتقليد في كل مدينة. فحيثما ذهبتم من كاشان إلى قم إلى تبريز إلى أصفهان كنتم تجدون مرجعاً للتقليد، لدرجة أنّ بعض القرى كان بها مرجع للتقليد أيضاً.

---

(١) حديث لدى استقبال جمع من علماء الشيعة والسنة من (تربت حيدرية) ١٣٦٥/١/٣هـ.ش.

لقد كان تلامذة المرحوم الشيخ البهبهاني ـ كالمرحوم بحر العلوم والشيخ جعفر وصاحب الرياض ـ مقيمين في النجف، وأما مرجع التقليد المرحوم الشيخ محمد علي فقد كان مقيماً في كرمانشاه آنذاك مع حاشيته العظيمة، وفي قم كان يوجد المرحوم الميرزا القمي بحاشيته العظيمة، وفي كاشان كان المرحوم الملاّ مهدي النراقي ومن بعده ولده الملا أحمد النراقي بما كان لهما من مكانة ومنـزلة.

وإذا اتجهتم إلى مشهد وجدتم الميرزا مهدي شهيد بما له من درجة شامخة، وإذا ذهبتم إلى أصفهان وجدتم المرحوم «حجة الإسلام»، وكان كل من تلاميذه مرجعاً للتقليد قادراً على تلبية متطلبات العالم.

ولم يكن من الممكن القول حينذاك: بأن يكون مرجع التقليد شخصاً واحداً، مع أنّ ذلك كان ممكناً أيضاً في ذلك الزمان، غير أنّ مقتضيات العصر كانت تتطلب ذلك، حيث لم تكن وسائل الاتصال متيسّرة؛ ولهذا فقد كان هناك مرجع للتقليد في كل مكان.

وإننا نريد أن نقول: بأنها لم تكن ضرورة، بل إنها مقتضيات الزمان.

ولكم أيضاً أن تعودوا إلى زمان الشيخ المفيد؛ فمن «صاغان» ـ تلك المنطقة المجهولة في خراسان ـ كانوا يبعثون رسائل إلى الشيخ المفيد.

وكان يجيبهم عنها في «أجوبة المسائل الصاغانية»، فهذا في زمان الشيخ المفيد. وأما في زمان السيد مهدي بحر العلوم، فقد كان من المرجّح أن يطلب الناس جواب استفتاءاتهم من النجف، ولكن هذا لم يحدث، فلقد كان العلماء مراجع للتقليد في كل مكان ومدينة.

وإذا وصلنا إلى الشيخ الأنصاري والميرزا الشيرازي؛ ففي ذلك الزمان كان السائد هو أنّ المرجع واحد دون تعدد المرجعية، وكان ذلك هو ما يقتضيه الزمان يومذاك.

وعلى هذا فإن اقتضاءات الزمان كان لها أثر على الحوزات، ولـم تكـن الحوزات العلمية جامدة على وضع واحد على الدوام»[1].

وبهذا فإن أحداث الزمان كان لها تأثيرها على الحوزة وما يرتبط بها من مؤسسات، ولكن هذا التأثير ـ أولاً ـ كان بطيئاً فـي البدايـة دون أن يكـون مواكباً لتطورات العصر، ولاسيّما في القرن الأخير، حيث تلاحقت الأحـداث بسرعة واضطراد، فإن هذا الـضعف والـبطء بـرزا بـشكل أوضـح وظهـرت آثارهما بصورة أشد جلاءً من ذي قبل.

وثانياً، فإن ما وقع من أحداث اتّسمت أساسـاً بالانفعاليـة دون الفعاليـة والتخطيط، فكانت التحركات ردود فعل لتطـورات الزمـان وليـست مطابقـة لمتطلباته؛ مما جعل البرامج وأساليب التعاطي مع حاجات العـصر لا تخـرج عن هذا الإطار.

وقد تسببت هذه الحقيقة فـي عـدم شـمولية التطـورات علـى مـستوى الحوزة في حالات كثيرة، وأن تخرج إلى الوجود ناقصة وثانوية.

والآن فإن على الحوزة في هذه الظروف الجديدة التغلـب علـى هـاتين الآفتين في تعاطيها مع تطورات العـصر التـي أخـذت بعـض أبعادهـا تـشقّ طريقها ومازالت تمارس نفوذها داخل المؤسسة العلمائية شئنا أم أبينا.

فعلى الحوزة أن تلحق بركب التطورات، وأن تهبّ إلى ذلك بسرعة بمـا يتلاءم ومعطيات العصر من جهة، ومن جهة أُخرى فإن عليها أن تعـد لمثـل هذه القفزة برنامجاً وأُسلوباً فعالاً في التعامل.

ويقول سماحة القائد استطراداً للحديث الآنف الذكر:

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١ هـ . ش .

«هل من المناسب أن يقف فضلاء الحوزة وعلماؤها ومدرسوها ومحققوها وكوادرها الأساسية مكتوفي الأيدي، بانتظار ما قد يحدثه الزمان من تغييرات تتناسب مع مقتضيات المرحلة؟

فهل هذا هو الموقف الصحيح؟ وهل أن الانفعال أفضل، أم الفعل؟ وهل أن التفكير الايجابي والخلاقية والإبداع أفضل، أم الاستسلام للقضاء والقدر الإنساني والشيطاني ـ لا القضاء والقدر الإلهي ـ، بحيث نترك الأمور تجري تبعاً لهوى التأثيرات المختلفة تفعل بها ما تشاء، أو نتساهل فيها لتجري كيفما كان؟ أيهما الأفضل؟»[1].



(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١ هـ. ش.

المقالة الثانية

إنتاج الثقافة

- الأدوار الثقافية لعلماء الدين
- تعميق الثقافة الدينية
- الأرضيات والوسائل

لقد كانت المؤسسة العلمائية أحد العناصر الأساسية المنتجة للثقافة في هذا البلد، حيث تولّت ضخّ المجتمع بالعقائد والقيم والمبادئ السائدة وغير السائدة بشكل أساسي، حتى أصبحت نسيجاً من الثقافة الاجتماعية لهذه المنطقة.

على أنّ منزلة العلماء كمراجع دين هي التي جعلت من أقوالهم وأفعالهم حجة شرعية ومقبولة لدى الناس، ورسّخت حضورهم في ثقافة المجتمع العامة واليومية. ومثل هذه العلاقة الوثيقة من شأنها أن تجعل الصلة بين (الحوزة) و(الثقافة) تحظى بنظرة ثاقبة وعميقة من جانب الباحثين، وتجد مكانها المناسب في (البناء الثقافي للحوزة).

لقد كانت الحوزة هي المرجع الأساس لثقافة المجتمع الدينية على طول تاريخ بلادنا، كما كانت المصدر الرسمي لترسيخ وبيان المبادئ العقائدية والقيم الأخلاقية، وكذلك في حركة الإفتاء واستنباط الأحكام الشرعية، حتى باتت كعبة يؤمّها الراغبون على صعيد الاستفتاءات البسيطة والعميقة والحوار الدائر بين المذاهب والأديان وسوى ذلك من القضايا، حيث كانت الأنظار تتجه إلى الحوزة طالبةً رأيها النهائي.

وبهذا صارت الحوزة ذات ولاية مقبولة وراجحة، لا يعتريها الشك في مجال إيضاح وتبيان المسائل والعقائد الدينية، وأصبح العلماء هم مراجع "المعرفة الدينية" وأصحاب الفضل في "تنشئة المتدينين" في المجتمع.

وعلى هذا الأساس فإن العلماء يتحمّلون مسؤولية جسيمة في الحفاظ على هذا الدور التاريخي، ولن يكون بوسعهم البقاء أُمناء على الثقافة الدينية

في هذا البلد إذا ما تخلّوا عن دورهم كصنّاع للثقافة، أو فرطوا في إنجازاتهم ومكاسبهم التاريخية، أو لم يعكفوا على رعاية الثقافة الدينية وصياغتها بما يتناسب مع ظروف الحياة، ولم يأخذوا بعين الاعتبار تراث الأسلاف كضمانة ومادة علمية متراكمة عليهم إعادة عرضها وتسويقها مؤطّرة بعناصر الإبداع والخلّاقية والتطوير.

وإنّ الحوزة تواجه تحدّياً خطيراً يتمثل في القناعة بمجرد «نشر وترويج الثقافة» والتخلي عن دورها المعهود في صناعة الثقافة وإنتاجها.

وفي مثل هذا الموقف فإن على الحوزة أن تُهبّ للدفاع عن تلك العقائد والقيم والقضايا التي لم تعد تحظى بالعناية الوافرة في هذا العصر، أو التي باتت عرضه لسهام النقد والهجوم، على أنها لم ولن تكون قضايا تهمّ المجتمع في يوم من الأيام.

وإذا ما حافظت الحوزة على موقعها في «إنتاج الثقافة» فلسوف تكون قادرة على ترك آثارها العميقة والواسعة على الاتجاه الثقافي للمجتمع، وذلك بما تمتلكه من شبكات عظيمة ومؤسسات كبرى:

«لقد أصبحنا مستهلكين، وهو ما لا يليق بالحوزة التي ينبغي لها أن تكون منتجة وليست مستهلكة؛ فعلى الحوزة أن تقوم بترشيد وتوجيه أئمة الجمعة وكل هؤلاء الخطباء والمبلغين الذين تبعث بهم إلى كل مكان، وأن ترسم لهم منهجيتهم في العلم والممارسة»[1].

---

(١) حديث لدى استقبال أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم ١٣٦١/١٢/٥ هـش.

الأدوار الثقافية لعلماء الدين

إنّ الحوزة كانت ومازالت مؤثرة في ثقافة هذا البلد بأبعادها المختلفة، وفيما يلي نشير إلى بعض هذه الأبعاد الثقافية التي خضعت لتأثير العلماء:

١ـ تبيان الأمور الدينية:

إنّ أبناء بلادنا يشكّلون مجتمعاً ملتزماً ومتديناً، وكما تقدم فإن الناس يأخذون دينهم عن العلماء، فيعتبرونهم أصحاب الشريعة في كل ما يقولون ويصنّفون، ثم يصوغون عقائدهم وسلوكياتهم بناءً على هذا الأساس.

وهذه الحقيقة تدل على الدور المزدوج للعلماء والمبلغين، فهي توضّح دورهم إزاء أولياء الدين الذين يقومون بشرح آرائهم من جهة، ومن جهة أخرى تجاه المجتمع المتدين في هذا البلد الذي يصوغ باطنه وظاهره طبقاً لما يقول له علماء الدين.

إنّ هذه المسؤولية تبدو مضاعفة في إدارة الحكومة الدينية؛ وذلك لأن الحوزة لا تنهض بالدور المميز في صناعة الثقافة الدينية فحسب، بل إنّها ـ وبصفتها منظّراً للحكومة الدينية ـ تكتسب نمطاً من القوّة الحكومية في سياق ثقافة البلاد، فالقيم والعقائد التي تقرها الحوزة تحظى بدعم في المجتمع، وأمّا ما ترفضه من قيم فاسدة ومُثُل سيئة فإنه يصبح مرفوضاً أيضاً على المستوى الاجتماعي العام.

إنّ هذه المنزلة الأكيدة والرفيعة للعلماء في منظومة الحكومة الدينية تجعل مسؤوليتهم مسؤولية جسيمة وخطيرة، وعلى الحوزة في مثل هذه الظروف أن توظّف «الاجتهاد» بمعنى الكلمة وتبذل أقصى ما في وسعها وقصارى جهودها وهمّتها لفهم الدين على النحو الصحيح، وأن تكون حذرة

من أي تساهل وتسامح في إدراك وإيضاح الشريعة، وأن لا تؤدي بالمجتمع إلى موارد الاحتياط غير الضرورية وغير المحبّذة.

كما ينبغي عليها في نفس الوقت أن تصون المجتمع من الزلل والتجرّؤ على ارتكاب المعاصي، وأن لا تمدّه بالقيم الزائفة، وأن لا تملأ عقول مخاطبيها بالعقائد الخاطئة:

«عندما يدار المجتمع على أساس آيديولوجية ومذهب ما، فإن أول وأهم ما يحتاجه هذا المجتمع هو أن يكون هناك شارحون ومفسرون يقومون بإيضاح وتفسير ذلك المذهب لذلك النظام»[1].

٢ـ الحفاظ على الثقافة الدينية:

إنّ العلماء هم المدافعون عن ازدهار وتألّق الدين والشريعة في المجتمع الديني، وهم حماة الثقافة الدينية أمام خطر التعاطي والغزو الثقافي، وهم الذين يبذلون جهودهم بصفتهم لسان الدين والمتحدثين باسمه، وهم الذين يذودون عن القيم والعقائد المثلى للشريعة، وهم الذين يحولون دون رسوخ ونفوذ الأفكار والمثل الغازية في أوساط المجتمع.

ولقد عبّر العلماء عن إخلاصهم لهذا الدور الأساس على طول التاريخ؛ فمنذ عصر الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والسيد المرتضى وما تلا ذلك من عصور، كان العلماء دائماً هم حماة العقائد والقيم الدينية في مواجهة التيارات المهاجمة أو المخالفة.

على أنّ القيام بهذا الدور التاريخي في الحقبة الأخيرة يتّصف بحساسية خاصة، حيث أخذت الثقافة الغربية تنقضّ كالنيازك الحارقة من قمة ذروتها السياسية والاقتصادية على العقائد والقيم الأصيلة في شتّى أنحاء العالم،

---

(١) حديث في لقاء مع طلاب المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١ هـ ش.

فتجعلها كالهشيم مخلّفةً رمادها ذكريات محترقة في متاحف التاريخ المهجورة.

ولهذا فإن الدفاع عن «الثقافة الأصيلة» في مواجهة هذا المدّ الهجومي العاتي يعدّ عملاً شاقّاً وعسيراً، فإذا كان أمثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى قد وقفوا في مواجهة المتكلمين المعتزلة أو الزيدية وما إلى ذلك، وكانوا يحافظون على الروح المعنوية للطائفة الشيعية عن طريق بيان وإيضاح أُصول الفكر الشيعي الإمامي، فها هي الحوزات العلمية تقف اليوم في مواجهة جمهور من المنظّرين الذين تدعمهم كافة الطاقات العلمية والأكاديمية الواسعة والشاملة، فضلاً عن خليط من النظريات البرّاقة التي تخفي حقيقتها خلف قناع من الحيل والأضاليل الزائفة.

ولذا فإن مواجهة مثل هذه العواصف الكاسحة ومقاومتها لمن الصعوبة ـ إذن ـ بمكان، فإذا ما استطاع العلماء القيام بمسؤوليتهم في مثل هذه البرهة التاريخية فإنهم سيكونون قد سجلوا واحداً من أعظم أمجادهم التاريخية:

«إنّ ثمة غزواً ثقافياً ضارياً يُشنّ اليوم ضد الإسلام دون أن تكون له صلة مباشرة بالثورة، إنه غزو أوسع نطاقاً من الثورة ويستهدف الإسلام بأكمله، وإنه لأمر مدهش ومريع عُبِّئت من أجله كافة الطاقات على شتى الأبعاد الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهدفه هو مهاجمة الإسلام، حتى ذلك الإسلام الشائع بين جماهير الشعب الجزائري.

لقد شكّلوا جبهة ثقافية واسعة تساندها السياسة والصناعة والأموال وسواها من كافة أنواع الدعم، فتدافعت كالطوفان في حرب ضروس معنا. وهذه الحرب ليست حرباً عسكرية، فلا تؤثر فيها التعبئة العامة مطلقاً؛ إنّ

آثارها تظهر فجأة فلا نستطيع دفعها، وذلك كقنبلة كيميائية تفعل فعلها في صمت وهدوء، كما لو دخل إنسان إلى منطقة انفجرت فيها قنبلة كيميائية وهو لا يدري، ثم يفاجأ بظهور البثور على وجهه ويديه في غضون بضع ساعات.

إنكم ستشاهدون فجأة آثار هذا الغزو الإعلامي والثقافي في مدارسنا وشوارعنا وجبهاتنا وحوزاتنا العلمية وجامعاتنا، ولعلكم الآن تلاحظون بعض هذه الآثار، غير أنها ستزداد بالتدريج. والأمر لا يعدو طبع كتاب أو إنتاج فيلم، ثم يتم طبعه وتوزيعه ونشره داخل البلاد عن طريق الفيديوا

ولا شك أنّ مواجهة مثل هذا الغزو يتطلّب مالاً وميزانية وإمكانات وأنواع الدعم السياسي من قِبَل الحكومة، ولكن ما الفائدة من كل ذلك؟ طبيعي أنه من أجل التوعية الفكرية، فمن الذي سيكون مصدّراً لهذا الوعي الفكري؟ هل هي الحكومة أيضاً، أم الحوزة ؟»[1].

كما صرّح سماحة القائد في حديث آخر:

«إنّ كافة أعداءنا سيوظّفون الأموال الطائلة والخبرات العظيمة والأدمغة الناشطة لكتابة آلاف الكتب والمقالات فضلاً عمّا كتبوه حتى الآن؛ وذلك في سبيل إثارة الشبهات حول الفكر الإسلامي وزعزعة إيمان الجماهير.

إنهم سيثيرون آلاف الشبهات؛ لتستقر وتُنتقش في أذهان الناس وعقولهم وقلوبهم، فمن الذي يجب عليه الحفاظ على إيمان الجماهير وتحصينهم وتسليح عقولهم في مواجهة هذا الغزو الثقافي؟ إنّ هذا هو واجب العلماء»[2].

٣ـ تدوين ونشر ثقافة الثورة:

لقد ولد الإسلام الثوري في هذا البلد، فترعرعت في ظِلّه ثقافة جديدة، وذاع صيت إيران كرافعة للواء الإسلام الثائر والمتوثّب. وهذا الحدث

(١) حديث في جمع من ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧ هـ. ش.

(٢) حديث لدى استقبال جمع من علماء أهل السنة من (بندرتركمن) ١٣٦٣/٢/١٨هـ. ش.

التاريخي العظيم ألقى عبئاً ثقافياً آخر على كاهل علماء الدين، وجعلهم أمام دور جديد لا يقلّ أهمية عن الدورين المشار إليهما آنفاً.

إنّ على الحوزة، كدور طليعي في الحركة الثورية، أن تقوم بتدوين فكر الثورة وثقافتها، وأن تدرس سبل توسيع رقعتها على النطاقين الداخلي والخارجي، وتبحث أرضيات ترسيخها وتعميقها:

«على الباحثين والمحققين أن يشمّروا عن ساعد الجد في سبيل جدولة وتدوين فكر الثورة وعقائدها، أو آيديولوجيتها طبقاً للتعبير الأوروبي، ثم يقوموا بإخراج هذا الفكر في مجلدات عديدة وبوسائل مختلفة، حتى إذا سُئلنا عن ثورتنا، أجبنا: ها هي الثورة. فإذا لم تقدموا أنتم على تحقيق مثل هذا الإنجاز، فإن الآخرين سيقومون بإنجازه مع افتقارهم عادةً لمثل هذه الصلاحية»[1].

وللأسف فإن الحوزة لا تبدي قوةً ونشاطاً في القيام بهذا الدور الثقافي، ومع أن منظّري كافة الثورات الكبرى كانوا يولون اهتماماً بالغاً لترشيد ثقافتها وتدوينها وترويجها، ويقومون بتبيان مبانيها وأهدافها من خلال عشرات الطرق والأساليب، فإن علماء الدين لم يخطوا هذه الخطوات فيما يخص الثورة الإسلامية في إيران، ولم يقدموا إنجازاً مدوّناً ولائقاً حول إيضاح وبيان الأُصول الفكرية للثورة حتى الآن:

«إنّ هذه الثورة بكل ما لها من عظمة وأبعاد وآثار عملية تعدّ من أضعف وأقل الثورات وحتى التحوّلات العالمية إنجازاً على صعيد تقديم وعرض أصولها الفكرية.

عندما قامت ثورة اكتوبر، فإنهم عمدوا ـ خلال عشرة الى خمسة عشر عاماً ـ إلى طبع العديد من الكتب والروايات والمذكرات، وإنتاج العديد من

---

(١) حديث في جمع من ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧ هـ. ش.

الأفلام على كافة المستويات فيما يخص الأُصول الفكرية لهذه الثـورة؛ لكـي يطّلع عليها أبناء الشعوب التي هبّت عليها رياح تلك الثورة، بحيـث اسـتغنوا عن مطالعة إصداراتهم المحلية!

ولقد ترك ذلك النتاج الفكري أثراً كبيراً علـى مـساحة واسـعة النطـاق، لدرجة أنّ مثقفي تلك الشعوب كـانوا ينـدفعون إلـى تـأليف الكتـب حـول الأُصول القيمية والفكرية لثورة اكتوبر!

ونظراً للإشباع الزائد فإن الإيرانيين قاموا بتأليف العديد من الكتب حـول الأُصول الفكرية للثورة الروسية خلال العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، أي أنّ السوفييت أنفسهم أصدورا مؤلفات لا حدّ لها، مما جعل المثقفـين المتـأثرين بهم على نحو ما من الناحية الفكرية يحسّون بالإشـباع والاسـتلهام فيـسارع البعض إلى الكتابة والتأليف، ولاسيّما الكتّاب والمفكرين والمثقفين المبدعين، وذلك عدا الترجمات الكثيرة للكتابات والمؤلفات الأخرى.

فماذا أنجزنا نحن؟ إنّ الذي قدّمناه على هذا الصعيد يعدّ قليلاً جـداً فـي الحقيقة، ولربما لا يُقال بأنه بقي في حـدود الـصفر مراعـاةً لمـشاعر بعـض المخلصين الذين كان لهم بعض النتاج، وأما إذا لم نأخذ بالاعتبار هذه الأبعاد العاطفية، فعلينا القول: بأنه أكثر من الصفر بقليل!

لقد مضى أحد عشر عاماً من عمر الثورة، وكان من اللائق أن يقوم مئات الكتّاب الإسلاميين بإصدار المؤلفات حول أُصول الإسلام، وكان ينبغي علينـا القيام بتربية مثل هـذه الكـوادر، ولكننـا لـم نفعـل، وهـذا العمـل هـو مـن واجبات الحوزة.

إنّ المسؤولية الجسيمة تقع على كاهل الحوزات العلمية، وفـي مقـدمتها حوزة قم؛ فكان ينبغي على الحوزة العلمية في قم أن تقدّم إنتاجاً وافراً علـى هذا الصعيد»[1].

---

(١)حديث في جمع من ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧ هـ . ش .

تعميق الثقافة الدينية

إنّ المؤسسة العلمائية تتحمّل مسؤولية خاصة على نطاق ترسيخ وتعميق الثقافة الإسلامية في المجتمع؛ وذلك لموقعها المتميّز كراعٍ أصلي ورسمي للثقافة الدينية، فعليها في سبيل ذلك أن تتخذ خطوات جادّة ومبرمجة.

كما يجب عليها أن لا تغترّ بالضوضاء والضجيج، وأن تتوخّى الحذر إزاء استناد الثقافة الدينية في البلاد إلى العواطف والأحاسيس، وأن تكون على يقين بأن تلك العقائد القائمة على العواطف هي عقائد معرّضة للخطر، فعليها أن تسعى لعقلنة الثقافة الدينية وأن تقوي جذورها، وأن تخرج ببناء عقلاني متناسب مع الفهم الأصيل لكليات المفاهيم الدينية:

«إنّ ما نحتاجه اليوم في مجتمعنا وينبغي التأسيس له في الحوزات العلمية هو تعميق الفكر الإسلامي في عقول الجماهير.

أيها الإخوة الأعزاء، إن مجتمعنا اليوم في مجمله هو مجتمع إسلامي وثوري، لقد ترسّخت فيه قضية القيادة الإسلامية، وقضية الجهاد، وقضية الكفاح ضد أعداء الإسلام، وقضية التوحيد بمعناها العملي، وإنّ أبناء الشعب مقتنعون بذلك، ولكنني أطرح عليكم هذا السؤال:

ما هي النسبة المئوية لأولئك الذين ترسّخت في أذهانهم هذه القضايا بحيث لا تزول بالشك والوسوسة؟ وهل فكرتم حقيقةً في هذا الموضوع؟

ما هي النسبة المئوية لهؤلاء الشباب من أبناء حزب الله المتأهّبين للذهاب إلى الجبهات، بحيث لو بدأت العناصر المضلّة والشيطانية في العمل على عقولهم، فإنها لا تستطيع حرفهم عن خطّهم الفكري الصحيح الذي يلتزمون به اليوم؟

إنني أعتقد بأن هذه النسبة حتى ولو كانت عالية فإن ثمة نسبة عالية أيضاً ممن لم تتعمق في أذهانهم هذه الأفكار، والذين يمكن أن يتأثروا بأضاليل تلك العناصر الشيطانية. إنّ تعمّق الفكر الإسلامي لأمر في غاية الأهمية»[1].

على المؤسسة العلمائية أن تقتنع بأن الإيمان القائم على المشاعر والعواطف هو إيمان معرّض للتغيير أو مهدّد بالتحريف. لقد عصفت التحريفات الدينية بتلك المجتمعات التي لم تتعمّق فيها الثقافة الإسلامية بالشكل المطلوب، وتلك التي لم تقُم على أساس راسخ من الوعي، بل تأسست على أُصول وجذور قوامها المشاعر والأحاسيس والتحمّس، وبالتالي كانت عرضة للتحريفات بكل يسر وسهولة، ونالت من قيمها ومُثُلها التناقضات المختلفة في النظرية والتطبيق، فباتت سدّاً منيعاً وصلباً أمام الفهم الصحيح للدين.

إنّ تعميق الثقافة الدينية وتحصين المجتمع في مواجهة تغيير أو تحريف العقائد والقيم الإسلامية منوط بما تقوم به الحوزة والمؤسسة العلمائية من نشاط واعٍ طويل الأمد بعيداً عن الإثارات اليومية والعواطف العابرة. وعلى هذا الجهاز الفكري أن يكون قادراً على السيطرة على تيار المشاعر والعواطف الاجتماعية، وأن ينظر إلى القضايا الفكرية الإسلامية بنظرة أكثر شمولية واتّساعاً، ويولي اهتماماً للجانب العقلاني للثقافة الدينية في المجتمع.

ولقد شدد قائد الثورة الإسلامية على هذه النصيحة عام ١٣٦١هـ ش (١٩٨٢م) ـ أي في مرحلة الحرب وتوقّد الثورة واشتعالها ـ قائلاً:

«عندما ينظر المرء بصورة طبيعية إلى مجتمعه وتاريخه فإنه يشعر بأن مجتمعنا سوف يواجه مشاكل في المستقبل، وهذا لا يعني أن تكون هذه

---

(١) حديث في جمع من علماء وطلاب مشهد ١٣٦٧/٦/١٠ هـ ش.

المشاكل مشاكل سيئة، فلربما لا تكون مشاكل سيئة أو أحداثاً مـرّة ومؤلمـة، بل مشاكل تستدعي القيام ببعض الواجبات، وهذا شيء عادي كما نراه اليوم.

إنّ توهّج الثورة اليوم وتوقّدها واشتعالها إضافة إلى قيام الحرب قد تكفّل بحل الكثير من المشاكل، وأما في المستقبل فمن الممكن أن تستجدّ المزيـد من النشاطات التي ينبغي على العلماء القيام بها، ولهذا فـإنني أسـوق حـديثاً مختصراً في هذا الصدد:

إنّ التحمّس والثوران والعواطف عادةً ما تكون كـ «البلدوزر» الذي يشقّ الحواجز ويتغلب على الموانع والعقبات مواصلاً طريقه نحـو الأمـام، أي أنـه يقوم بمهمة شاقّة، وأما الأعمال الحساسة والدقيقة فإنها تتطلب شيئاً آخر.

إنّ الحماسة والثوران والتوثّب تعتبر من العناصر المهمة، ولكنهـا ليـست كل شيء، ولهذا فإن هناك العديد من التساؤلات والقضايا التي يجـب علـى شعبنا الوقوف عليها في المستقبل ـ أو حتـى فـي الوقـت الحاضـر بالنـسبة للبعض ـ بمعزل عن هذا التحمّس والتفجّر.

إنّ تلك القضايا التي سيعرفها أبناء الشعب تتعلق بمبنى هذا النظـام ـ أي الإسلام ـ بالدرجة الأُولى. إنّ شبابنا اليوم يدافعون عن الإسلام بإيمان كبيـر، ولكنهم من الممكن أن يواجهوا بعض التساؤلات جرّاء وسوسة الخناسين، أو عندما ينصرفون ـ هم أنفسهم ـ إلى التأمّل والتفكير الذهني، وهذه التساؤلات هي ما يجب علينا نحن العلماء والمؤسسة العلمائية أن نجيب عنها.

فمن البديهي أن يكون بعد كل حركة ناشئة عن التحمّس والعاطفـة ثمـة جهاز مختص يُمسك بزمام الأُمور بهدوء وتعقّل لمناقـشة القـضايا الفكريـة، وبحثها ودراستها والعثور على حلول لها الواحدة بعد الأُخرى.

ولهذا السبب، فإننا نجد المنظّرين في كافة أنحاء العالم اليوم، وبعد كـل حركة تقوم بها الدول والحكومات، نجدهم يتفرّغون لبحث القضايا التي تهـمّ

مجتمعاتهم والتي يؤمنون بها على الأصعدة السياسية والآيديولوجية، ثم يخرجون بنظريات يقدمونها إلى الحكومات من أجل تطبيقها والعمل بها»[1].

الأرضيات والوسائل

١ـ اكتشاف الموضوع:

يتجلّى صنع الثقافة في نطاق «معرفة الموضوع»، ويتميز صنّاع الثقافة في المجتمعات والتاريخ بأنهم يمتلكون نظرة أفضل وأرقى مما هو شائع بين الباحثين العاديين، وأنهم يرون بعين ثاقبة ما لا يراه الآخرون، كما يهتمّون بمواضيع لا يهتمّ بها الآخرون أو يتجاهلونها ويمرّون عليها مرور الكرام.

وقد أشار سماحة القائد إلى مميزات الأُستاذ الشهيد المطهري، منوّهاً بذلك قائلاً:

«إنّ أحد الملامح الإيجابية في شخصيته أنه كان يمتلك ذهنية ممتازة قلّ أو انعدم نظيرها في البحث عن الموضوع محلّ الاحتياج، والعثور عليه وتحديد أطره؛ أي أنَّه كان في خصوص القضايا الإسلامية، يصنِّف بمهارة ويستخرج الموضوعات بنحو دقيق ومميز ويلاحظ بدقة أنَّ هذا هو أحد الموضوعات ذات الحاجة والإهتمام.

ويبدو لي أنّ على المعنيين بالمجالات الفكرية أن يهتّموا بالمواضيع التي تستحق الدراسة والبحث ويغوصوا في أعماقها، وهذا العمل المهم يعتبر من أفضل المميزات»[2].

---

(١) حديث في جمع من علماء وطلاب غرب طهران ١٣٦١/٢/١٦هـ.ش.

(٢) حديث لدى استقبال أعضاء مركز إقامة الذكرى السنوية للأستاذ الشهيد المطهري ١٣٦٨/٢/٣ هـ.ش.

٢ـ الانفتاح على آفاق المستقبل:

إنّ وضع لمسات مؤثرة على ثقافة البلاد يتطلب نظرة أكثر اتّساعاً وبُعداً، فالذين يتحركون في نطاق الأُطر التقليدية بوسعهم التأثير في ظاهر الثقافة الاجتماعية دون إحداث تطورات مؤثرة في عمقها وباطنها.

وإنَّ إحداث قفزة في ثقافة مجتمع ما لا ينهض به سوى أصحاب النظرات الثاقبة البعيدة، والذين يسبقون عصرهم وزمانهم.

وهكذا هي الحوزة والمؤسسة العلمائية، فإنها لن تكون ذات تأثير في "الثورة الثقافية" إلاّ إذا تمتعت بنظرة أوسع وأبعد من أُطر وتساؤلات عصرها، ووقفت على حقيقة التيارات التي ستلمّ بالمجتمع في المستقبل، وتنبّأت بحاجات ومتطلبات الغد، وأخذت على عاتقها منذ هذه اللحظة مسؤولية التعامل مع تلك التيارات وترشيدها وتوجيهها نحو الوجهة الصحيحة بشتى الطرق والأساليب.

وفيما عدا ذلك فستقع المؤسسة العلمائية في ربقة التيارات الداهمة، وستظل أسيرة التساؤلات التقليدية الحالية، فتتحول الحاجات والتساؤلات إلى أعاصير لا تكاد الحوزة تخلص من إعداد جواب لها إلاّ وتعرضت إلى أعاصير وتيارات جديدة.

وهكذا تغرق في بحر متلاطم من الأعاصير والأمواج العاتية والمهاجمة دون هوادة، فلا يكون باستطاعتها حينئذ صناعة تيار فكري أو إقامة عماد بناء ثقافي، وستعجز عن الأخذ بزمام التيارات الموافقة أو المعارضة أو توجيهها والتحكّم بقيادها. ولكن الانفتاح على آفاق المستقبل والتوسل بالتخطيط والبرمجة بإمكانه التغلّب على هذه المعضلة، والأخذ بيد الحوزة على طريق البناء الثقافي للبلاد:

«إننا اليوم بحاجة إلى مواضيع جديدة تتعلق بمستقبل المجتمع، وهذه المواضيع يمكن العثور عليها في القرآن والحديث.. وإننا ستتعرض إلى العديد من المشاكل إذا لم نستعد ونخطط للسنوات الخمس أو العشر القادمة»[1].

٣ـ التجديد:

إنّ لصناعة الثقافة علاقةً وثيقةً بالخروج عن الأُطر والأشكال التقليدية والعثور على أفكار وسبل جديدة، وإنّ الذهنيات التي تخلد وتطمئن إلى الآراء والأساليب السائدة والمتداولة لن يكون بإمكانها القيام بدور إبداعي وخلاّق في النهوض بالثقافة الاجتماعية، وستعجز عن إحداث قفزة واسعة على هذا الطريق، ولكن الذين يبحثون عن أفكار جديدة ويسعون للعثور على أساليب عصرية هم الذين سيكون بإمكانهم وضع لمسات مؤثرة في هذا المجال.

ولا شك أنّ المؤسسة العلمائية هي الأُخرى بحاجة إلى هذه الملاحظة في التأثير على الثقافة الدينية للبلاد، فعليها أن تستثمر جهودها دائماً في العثور على أفكار وأساليب جديدة، وأن تستخرج من ينابيع الدين الثرّة والمعطاءة فكراً بكراً وكلاماً جديداً.

كما يجب عليها أن تعتبر كتاب التشريع الإلهي بمثابة كتاب التكوين بالنسبة لها والمائدة الحافلة التي لا تنفد، وأن تؤمن بأنه بالإمكان استنزال آلاف الموائد السماوية من هذا النبع الغزير في كل زمان وأوان:

«إنّ الحوزة العلمية تعتبر كالمصنع البشري الهائل الذي يجب أن لا يتوقف عن الإنتاج، فعليها أن تقوم بإصدار الكتب وصناعة الإنسان والعلماء والمتدينين والأفكار والآراء الجديدة.

---

(١) حديث في جمع من علماء وطلاب غرب طهران ١٣٦١/٢/١٦ هـ ش.

إنّ ما هو جديد لم ينته بعد، ونحن عندما يتحدث أحدنا مع الآخر فإننا نقول بأننا نعثر دائماً على أشياء جديدة عندما نستعيد قراءة القرآن.

لا يقولنّ البعض بأن الدين يحتوي على كل جديد، فما هو الجديد الذي تريدونه إذن؟ نعم، فهذا الدين لم نعرفه جيداً، وعلينا أن نستخرج منه أفكاراً جديدة، فإنّ باستطاعة الإنسان أن يتحدث طوال عمره عن جدائل الحبيب.

إنّ الدين لا يقتصر على ذلك القدر الضئيل من المعارف التي نتداولها على منابرنا أو في كتبنا العلمية أو الإعلامية أو رسائلنا. كلا، فالدين يفوق كل ذلك بكثير، وما عليكم إلاّ الانطلاق نحو الأمام، وسيفيض عليكم الله فهماً جديداً أو معارف جديدة، إذا مازال هناك الكثير من الكلام الجديد.

إننا حتى في العلوم (الحوزوية) لا نقول بأن الباب قد بات مغلقاً، فلربما توجد مسألة حققها جميع الفقهاء على مدى قرون عديدة، ولكنكم كمجتهدين تأملون في الوصول إلى رأي جديد بشأنها. وهل تتركون دراسة المسائل الإجماعية ـ أي التي قبل بها جميع الفقهاء وليس مقصودنا الإجماع الحجة المعتبر ـ أو المشهوره بين الفقهاء وتكتفون بما قالوا؟

كلا، فأنتم تحققون فيها، ولربما توصلتم إلى رأي جديد غير ما أتى به القدماء، وهكذا الأمر في المسائل الكبيرة والثابتة.

إنكم تفكرون وتتأملون في المباحث الأصولية عساكم تكتشفون رأياً جديداً، ومثل هذا الكلام موجود في مباحث الدين والفقه الكلية بمعناها الأوسع والأشمل، فهناك الكثير مما لا نعرفه حتى الآن.

علينا أن نستخرج من الدين مسائلنا الاقتصادية والعسكرية ومسائل سياستنا الخارجية وعلاقاتنا الأخلاقية، كما أنّ علينا أن نعيد النظر في الكثير من مسائلنا الفردية، وذلك بلا مجاملات»[1].

---

(١) حديث في جمع من علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١١/٣٠/ ١٣٧٠هـ ش.

٤ـ الوقاية من الشبهات :

على الحوزة بما لها من منزلة ثقافية أن لا تكتفي بـرد الـشبهات، وأن لا تُقصر جهودهـا علـى مجـرد العثـور علـى جـواب للتـساؤلات والـشكوك الموجودة والحفاظ على الثقافة الدينية، بل إنّ عليها ـ فضلاً عن ذلـك ـ أن تقوم بتحصين إيمان وعقلية المجتمع أمام الشبهات المحتملة، فيجـب علـى الحوزة أن لا تكتفي بالعلاج، وأنّ تتحمّل مسؤولية الصحة النفسية والعقائدية للمجتمع.

إنّ المؤسسة العلمائية تحمّلت وتتحمّل الكثير من الأضرار؛ بسبب عـدم اهتمامها بالمبدأ السالف الذكر. .... في مواجهة التيارات المنحرفة يولد ويترعرع عندما تكون تلك التيارات قد استقطبت الأنصار والمؤيدين وابتلـع طوفانها الآلاف من الشباب وغير الشباب، وإنّ تجربة المدّ الماركسي والنفاق والالتقاط وسواها من عشرات المذاهب والمدارس الانحرافيـة لهـي نمـاذج على صدق هذه الحقيقة.

فالحوزة والمؤسسة العلمائية لم تعتبر أيّاً من هذه الأفكار خطراً ثقافياً إلاّ بعد سنوات طويلة من تأسيسها وتدوينها وتشكّلها واتّساعها، وحينهـا شـعر البعض بالمسؤولية فكتبوا عـدداً مـن الكتـب والمقـالات، وجـاؤوا بـبعض الإيضاحات وأكبّوا على نقد تلك الأفكار.

لقد قام العلامة الطباطبائي وتلاميذه بنقد الماركسية نقداً علمياً في إيران في الثلاثينات [هجري شمسي] (الخمسينات الميلادية)، ومع أنّ الماركـسية كان لها حضور ثقـافي وسياسـي واجتمـاعي فـي إيـران قبـل ذلـك بعقـود واستطاعت أن تلقي بالآلاف في مستنقع الضلالة والانحراف، إلّـا أنّ الحـوزة لم تكن واجهت هذه المقولة بشكل حازم وجِدّي قبل العلامـة الطباطبـائي، ولم يكن هذا هو المثال الأول ولا الأخير بالنسبة لها.

والآن، وإذا كان لدى الحوزة رغبة في الحفاظ على ثقافتها، فيجب عليها أن لا تكتفي بمجرد الحضور في لحظة المواجهة لردّ الأخطار الثقافية في البلاد، بل يجدر بها أيضاً أن تبذل اهتمامها لمواجهة الأخطار الثقافية المحتملة وأن تستعد لمناهضتها والتخطيط لها، ولفت أنظار المجتمع لهذه المخاطر وإيجاد الحصانة والوقاية الثقافية والاجتماعية في مقابلة تلك التهديدات المحتملة:

«على الحوزة أن تكون في خضمّ الأحداث العلمية للعالم، فمن الضروري لكم اليوم أن تكونوا على علم بما يدور من أفكار، وما يستجد من وجهات نظر حول مقولة علم الاجتماع مثلاً في هذا العالم من حولكم؛ إذ من الممكن أن تحتوي هذه الأفكار على عناصر جيدة، فعليكم باجتذابها.

كما أنّ عليكم القيام بإعداد الدفاع المناسب ضد العناصر الغير جيدة ووقاية ذهنية المجتمع منها قبل مجيئها والابتلاء بها، فليس من الصحيح أن ننتظر حتى تداهمنا تلك الأخطار الفكرية فيطّلع عليها البعض ويصبح من أنصارها، ثم ننهض حينئذ لدراستها وتحليلها وتفنيدها، ونكتشف في اللحظة الأخيرة أن لا سبيل لمقاومتها»![1].

٥ـ حسن المعرفة والاطلاع :

إنّ «بناء الثقافة» و«صناعة الثقافة» بحاجة إلى الحضور الفاعل وسط الأحداث الثقافية للبلاد والعالم، وليس من المعقول أن نعيش في عزلة وانزواء ثم ندّعي السهر على ثقافة المجتمع ورعايتها.

إنّ على الحوزة، إذا كانت تصبو إلى أن يكون لها حضور فاعل في مجال نشر الثقافة الدينية في المجتمع، وإذا كانت ترغب في الدفاع عن

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش .

دورها الثقافي في تبيان المذهب والحفاظ على الدين وترويج ثقافة الثورة، عليها أن تقف جيداً على حقيقة التيارات الفكرية المعاصرة، وأن يكون لها حضور مشهود وفعال فيها.

إنّ المؤسسة العلمائية لا تطّلع على التيارات الفكرية والثقافية في العالم إلاّ في وقت متأخر دائما؛ وهو ما كان سبباً في الكثير من الأضرار، إذ إنه يحول بين الحوزة والحضور وسط التيارات الفكرية العالمية الحيّة، وحتى وسط الاتجاهات الثقافية المحلية، ويجعلها تصطدم بـ (آراء) وأفكار مضمحلّة قد عفا عليها الزمن:

«إنّ هناك أفكاراً وفلسفات في مختلف المجالات ـ من عقليات وقضايا اجتماعية وتأريخ واقتصاد ـ يتمّ طرحها اليوم في العالم، وهي ممّا يعوزها الجواب، فكل صباح نفتح أعيننا على العالم نجد أنّ هذا أو ذاك قد أصدر كتاباً في عدة مجلدات، ثم يقومون بترجمة هذه المجلدات إلى اللغات الأخرى، بينما ينشط المعنيون للدعاية لها.. فماذا نفعل نحن؟ هل علينا أن نجلس في المدرسة الفيضية أو في حوزة قم أو في مساجد المدن المختلفة بانتظار أن تداهمنا فكرة من الخارج، ثم نرى ما إذا كان فيها إشارة أو تعريض بالأمور الدينية، وبعد ذلك نقوم بدرئها ودحضها؟!

هل هذا صحيح؟ أي أنه بعد أن اطّلع البعض على تلك الأفكار من طرق مختلفة ثم قاموا بتدريسها وشرحها، وبعد أن قام البعض الآخر بترجمتها، وبعد مضي زمن طويل، تصل هذه الترجمة إلينا نحن الحوزويين، فنعلم عندئذ أنه في العشر أو العشرين أو الأربعين سنة الماضية كان هناك في أوربا أحد العلماء أو المفكرين أو الفلاسفة أو أشباه الفلاسفة، وأنه أثار الشبهات حول بعض قضايانا العقائدية، وأنه يجب علينا الآن أن نقوم بالرد عليها! فهل هذه

الطريقة صحيحة؟ على الحوزة أن تكون في خضمّ الأحداث العلمية العالمية»[1].

على الحوزة أن تقوم بإنتاج ثقافة عصرية ومتناسبة مع ما يطرح اليوم من أفكار ورؤى على صعيد الثقافة العالمية، وأن تخرج بكلام على مستوى ما يثار الآن في العالم من علم ومعرفة، وأن تهبّ للدفاع عن العقائد الإسلامية وردّ ما تروّجه الأفكار الدينية الأُخرى من شبهات حولها.

لا شك أنّ ذلك يتطلّب (بنكاً) فعالاً وغنيّاً بالمعلومات يستفيد منه علماء الحوزة في معرفة أحدث التيارات الثقافية في العالم، ويوفّر لهم الصلة بالمؤسسات العالمية المنتجة للثقافة؛ وذلك حتى يخوضوا غمار الثقافة العالمية وقد تسلّحوا بالوعي الكافي، فيكون بوسعهم درء التّهم والشبهات، وإنتاج وعرض أفكار بما يتناسب مع حجم ما يثار من إبهامات واتّهامات:

«إنني أتوجّه إليكم أيها السادة بهذا السؤال: هل تعلمون كم عنوان كتاب يحتاجه العالم الإسلامي اليوم بالدرجة الأولى؟ إنّ على الحوزة العلمية أن تعلم ـ مثلاً ـ أن هناك اليوم خمسين عنوان كتاب، فيجب علينا أن نكون قد ألّفنا أو نؤلف كتب في خمسين موضوعاً بالدرجة الأُولى، وفي مئة وعشرين موضوعاً بالدرجة الثانية.

إنّ متطلباتنا من البحث والتأليف يجب أن تكون بحجم ما يوجّه إلينا من تُهم وسباب وما يكتب ضدنا من مؤلفات. فأين هو بنك ومركز المعلومات في الحوزة الذي يستطيع أن يرصد كل ذلك، ويقدم بصدده المؤلفات والأبحاث؟

إنّ هذا هو أحد الأعمال التي ينبغي على الحوزة إنجازها، أي لابدّ أن يكون لها مركز يأخذ على عاتقه جمع ما يكتب في العالم حول الثورة، سواء

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ. ش.

تلك الكتابات التي تتعرض للثورة بشكل مباشر، أو التي تسبّ الشيعة والإسلام من أجل الثورة ، أو تلك التي تمجّدنا وتذكر ما عندنا من نقاط قوة قد نغفل عنها في بعض الأحيان»[1].

٦ـ البصيرة الثقافية:

إنّ العمل الثقافي لا يتلخّص في كمية ما ينتج من أشياء؛ لأن الانتاج المتراكم والمكدّس لا يحلّ المشكلة، فالتزايد الكمّي لا يعدّ دليلاً مناسباً على التنمية الثقافية، وإنّ الجهد الثقافي يتطلّب الوعي والذكاء.

على الحوزة والمؤسسة العلمائية أن تفكر في هذا الذكاء وهذه البصيرة في المجال الثقافي أكثر من نظرائها الثقافيين، وأن تنظر إلى وادي الثقافة من خلال أفق واسع ومنفتح، وأن تتحلى بالحصافة وعمق البصيرة عند الإقدام على التعمّق أو التغيير أو التبديل أو الدفاع الثقافي.

إنّ البساطة والسذاجة في هذا المجال من شأنها تكرار أخطاء جيراننا الروس الذين لم يدّخروا وسعاً في إصدار آلاف الكتيبات والمجلدات الضخمة ـ وبأعداد كبيرة ـ وتوزيعها في بلادهم والبلدان الأُخرى، دون أن يكون لكل ذلك القدرة على إنقاذ «الماركسية» و«القوة العظمى الماركسية» في ذلك الزمان، أو يُجديها نفعاً أو يحل معضلاتها المستعصية، ولم يخلّف لها سوى الخسائر المالية الضخمة والأعداد الخيالية من الكتب المكدّسة.

فعلى بُناة الثقافة في بلدنا الاسلامي ومن ضمنهم «الحوزة والعلماء» أن يأخذوا باعتبارهم تلك التجربة المريرة، وأن لا تغرقهم نشوة العناوين والإصدارات الكاذبة، وأن لا يغرّهم التسطيح المفتعل، وأن لا يعكفوا على إنتاج وصناعة الثقافة بذهنية عمياء:

---

(١) حديث في جمع من ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧ هـ.ش.

«إن أول ما يتميز به النشاط الثقافي هو الوعي والبصيرة، فالعمل الثقافي لا ينفعه التكديس والتراكم، ولا يصحّ أن يشتغل به كل من هَبّ ودَب، فمثل هذا النشاط الثقافي لا يجدي نفعاً.

إنّ حجم الإنجاز الثقافي ليس هو المهم، بل المهم هو التنظيم والترتيب وحسن الاختيار ووضع كل شيء في مكانه المناسب؛ وهو ما ينبغي أن يتمّ بوعي وحصافة»[١].



(١) حديث لدى استقبال أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلمية في قم ١٣٧٥/٧/٩ هـ.ش.

المقالة الثالثة

الحوزة والمجتمع

- ❖ مستوى معرفة المجتمع بالحوزة
- ❖ المتطلبات الاجتماعية
- ❖ توقعات الجماهير
- ❖ مسؤولية المؤسسة العلمائية
- ❖ الآفات والأخطار

لقد امتزجت المؤسسة العلمائية بحياة الجماهير، وكانت دائماً معهم، وعاشت آلامهم وتضامنت معهم، وكانت حافظ أسرارهم الدفينة، ومرشدهم في أُمور الدنيا ومرجعهم في أُمور الآخرة، وملجأهم وملاذهم في الأفراح والأتراح والمآتم والمسرّات، وأول من يهبّ لنجدتهم عند كل طارق وحادث، وفي كلمة واحدة: كانت لهم الركن والسند في كل حين وأوان:

«إنّ المؤسسة العلمائية ذات صلة وثيقة بالناس في عالم التشيّع، ففي بلادنا، ونتيجة لعوامل تاريخية قديمة، تكوّن النسيج الاجتماعي للناس بصورة تعدّ فيها المؤسسة العلمائية من أكثر الفئات الاجتماعية أصالة وتلاحماً معها، حتى إنّ أصالة المؤسسة العلمائية في بلد كالعراق ربما لا تكون بهذا الشكل وهذه المتانة.

إنكم لو دققتم في حياة المتدينين، سواء في الوقت الحاضر، أو في عهد القمع، أو في عصر رضا خان وما قبله بطريق أولى، لوجدتم أنّ حياة الناس لا تنفك عن المؤسسة العلمائية ولا تخلو من حضور العلماء، أي أنّه منذ لحظة الميلاد وإلقاء الأذان والإقامة في الأُذنين اليمنى واليسرى، إلى مرحلة النشأة والنمو، إلى عقد الزواج، إلى الاستفتاء حول المسائل الدينية، وحتى لحظة الموت، فإن حياة الإنسان تبقى ممتزجة بالمؤسسة العلمائية أو مع أحد علماء الدين، أو مع شخص أو مصداق لعلماء الدين، ولا يهمّنا الآن منزلة هذا العالم أو مكانته العلمية أو خطّه الفكري.

ولقد أثمر هذا التمازج عن آثار وبركات وفيرة، فالعلماء شعروا بآلام الناس، وحازوا ثقتهم، واستمعوا دائماً إلى شكواهم، وحققوا لهم متطلباتهم المعنوية والروحية»[1].

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ. ش.

إنّ هذه العلاقة الوثيقة والمتواصلة مع الناس كانت سبباً في أن تحتلّ المؤسسة العلمائية مكانتها اللائقة في النسيج الأصلي للمجتمع، وإفشال كافة المؤامرات الطامحة للقضاء عليها وإنهائها:

«منذ زمان رضا خان وحتى نهاية النظام السابق، ذهبت كل مساعيهم أدراج الرياح في القضاء على هذه المؤسسة المسماة بالمؤسسة العلمائية. لقد توسّلوا بشتى الحيل دون جدوى، فلو كانت هذه المؤسسة شيئاً إضافياً أو اصطناعياً لما بقي لها أثر.

لقد فشلت جميع مساعيهم في عمل المستحيل كتأسيس كلّية المعقول والمنقول، وإقامة المؤسسات شبه الدينية من قبيل الأوقاف وغيرها.

لقد حاول جهاز فكري وسياسي بتلك العظمة القضاء على المؤسسة العلمائية التي كانت تبدو مشتتة ـ حيث لم يكن لها نظام يجمعها، ولم تكن مترابطة، ولم يكن العلماء في كافة أنحاء البلاد يعلم أحدهم شيئاً عن الآخر، ولم يكن يعرف الكثيرون بعضهم بعضاً ـ ولكنه فشل في كافة محاولاته.

فعلامَ يدل كل ذلك؟ إنه يدل على أنّ العلماء يشكّلون جزءاً من النسيج الأصلي لهذا المجتمع، فلو أرادوا القضاء على العلماء يتحتم عليهم القضاء على المجتمع بأكمله! وعندئذ يتم القضاء على الجميع، ومن بينهم العلماء، ولهذا فإن العلماء باقون ما بقي هذا المجتمع»[1].

إنّ منزلة العلماء الشيعة بين جماهير الشعب لم تكن نتيجة جهود جيل واحد، بل إنّ تاريخ الحوزات الدينية الممتد على طول ألف عام هو الذي خلق هذه الوجاهة وهذا الاعتبار.

---

(١) حديث لدى استقبال أئمة الجمعة من محافظتي آذربيجان الشرقية والغربية ١٣٦١/١١/٢٤هـ ش.

لقد عاشت الأجيال الحوزوية المتوالية على هذه الشاكلة مع الجماهير بحيث أصبحت هذه الثقة جزءاً من الثقافة الوطنية، فتناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل وأخذت مكانها في عمق النسيج الاجتماعي للبلاد:

«علينا أن نعلم بأن القيمة التي اكتسبتها المؤسسة العلمائية ليست حصيلة يوم أو يومين، ولا تتعلق بجيلنا وعصرنا، ولا يجدر بنا أن نتصور أننا نحن الذين استطعنا أن ندخل إلى قلوب الناس ونستحوذ على ثقتهم.

إنني أصرّ وأؤكد أنّ ما نمتلكه اليوم من شعبية ومحبوبية في قلوب الناس إنما هو رصيد ألف عام، فمنذ تأسيس المؤسسة العلمائية الشيعية ـ ابتداءً من عصر الشيخ الصدوق والشيخ المفيد والشيخ الطوسي والسيد المرتضى، وحتى القرون والأجيال التالية ـ أخذت روح الثقة والاطمئنان بعلماء الدين تتكون لدى المجتمع الشيعي بالتدريج.

إنّ ثقافة شعبٍ ما، والعواطف الخالدة والراسخة التي تأخذ مكانها في قلب شعبٍ ما، ليست بالأمر الذي يحدث في جيل أو جيلين»[1].

إنّ مكانة العلماء بين الناس تكوّنت في ضوء صلتهم الوثيقة بالجماهير، واستقلالهم في مواجهة الأجهزة الطاغوتية، وورعهم وزهدهم في الدنيا، وكما أُشير سابقاً فإن الحلقات المترابطة لتاريخ الحوزة هي التي جعلت هذا الأمر ممكناً.

إنّ الشعبية، ومكافحة الظلم، والقناعة والزهد، و...، أصبحت من خصائص عالم الدين في أنظار الناس، وإنه أضحى معروفاً ومشهوراً بهذه الأوصاف في أوساط المجتمع، وبمثل هذه النظرة اكتسب العلماء ثقة الناس وباتوا ملجأهم وملاذهم في أوقات الشدّة:

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ. ش.

«إننا لو وجدنا الناس يتحركون بمجرد إشارة من العلماء، فإن هذا لم يكن من عملي ولا من عملكم.. وإنّ هذا الاحترام وهذه الثقة التي يوليناها الناس لم نوجدها نحن، ولم تكن نتيجة جهود فردية، وإنما هي ثمرة جهود ألف ومائة عام من عمر علماء الشيعة الزاهدين.

فمنذ تأسيس الحوزات العلمية، ومنذ دوراتنا الفقهية الأُولى التي كان فيها علماؤنا في المراكز والمدن والقرى النائية مراجعَ للناس في أُمورهم الدينية وأحياناً في شؤونهم الدنيوية، فإن المؤسسة العلمائية الشيعية استطاعت أن تشدّ الناس إليها، إنها لم تداهن القوى الظالمة ولم تعش إلاّ على ثقة وإيمان الجماهير.

هكذا كان أهل العلم، بحيث لو أرادوا أن يؤدوا امتحاناً في قم ليصبحوا أساتذة، فإنهم كانوا يَقْدِمون على ذلك بالإكراه.

إنني أتذكر أنّ بعض أصدقاءنا كانوا يشعرون بالخوف والهلع عند أداء امتحان المدرّسين، مع أنّ هذا الامتحان كان معناه أنّ هذا الطالب يريد الالتحاق بالمدارس الحديثة، وأن يقضي بها عدّة سنوات، وتعلّم بعض الدروس، ليحصل على شهادة تؤهله أن يكون مدرساً، أي أنّ طلبة العلوم الدينية لم يكن بإمكانهم أداء عمل رسمي وهم بهذا الزيّ الحوزوي!

ومع أنّ مثل هذا العمل لم يكن يعني الفسق والفجور وشرب الخمور وارتكاب ما يخالف الشرع، إلاّ أنه كان في نظرنا بمثابة عمل سلبي وسقوط من أنظار الناس؛ لكونه دليل على ارتباطنا وصلتنا بالسلطة الحاكمة، في حين أن الناس لا يعرفون عنّا إلاّ الاستقلال وعدم الاهتمام بالدنيا»[1].

---

(١) حديث لدى استقبال أعضاء الشعبة الدينية في الحزب الجمهوري الإسلامي ١٣٦٣/٥/٧هـ ش.

وبهذا الشكل فإن المنزلة الشعبية والإيمان بعلماء الدين كان سبباً في نشأة التطورات الاجتماعية في هذه البلاد، وبناءً على هذه الثقة تحركت الجماهير بمعية العلماء، وكان لها حضور فعّال في النهضات الأخيرة:

«إنّ الثقة التي أولاها الناس للعلماء كانت سبباً في حدوث تطورات مهمة على الأصعدة الاجتماعية والدينية والسياسية، وكمثال على ذلك: فهناك أحداث المشروطة[1]، وتأميم النفط في أواخر العشرينيات «الأربعينيات الميلادية» وأوائل الثلاثينيات «الخمسينيات الميلادية»، وإن كان هذا الأمر أشد وضوحاً في انتصار الثورة الإسلامية»[2].

إنّ الثقة والاعتبار كانا من أهم العوامل المساعدة على إيجاد علاقة طردية بين حضور العلماء ومشاركة الجماهير في حركة الكفاح الاجتماعي، فحيثما كان للعلماء حضور كانت للأُمة قاطبة مشاركة واسعة، وحيثما غاب العلماء وتخلّفوا عن مواصلة المسيرة فإن جماهير الشعب كانت تتخلف بدورها عن المشاركة.

إنّ الأجهزة الأجنبية والحكومات الاستبدادية كانت تنظر بحساسية من هذه الزاوية إلى جهاد العلماء في القرن الأخير، كما كانت تتعامل معهم بضغينة أشد عمقاً وأكثر إحكاماً:

«لقد كان الناس يثقون بالعلماء؛ ولهذا فحيثما كان للعلماء حضور في حركة ما، فإن هذا كان يعني حضور كافة فئات الشعب، وأما إذا غاب العلماء فمعناه أيضاً غياب الجماهير. وحتى إذا كان قادة تلك الحركات أو النهضات

---

(١) انظر هامش صفحة ٢٣.

(٢) حديث لدى استقبال أئمة الجماعة والفضلاء والمبلغين ١٣٧١/١١/٢٥هـ ش.

من الساسة المحنكين فإن جمعاً من الجماهير ـ كحد أعلى ـ كانوا ينضمّون إليهم، ولكن ليس عامة أبناء الشعب.

ولكن عندما يكون للعلماء حضور فسيكون عامة أبناء الشعب معهم، ومن الطبيعي أنّ النصر يكون حليف ذلك التحوّل وتلك النهضة؛ لأنه لا توجد حركة يشارك فيها أبناء الشعب بصورة جماعية إلاّ وكان النصر من نصيبها ـ إن عاجلاً أو آجلاً ـ بلا استثناء.

إنّ حضور العلماء كان مصحوباً بحضور الجماهير؛ لقد بعثتُ برسالة من ايرانشهر ـ التي كنت منفيّاً فيها ـ في عام ٥٦ أو ٥٧ «١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م» إلى المرحوم آية الله صدوقي [1]، وكان هو الذي طلب منّي أن أكتب إليه مثل هذه الرسالة، وكان قد جمع الناس حوله في مدينة يزد في تلك الأيام وقد بدأوا حركة عظيمة آنذاك.

وكنت قد ذكرت نفس هذا التحليل بالتفصيل في تلك الرسالة التي طبعت حينذاك، ولكن التجمعات المنتشرة في شتى أنحاء البلاد والتي كانت متغلغلة بصورة مسيئة ومؤذية في صفوف المجاهدين والثوريين في تلك الأيام منعت هذه الرسالة وحالت دون انتشارها، وكانت تفرض مقاطعتها على كل مكان

---

(١) وهو شهيد المحراب الرابع آية الله الشيخ محمد صدوقي وقد ولد في عائلة علمية في مدينة يزد، أسمه محمد. والده المرحوم الميرزا أبو طالب كان من العلماء الورعين في تلك الديار وكان يقيم صلاة الجماعة في مسجد محمدية المعروف بـ (حظيرة). كما كان ممن يرجع إليه الناس، ولاسيما في تنظيم عقودهم ووثائقهم ومعاملاتهم، لما كان لـه من سلوك حسن معهم.

جده الميرزا محمد رضا الكرمانشاهي كان أيضاً مرجعاً لحل مشكلات الناس ومن علماء منطقة سفح كوير الكبير. وهو بدوره ابن المرحوم الآخوند ملا محمد مهدي الكرمانشاهي الذي نفاه فتح علي شاه القاجاري إلى يزد وتوفي هناك عام ١٢٣٦ هـ وبحسب ما كتب على حجر قبر الآخوند ملا مهدي الكرمانشاهي.

يرجع نسب صدوقي إلى الشيخ الجليل الفقيه أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن موسى بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق ﵀.

توجد فيه الرسالة! فأعطيت أنا هذه الرسالة لأحد الشباب حتى يقوم بطبعها وتوزيعها، ولكنني علمت بعد ذلك بمدة أنه مزّق الرسالة وألقى بها بعيداً، مما يدل على أنه كان مرتبطاً بتلك التجمعات ! [1].

---

(١) توجد رسالتان هامّتان من قِبَل القائد ﵀ وجّههما للشهيد السعيد آية الله صدوقي ﵀، بعثهما إليه من منفاه في إيرانشهر إثر تصاعد المدّ الثوري في جميع أنحاء إيران نقدمهما للقارئ الكريم لما تحتويان من فائدة جمة، مع ملاحظة أنّ بعض الكلمات لم تكن واضحة في مصدر الرسالتين وخاصة الثانية منهما وهو إدارة الاستخبارات الشاهنشاهية.

الرسالة الأولى:

بسمه تعالى

سماحة آية الله الحاج الشيخ محمد صدوقي اليزدي دامت بركاته

بلغني أنّ أعمال العنف التي مارستها الشرطة والأشخاص الذين يعتبرون أنفسهم في خدمة الشعب انتهت في يزد بمقتل وجرح أبناء الشعب المسلم، مما أدى إلى تعميق وتوسيع الجرح العميق والطافح بالدم الذي أصاب جسد الشعب في فاجعتي قم وتبريز عبر الضربة الأخرى التي أصابوه بها في يزد وجهرم وعدد من المدن الأخرى وما تحمله تلك الضربة من روح عدوانية.

ومن اللازم هنا تقديم التعازي لكم ولجميع العلماء الصالحين الذين يعدون اساتذة للأخلاق والإنسانية.

لا يخفى على جنابكم الشريف أن الحوادث المذكورة التي تقع متتابعة في كل أربعين يوماً، وقد أخذت تتسع تدريجاً وتسري إلى جميع أرجاء البلد، وتتخذ أبعاداً واسعة، تكشف عن قضيتين أساسيّتين، وتزيح الستار عن عزمين راسخين:

القضية الأولى: استياء السلطة الحاكمة في إيران ممّا تراه من وعي جماهير الشعب، وعزمها على قمع الشعب، وخاصة العناصر الفاعلة في إيجاد هذا الوعي.

أما القضية الثانية: فهي سخط الشعب على هذه السلطة الجائرة المستبدّة وعزمه على الاطاحة بها، وقطع الحبل الذي تحكم شدّه على رقبته.

وفي هذه المجابهة يقف الحق ـ كما هو الحال في جميع المواجهات بين الحكام والشعوب ـ مع الشعب، وتقف قوّة الحاكم في موقف القهر والباطل، ويكفي إقدام السلطة على قمع شعبها والحقد عليه، لإدانتها والتيقّن من جورها وبطلانها.

وبما أنّ الحكومة الإيرانية تدرك أنّ عداءها للشعب وعدم ثقتها به يمثل دليلاً واضحاً على بطلانها، فهي تسعى مضطربة وبأساليب مفضوحة وساذجة إلى تزييف الواقع الموجود أمام الرأي العام العالمي، وإظهار علاقة الشعب مع الحكومة في إيران بشكل بعيد عن الواقع. وكثيراً ما يحاول المتحدثون باسم

السلطة السعي إلى إظهار الشعب وكأنه يقف إلى جانب السلطة، وأنّ التظاهرات الواسعة والحاشدة المعادية للحكومة يقوم بها عدد محدود من الناس.

وبما أنهم يسيطرون على جميع وسائل الإعلام في إيران، وبعض وسائل الاعلام خارج إيران، لهذا السبب يتصورون بكل سذاجة أنهم قد نجحوا في مهمّتهم هذه ، غير ملتفتين إلى أنّ تلك المراحل قد ولّت وانتهت، وأنّ صرخة الشعب الغاضبة قد تجاوزت حدود إيران وبلغت الكثير من الآذان الصاغية، والمطلعون على دوافع الشعب الإيراني من وراء هذه التظاهرات غير قليلين في هذا العالم.

وهؤلاء يعلمون أنّ الفرد الإيراني يريد أن يعلن للعالم عن محق الحرية والعدالة الاجتماعية واحترام كرامة الإنسان في هذا البلد،وأنه عازم على مجابهة هذا النمط من الجور.

إنّ هذا الوعي العالمي يُعزى إلى شمولية تظاهرات الشعب، وتلاحمه في معارضة الحكومة. لقد وعى الشعب الإيراني اليوم، واتّسع نطاق جهاده وبلغ ذروته في جميع المجالات مقروناً بالولاء للأهداف الإنسانية التي يدعو إليها الإسلام، وهذا ما يؤكد وجود حالة الوعي واليقظة.

لقد برزت في أكبر المدن، وفي الكثير من المدن الصغيرة، وحتى في القرى النائية مظاهر السخط والاستياء الذي لم يسبق له مثيل من أساليب الحكام في إيران. وقد أعلن الناس في أغلب هذه المدن عن سخطهم واستيائهم خلال التجمعات التي أُقيمت فيها. وأطلقت جميع الشرائح من الطلبة والمثقفين وطلبة العلوم الدينية والعمال والفلاحين والحرفيين وحتى الموظفين والعاملين في أجهزة الدولة هتافاً واحداً مع هتاف علماء الدين الكبار، مستنكرة فيه الوضع السائد في إيران، وملقية باللوم على النظام الذي قاد إلى حصول وضع كهذا، وأدانت انعدام الحريات الاجتماعية،والرفاه الاقتصادي، والصلاح الأخلاقي، ونهج العلاقة والتعامل غير المنطقي واللا إنساني الذي يقوم بين الحكومة والشعب ـ هذه الأمور التي يعتبر المسبب الأساس لها هو الحكومة ـ وعبّرت عن وفائها للعلماء التقدميين والملتزمين، وصلتها الوثيقة بالإسلام.

وعلى الرغم مما تروّج له أبواق النظام بالبيانات والكلمات من أنّ المعارضين للحكومة أقلية ضئيلة، وحتى إنّ بعض المتحدثين زعم بأسلوب صبياني أنّ المتظاهرين والمنتفضين في تبريز دخلوا إيران من الجانب الآخر للحدود! إلاّ أن الوقائع أثبتت وستُثبت بشكل لا يقبل الشك أنّ الأمر على العكس تماماً.

إنّ الموالين للحكومة والمدافعين عنها هم العدة القليلة، ولا يمكن أن يطلق عليهم حتى اسم الأقلية. والمسؤولون عن إقامة التجمعات المؤيدة للحكومة يعلمون علم اليقين بمدى المصاعب التي تكابدها الحكومة عندما تريد أن تحشد جماعة من الناس لصالحها، إلى درجة أنّها تضطر إلى حشد صغار الموظفين في موضع التجمع باستخدام أساليب التهديد والإغراء .

وعند مقارنة هذه التجمعات بالحشود الهائلة التي حصلت في قم وتبريز وطهران وسائر المدن الأخرى، وهم يلاحظون كيف تحتشد مختلف الشرائح في المساجد والساحات بإشارة من الزعماء الدينيين، أو كيف تنطلق المسيرات في الشوارع ، أو تغلق المحلات والمعامل وقاعات الدرس و...،

يقتنعون من أعماقهم أن التيار المعارض للحكومة ليس أقليةً ضئيلة مخدوعة، بل إنه أكثرية واعية تسير بإرادتها وبمعرفتها بالظرف المناسب، مستغلةً فرصة تزعزع أركان الحكومة الإيرانية ومكانتها المهزوزة في العالم، لتظهر ما كظمته من الغيظ والسخط على مدى سنوات متمادية.

ونشير ـ في مجال إدراك هذه الحقيقة ـ إلى الكلمة التي أدلى بها أحد المتحدثين عن لسان النظام وخاطب فيها الطبقات الفاعلة في التظاهرات الأخيرة، أي العلماء والطلاب والتجار والحرفيين، محاولاً استمالة قلوب هذه العناصر بأسلوب متملّق، وقد اعترف علانية ـ في كلمته ـ بأنّ جميع الفصائل المذكورة قد شاركت في النشاطات المناهضة للسلطة الحاكمة.

على الطغمة الحاكمة في إيران أن تعلم أنّ أكثرية الشعب الإيراني، بل وجميع المهتمين بقضايا إيران على الصعيد العالمي، يدركون حقيقة ما يجري في هذا البلد، وهم على علم تام بفقدان الحريات المدنية والحقوق الإنسانية فيه.

هؤلاء حينما يسمعون تصريح أحد الدبلوماسيين الإيرانيين في النمسا، الذي أشار فيه إلى أنّ التظاهرات الأخيرة في إيران دليل على وجود الديمقراطية في هذا البلد، وأنّ المتظاهرين مناهضون للديمقراطية، يتساءلون مع أنفسهم عن رد فعل الحكومة الإيرانية تجاه تلك التظاهرات، وهل تصرفت معها كما هو الحال في الدول الديمقراطية بأن سيّرت برفقتها الشرطة لحماية المتظاهرين، أم أنها قمعتها بأعنف أساليب القمع؟ وحتى إنها رفّعت وشجعت الجلاوزة الذين أثبتوا جدارة في قمع المتظاهرين، وحاسبت كل من تواكل وقصّر في أداء تلك المهمة!

شعوب العالم تعتبر التظاهرات الدالة على وجود الديمقراطية، هي تلك التظاهرات التي لا ترد عليها الحكومة بالرصاص والرشاشات، ولا تخلّف وراءها عشرات القتلى والجرحى ومئات المعتقلين والمنفيين.

التظاهرات الدالة على وجود الحرية ليست هي التظاهرات الناجمة عن الكبت وعن الضغوط الشديدة، فحينما تواجه مسيرات سلمية كالتي انطلقت في قم بمثل تلك القسوة والوحشية، وعندما تقمع مجالس الفاتحة على شهداء قم وتبريز بمثل ذلك العنف الأهوج، وحينما تؤدي مجالس تخليد شهداء تبريز بمدينة قم وفي يزد وفي جهرم وفي الأهواز و... إلى حصول أعمال عنف كما في السابق، كيف يتجرّأ مسؤول رسمي ويدّعي بكل صلافة أن تلك التظاهرات التي قمعت وقتل خلالها عدد من المدنيين بأسلحة رجال الشرطة، دليل على وجود الحرية؟!

إنّ الفهم الواقعي الذي يحمله الإيرانيون وشعوب العالم الأخرى عن قضايا إيران، جعل من كافة التدابير التي تتخذها الحكومة لتبرير مواقفها تبدو في رأي الإيرانيين والأجانب مجرد جهود عابثة لا نصيب لها من النجاح، وانها لا ترمي إلاّ إلى قلب الحقائق وتضليل الأذهان ومواصلة الظلم القائم.

لا يشك أحد في إيران بأنّ المجاميع الجديدة المعادية للشعب والتي شكّلت تحت عنوان «لجنة العمل الوطني» ما هي إلاّ نفس اليد التي ارتكبت مجزرة قم وتبريز ويزد وجهرم والأهواز، وقد امتدت اليوم من كُمٍّ لجنة تحاول أن تصبغ ذاتها بصبغة وطنية وشعبية. الجميع يعلمون ان التظاهرات المعادية

للحكومة إنّما قام بها الشعب وأبناء الوطن، إذن فأي شعب [يتحدثون عن ولائه]، ومَن هؤلاء الوطنيون الذين يريدون الآن محاربة الشعب وخنق الأصوات في الحناجر؟

ليس ثمة أدنى شك في أنهم لم يجدوا لدى القوى الموالية للحكومة كالشرطة والجيش أي استعداد لمواجهة الشعب وقتل الأبرياء فعمدوا إلى تشكيل جماعة تتألف من أوقح وأصلف العناصر الدموية، ويرمون من ورائها ارتكاب المجازر المحتملة في المستقبل والمذابح الجماعية، أو ربّما حتى الاغتيالات الفردية تحت غطاء لجنة العمل الوطني!

نحن على ثقة منذ الآن بأنّ هذا الإجراء محكوم بالفشل، وأنّ هذا النمط من المحاولات المستميتة لن يُعيد المياه إلى مجاريها، ولا يمكن لجهاز وقف في مواجهة الشعب ولا يعترف بقدرة الشعب، أن يجعل لذاته مكانة وكرامة.

وفي الختام، أبجّل ذكرى الإخوة الشهداء من أهالي يزد، وأدعو الباري تعالى لكم ولسائر العلماء الملتزمين الواعين في يزد، باعتباركم الملجأ والملاذ والسند للشعب وقد سعيتم إلى ارشاد وهداية الناس، بالعزة والموفقية؛ إنّه سميع مجيب.

والسلام عليكم وعلى عباد الله الصالحين

١٩ فروردين ١٣٥٧ [هـ . ش] (١٩٧٨م)

(إيرانشهر – ربذة إيران)

السيد علي الخامنئي

الرسالة الثانية:

هذه الوثيقة هي رسالة أُخرى بعثها قائد الثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى السيد الخامنئي في شهر خرداد عام ١٣٥٧هـ ش (١٩٧٨م) من منفاه في مدينة (إيرانشهر) إلى (الشهيد) آية الله صدوقي. وفي أثناء اندلاع الثورة الإسلامية تم تكثير هذه الرسالة على شكل بيان وزّع في المدن الإيرانية، وأرسلت مديرية شرطة خراسان نسخة منه إلى دائرة الأمن (السافاك) ومن هناك أرسلت نسخة منه إلى مديرية الأمن العامة (السافاك) في العاصمة.

تكمن أهمية هذه الوثيقة في أنها تعكس كيف أن قادة الثورة الإسلامية أقدموا بوعي تام على جهاد لا نظير له من أجل تحكيم الإسلام المحمدي الأصيل، والوقوف بوجه الانحرافات الفكرية وإجهاض المخططات المعادية.

تحمل هذه الوثيقة بين طيّاتها تحليلاً واقعياً للنهضة الإسلامية وسبل انتصارها، وتتناول في بدايتها مكانة ودور العلماء على مدى التاريخ وتشير إلى ما يعتور هذا الدور من نواقص، ثم تتحدث عن مهمّة العلماء في تلك الحقبة الحاسمة، وتؤكّد صفة الشمولية للثورة الإسلامية التي دفعت جميع الفئات والقطاعات إلى الانطلاق تحت رايتها، وأنها اكتسبت بمدّها الشعبي كل أرجاء إيران من أقصاها إلى أقصاها، وتجيب عن هذا التساؤل، وهو: لماذا اتسمت النهضة ومنذ بداية انطلاقها بالفتور؟

ثم تتطرق إلى مؤامرات نظام الشاه وكيفية سعيه لبثّ الفرقة وإشاعة الذعر والرعب، واعتقال قادة الثورة، وإرغامهم على اتخاذ المواقف المتذبذبة، وإلهاء الجماهير في قضايا جانبية في سبيل الإجهاز على أساس الثورة.

وأخيراً فهي ترى أن طريق إفشال هذه المؤامرات يتلخص في استقطاب وتوجيه الجماهير التي يجب إرشادها إلى مطاليبها، وإلى ما ينبغي لها فعله!

ويبدو من الضروري في ختام المطاف التنبيه إلى نقطتين، وهما:

١ـ إنّ هذه الرسالة قد كُتبت في ذروة اندلاع الثورة الإسلامية،حيث كانت للوحدة بين العلماء والمراجع أهمية مصيرية، في نفس الوقت الذي يجب أن تكون فيه مبادئ الثورة مصونة من الأفكار الملحدة.

٢ـ بعض كلمات النسخة الموجودة في ملفات السافاك كان من الصعب قراءتها، وقد تجنّبنا الاجتهاد فيها بآرائنا مراعاة للأمانة.

نص الرسالة:

المحضر الشريف لسماحة آية الله الحاج الشيخ محمد صدوقي «مدّ ظله العالي»

بعد التحية والسلام، إنّ الأخبار السارّة التي تصلنا باستمرار من سماحتكم باعتباركم العقل المفكر والقلب النابض واللسان الناطق لمدينة يزد، كانت مدعاة لمزيد من الامتنان والبهجة العميقة والمتأصّلة لا البهجة العاطفية العابرة.

والحق أنّ الزعامة العلمية للشيعة قد كابدت على مدى ألف سنة في سبيل الاستقلال عن السلطات السياسية، وهي تفتخر على الدوام بمعارضتها للقوى السياسية الجائرة وتتباهى بوقوفها إلى جانب المحرومين والمستضعفين ، وإذا لم تهرع هذه الزعامة في مثل هذه الظروف المتأزمة والحساسة لنجدة أبناء الشعب ولمحاربة طواغيت العصر، فأين ومتى تؤدي مهتها؟ لقد كان من أهم الأسلحة وأسباب القوة التي يلجأ إليها غاصبو الولاية الإلهية على مدى التاريخ هو الحصول على حماية رجال الدين، وهم لا يتورّعون في سبيل بلوغ هذه الغاية عن ممارسة مختلف صنوف الخداع والرياء والقهر والعنف؛ لأن الشعب المتدين إذا كان يأبى الرضوخ للجبابرة والمتسلّطين فهو لا يرى أمامه بُداً من الانصياع لرجال الدين وعدم معارضتهم.

ومع أنّ الصفة الغالبة على علماء الشيعة هي معارضة ومقارعة الظالمين لا مهادنتهم والركون إليهم، ولكن مع هذا ينبغي الاعتراف وبكل خجل بأنّ حالات غير قليلة قد وقعت في الماضي غير البعيد من

قبل بعض العلماء سواء بسبب عدم استيعاب الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية، أو نتيجة للضعف وفقدان الشجاعة والقدرة والعزم، أو انطلاقاً من توهم وجود المصلحة، حيث تناسوا واجبهم الإلهي والشعبي ووضعوا أنفسهم عملياً في موضع وعاظ السلاطين المرتزقين، وهم في حقيقة الأمر يؤازرون الشيطان وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

وهكذا بات العلم والزهد الذي يحملونه ـ ولا يمكن لأحد إنكاره في حق بعض هؤلاء الأفاضل ـ شأنه شأن الجهل والشقاء، أصبح كلاهما في خدمة مطامع وأغراض الطواغيت، واستُغلاّ في سبيل إجهاض الشعوب وجلب الشقاء لها وحرمانها من سعادة الدنيا والآخرة. وقد جاء اليوم الذي يجب فيه على الأخيار التكفير عن سقطات أو إهمال أسلافهم، وأداء ما في رقابهم من دين للّه ولخلقه مع غرامة سنوات التأخير.

إنّ ما أذهل وأربك حكام إيران الوقحين اليوم هو وعي وبصيرة العلماء وإدراكهم لحساسية الظروف التي يعيشها العالم والبلدان الإسلامية؛ لأنّ وعي العلماء يعني وعي الشعب وعزمه القاطع وما يستتبع ذلك من عمل وإقدام الشعب.

إنّ تصدّي شريحة اجتماعية واحدة للأنظمة المعادية للشعوب لا يحمل بين طيّاته مخاطر جادّة على تلك الأنظمة؛ فلا طلبة الجامعات، ولا المثقفون، ولا طلبة العلوم الدينية، ولا حتى العمال والكسبة كل منهم بمفرده خطراً ذا بال على هذه الأنظمة، فالأساليب الشائعة في كل زمان وفي كل مكان كفيلة بعزل الشريحة الثائرة عن غيرها من شرائح المجتمع الأخرى، والقضاء عليها أو لجمها بسلاح التهمة والافتراء أو أي سلاح آخر ـ وأمثال هذه الأسلحة متوفرة عادة في متناول أيدي السلطات المقتدرة ـ أو حتى القضاء عليها بيد أمثالها من الشرائح الأخرى.

أما الذي ينطوي على خطر جاد ومؤثر فهو جهاد الشعب برمّته، فحينما تندفع جميع الشرائح من طلاب الجامعات، وطلبة العلوم الدينية، والعمال، والفلاحين، والعلماء الكبار، والمراجع ، والكسبة ، والحرفيين ، والموظفين ، والعاملين في الأجهزة الحكومية، بالاحتجاج والمقاومة بقلب واحد واتجاه واحد، وحينما تتفتح جميع الأعين، ويعلم الكل بما يجري، ويطّلعون على مدى فداحة الخطب المخيّم عليهم وشدّة الظلم الذي يتعرضون له، وحينما تصغي كل الأفئدة لنداء القرآن والإسلام بوجوب الانتفاض على القهر والظلم والتمايز والباطل، وحينما يفهم الجميع ويعزم الكل على القيام بعمل ما، حينها يكون الخطر جاداً على غاصبي ولاية الله، ولا يمكنهم التصدي له.

ولكن متى وكيف يُعبّأ الشعب بأجمعه؟ ومن هو الشخص أو الفئة القادرة على إنجاز هذه المهمّة؟

في الظرف الحالي، واستناداً إلى كيفية النسيج الاجتماعي وأسلوب سيرة الشعب الإيراني فإن الفئة الوحيدة القادرة على تعبئة الشعب الإيراني كافة هي فئة العلماء لا غير، وعلى هذا فإنّ العلماء يمثلون بالقوّة خطراً بالغاً على الجبابرة.

كما وأن الحكومة الإيرانية وبسبب سعيها المتواصل طيلة نيّف وثلاثين سنة الماضية للإيحاء بالتعاطف مع علماء الدين، وحتّى في الحالات التي كانت تمارس فيها أشد أنواع البطش ضد أفضل وأشرف تلك العناصر، لم تكن تتورع عن استقطاب الأنظار إليها والتظاهر ـ بلا أدنى حياء ـ باحترام رجال الدين ، وقد لوحظ خلال الأحداث الأخيرة كيف أنهم لم يتحرزوا من تكرار ذلك الكلام المفضوح على الرغم من الفاجعة الدامية التي ارتكبوها في مدينة قم مركز علماء الشيعة ، وحتى في منازل مراجع التقليد الكبار.

وفي نفس هذا السياق وعلى الرغم من التظاهر بمناصرة الدين ورجاله، فقد وجّه أصحاب السلطة أشد الضربات للمحافل الدينية ـ العلمية، للطبقة الواعية والمجاهدة فيها.

أجل، لقد اتخذت المجابهة اليوم لوناً جديداً وفريداً، وصارت جماهيريتها وشعبيّتها تبثّها حتى الصحافة الأجيرة والذليلة في إيران نقلاً عن المسؤولين المعنيين بهذا الصدد، وهذا طبعاً ينطوي على معنى يوحي من جهة بحرية الصحافة، ويلوّح من جهة أُخرى بالعصى الغليظة لإرهاب الشعب . وأما النتيجة التي جاءت بشكل عفوي ولم يقصدوها قطعاً، والتي قد جاءت معبّرة عن واقع يحمل أوضح وأبلغ المضامين عن هذه الأخبار فهي عبارة عن اتساع دائرة السخط الشعبي حتى إلى القرى الصغيرة وإلى المناطق النائية.

ومن جملة تلك الأخطار هي أنّ رجال الأمن قبضوا في قرى آذربيجان أو خراسان أو ... على أشخاص بحوزتهم أشرطة تسجيل تحمل خطابات لعلماء الدين أو بيانات لمراجع التقليد، أو أنهم كانوا يوزّعون تلك الأشرطة أو يكثرونها !

إنّ ظاهرة احتجاج جماهير الشعب وانتقادهم للسلطة الحاكمة ودخولهم بشكل فاعل في الوقائع العامة والأحداث السياسية، تعد ظاهرة جديدة خلقتها مشاركة العلماء الكبار ودخولهم في معترك المجابهة مع النظام. وقد وقعت خلال نصف القرن الأخير أمثال هذه الأحداث أكثر من مرّة، كان آخرها ما وقع في الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢هـ ش (١٩٦٣م)، وهي أيضاً ظاهرة كان بُناتها الأصليون هم العلماء.

استخدمت الحكومة في تلك القضية عدة وسائل لقمع الحركة الجماهيرية: فقد حاولت من جهة إرعاب قلوب عامّة أبناء الشعب عن طريق القتل وإراقة الدماء، وكذا إلقاء الرعب والذعر في نفوس النخبة بأساليب الضغط والتعذيب في داخل السجون، وإحالة تلك العناصر إلى محاكم عسكرية لتجري محاكماتهم سرّياً على يد قُضاة تابعين للنظام ومنفذين لأوامره وللأحكام الظالمة التي يصدرها لذرائع واهية، والنماذج الكثيرة لذلك نعرفها نحن وأنتم.

ومن جهة أُخرى فقد حاولت إيجاد حالة من التردد والوهن في العزم الراسخ للعلماء الكبار، والتغلغل في الأجواء الفكرية المحيطة بهم عن طريق إشاعة الأفكار المنحرفة وتأكيد قضية أنّ الحكومة لا تنثني عن رأيها ونهجها، وأنّ أيّ إجراء يُتّخذ لن يؤدي إلاّ إلى إراقة المزيد من الدماء والقضاء على عناصر شريفة أُخرى، وهذا ما كان يتناهى إلى الأسماع صراحة في خطابات المرحوم آية الله الميلاني.

أو أنّ أمثال هذه الأجراءات تقود إلى استعداء الحكومة وتدفعها إلى التعجيل في آرائها المناهضة للدين، كما كان يصرّح بذلك أحد أكابر الاساتذة في مدينة قم، أو أنّ الأمر قد فات أوانُه وأنّ الأخطاء التي ارتكبها العلماء بعدم التدخل في شؤون السياسة قد بلغت حدّاً لا يمكن معه التعويض عمّا فات؛ وهذا ما يوجب الانصياع لكل ما يجري، وهو ما تضمّنته تصريحات أحد الأساتذة الكبار بمدينة قم.

ومن الواضح ما لهذه المناهج الفكرية من ملازمات وتبعات، فكم ستلحق بالنهضة من أضرار، هذا أولاً! وثانياً: يمكن من خلال تلك الكلمات معرفة أساس الفكرة، ومن أين وكيف يمكن النفوذ إلى أذهان السادة العلماء!

ومن جهة أخرى فقد حاولت الحكومة شلّ مراكز المحافل العلمائية بمحاصرة وسجن العقول المفكرة والأيدي الفعالة؛ حيث كانت خيرة العلماء والفضلاء الكبار الذين هم جوهر وخلاصة الحوزات العلمية بين الأعوام ١٣٤٢و ١٣٤٣هـ ش (١٩٦٣ و١٩٦٤م) وحتى عام ١٣٥٠هـ ش (١٩٧١م) رهن الاعتقال، والزنزانات الفردية، والنفي، وسماحتكم على معرفة تامّة بالأمثلة الكثيرة في هذا المجال.

كان هذا مثالاً للإجراءات التي اتخذتها الحكومة الإيرانية بعد الخامس عشر من خرداد عام ١٣٤٢هـ ش (١٩٦٣م) لقمع انتفاضة الشعب الإيراني المتأججة، وقد استخدمت بطبيعة الحال أساليب وتدابير أُخرى لا ضرورة لذكرها هنا.

ولكن تجدر هنا الإشارة عرضاً إلى أنّ الحكومة الإيرانية قد سلكت بعد خرداد ١٣٤٢ جميع السبل المتاحة لإخماد الثورة إلا سبيلاً واحداً، وهو تلبية متطلبات الشعب التي من أجلها ثار، ولا يمكن الاتيان حتّى بمثال واحد يدلل على استجابة السلطة الحاكمة لمطاليب الشعب، أو أنها خطت خطوة باتجاهها. والذين يعتقدون أن النظام الإيراني نظام مستبد ومناهض لإرادة شعبه، لديهم أدلة، من جملتها هذه الحقائق.

ولكن بنفس القدر الذي كانت ولا تزال فيه مساعي السلطة الحاكمة في إيران لإخماد انتفاضة الشعب مُتوقّعة، فإن فشل وبطلان تلك الخطط كان متوقّعاً في الرؤية الإسلامية؛ لأن بطلان هذه السلطة وعدم ارتكازها على ركيزة يجعلها محكوم عليها بالهزيمة والفناء. ولو تصدت لها قوة ذات صبر وصمود، لكان منهجُها الحق كفيلاً بتحقيق النصر والمستقبل المشرق.

ولهذا كان من نتائج السُّنّة الإلهية في بقاء واستمرار حالة المجابهة الشاملة وجود شخصية صلبة مثل آية الله العظمى الخميني الذي التزم بموقف مبدئي لا يقبل التساوم، وكان نفيه إلى تركيا ومن ثم إلى العراق سبباً في تضييق الخناق على السلطة الحاكمة، وعوّضت بياناته عن فترة الصمت والفتور . وكان فضلاء الحوزة ومعهم من كل سجن ومعتقل عطاء وغنيمة معنوية جديدة، وبرزت من خضمّ الصراع وجوه حَسَنة وكوادر جديدة.

وإنّ لهيب المواجهة الذي ـ خفّ أُوَاره نتيجة هبوب العاصفة التي حكمت بزوال السلطة الحاكمة ـ أجّج نيراناً كثيرة ودائمة، وحدثت منعطفات جديدة نتجت عنها فصول جديدة في جهاد الشعب الإيراني المسلم، وخاب على إثر ذلك كيد السطة ومكرها، وتواصل جهاد الشعب في مجراه الطبيعي.

وعلى الرغم من كل هذا، لا يُشكّ في أنّ تدابير السلطة المعادية للشعب كان لها تأثيرها الفاعل في إضعاف وتيرة النهضة الشعبية. ومن المؤكد لو أنّ خطط وأحابيل السلطة لم توقف انطلاقة تلك النهضة لكنّا اليوم في مرحلة أُخرى، ولكان للأحداث طابع آخر يختلف عمّا هو عليه اليوم.

لقد اختلف الموقف اليوم كُليّاً، فالشعب وبعد خمس عشرة سنة من التجربة دخل ثانيةً معترك النهضة الشعبية الشاملة، ومن الطبيعي أنّ خطر انهيار هذه النهضة رغم كثرة معطياتها الثورية لازال قائماً؛ بسبب وجود المؤامرات والأساليب المحسوبة والمُعَدّة من قِبَل العقول الأجيرة وبمعاضدة المختصّين الأجانب، إلاّ أنّ هذا الخطر قد تضاعف اليوم بفضل الوعي النِسبي للجماهير وقادتها، لكنه في كل الأحوال لا زال قائماً، وما دامت هذه المؤامرات خفيّة فلا يتاح التصدّي لها.

إنّ أُولى وأعمق المؤامرات التي تحوكها السلطة الحاكمة ـ السلطة التي تعتبر حالياً الطرف الأصلي في القضية ـ تدار بأساليب متداولة ومألوفة، وإلى جانبها أيضاً أساليب أُخرى جديدة، منها:

١ـ بثّ الاختلاف والفرقة بين القادة عن طريق تضخيم الاختلافات الجانبية، من قبيل ما هو قائم اليوم بين أحد مراجع التقليد وسماحة آية الله الخميني؛ آية الله الخميني يعارض أساس الحكومة، بينما يعترض ذلك المرجع على نقض الدستور فقط.

هذان الرأيان لا يعبّران عن اختلاف مبدئي، بل إذا أُخذت الجوانب الأُخرى للقضية بعين الاعتبار، إضافة إلى التشكيلة الحالية للحكومة التي لا ترغب ولا تستطيع الالتزام بالدستور، يمكن القول حينها: إنّ الرأيين المذكورين متطابقان، ولكن لاحظتم كيف ضخّمت الأيدي المغرضة المباشرة وغير المباشرة ذلك الموضوع وأبرزته إلى الوجود متبجّحة به أمام الجميع.

وأيضاً من خلال شحذ أسباب التباغض واليأس بين العلماء وسائر الشخصيات المتصدية عبر إبراز أحد الشخصيات على أساس أنه يميل إلى المهادنة والتساوم ، ودفع الآخرين لإساءة الظن و... الخ. وكذلك التشدد مع أحد الأشخاص أو التيارات، والتغاضي وقتياً عن الآخرين؛ بغية عزل ذلك الفرد وذلك التيار، وإيجاد فاصل بينه وبين الآخرين.

وأيضاً من خلال بثّ الاشاعات لصالح أو ضد البعض، وبواسطة خلق حالة من الغموض والإحجام في أذهان بعض الزعماء من خلال قطع الوعود لهم، فيخرجون بهذا الاسلوب من بين صفوف الشعب و ...الخ .

٢ـ بواسطة إشاعة الرعب وانتهاج أُسلوب الشدّة والقسوة، كالقتل والسجن لمدة طويلة، والمحاكمة في محاكم عسكرية، والتهديد عبر الأحاديث والتصريحات وما شابه ذلك.

٣ـ بواسطة القضاء على العناصر الفاعلة والمبدعة، أو عزلها عن الآخرين، أو زجّها في السجون، أو نفيها.

٤ـ عن طريق تلفيق التّهم وبذر أسباب الغموض والتردد في أذهان الناس، والتشكيك في اعتقادهم الراسخ.

٥ـ إلهاء الشعب بقضايا ومواضيع مصطنعة، وتوجيه الأذهان نحو أُمور جانبية تشغل بها اعتقادهم الراسخ.

٦ـ التظاهر بمسايرة الزعماء ومقابلتهم بالبشر وزرع الأمل في نفوسهم بأن القضية يمكن حلّها عن طريق الحوار والاتفاق أكثر من أي طريق آخر.

٧ـ عن طريق أساليب أخرى مختلفة.

وإلى جانب مؤامرات السلطة الحاكمة ينبغي أيضاً ترقّب الضربات من الأعداء الآخرين أيضاً. وهؤلاء وإن كانوا لا يملكون قوّة تضاهي قوة الحكومة، إلاّ أن هذا لا يدعو إلى الاستهانة بهم. وهذه الضربات التي تستهدف عموماً القضاء على الصفة الجماهيرية، وعلى اتساع نطاق هذه النهضة، تتظافر من أجلها تيارات متضادة تريد سحق الثورة على الفور أو حرف مسارها. وأحد هذه التيارات هو تجمع الفئات التي تنتمي إلى الفكر الإلحادي، والتي يطلق عليها تجوّزاً اسم (التجمع) وإلاّ فهي تسودها مئات الاختلافات وأسباب الشقاق والنفاق.

هؤلاء يعتقدون بعدم إمكانية تقدّم عملهم وبلوغ أهدافهم السياسية في بسط ونشر آرائهم مع وجود الأرضية الصالحة لنشر الدين والمذهب، و من الطبيعي جداً أن تدفعهم هذه الحالة إلى الحقد على الدين، وإنكار دور الدين والنظام الإسلامي في تحقيق الأهداف الإنسانية، فهبّوا بكل ما لديهم من قوّة لمجابهة النهضة التي انطلقت بإسم الإسلام وهي تحمل الشعارات الدينية ويشارك فيها الزعماء الدينيون . وما التعابير والتفسيرات المهينة التي تلاحظ في تصريحاتهم إزاء الأحداث الأخيرة إلا جزءاً من رد فعلهم المناوئ لهذه النهضة، وكان وصفها بصفة «الاصلاحية»، وهو الاصطلاح الذي يُسمع أحياناً حتى من ألسنة بعض شبابنا، صادراً عن أولئك أنفسهم.

إنّ البلاء الكبير الذي يخيّم على أذهان هؤلاء هو ذلك البلاء المعهود المتمثل في الجمود على قوالب معيّنة في التفكير والكلام.

إنّ أي انسان منصف لو نظر إلى ماهية وجوهر هذه النهضة وإلى شعاراتها لأدرك بكل يُسر أنها ليست إلا حركة ثورية، ولا تعني المطالبة بإقامة الحكومة الإسلامية أو تطبيق أحكام الإسلام إلاّ المطالبة بالتغيير الجذري، وإقامة نظام الإنسانية والعدالة الإسلامية بدل النظام الطاغوتي المشرك.

أما التيار الأخر: فهو تيار المسلمين التقدّميين، الذين يتصفون بسطحية المعلومات وقلّة الصبر، وهؤلاء مع ما لهم من دوافع. يبدو أنّ أكبر أهدافهم واهتماماتهم هو قمع العلماء. ولم يكن وجود شريحة العلماء المجاهدين التقدميين والعون الصريح الذي قدّمه ولا زال يقدّمه الكثير منهم على شتّى الأصعدة في سبيل بلورة أُسس الثورة في إيران، مدعاة لأن يبدي هؤلاء بعض النضج والتأنّي في موقفهم إزاء العلماء، أو أن لا يتحدثوا على أدنى الاحتمالات بهذه الشمولية التي لا استثناء فيها، فإن كلامهم اليوم لا يقرّ به أي مراقب منصف، حتى لوحظ وسُمع أنّ الصورة التي يحملونها عن بعض ممّن هو من أخلص العلماء وأكثرهم تضحية لم تكن صورة منصفة، وكذا كلامهم في هذا الشأن.

هؤلاء يستنكرون الثورة الحالية للشعب الإيراني؛ لأن لعلماء الدين والزعماء الإسلاميين فيها دوراً مشهوداً، ولهذا السبب تراهم يضعون العراقيل أمامها ما استطاعوا.

وعلى الرغم من عدم وجود ضرورة حالياً لتحليل سلوكية هذه الفئة اللقيطة، إلاّ أنني أُشير فقط إلى أنّ البعض يرى أنّ السبب الأساس لمخالفتهم لشريحة العلماء المجاهدة والواعية، هو شعورهم بعدم إمكانية عرض أفكارهم اللقيطة الساذجة الواهية التي لا أساس لها، أو الدفاع عنها أمام هذه الشريحة،

وهي الأفكار التي تطرح أحياناً في الشارع الحالي المضطرب على أنها عصارة الأفكار الإسلامية، وأنّ الألفاظ شبه الثورية والتلاعب بالكلمات والعبارات قادرة على إخفاء حقيقتها الخاوية والمزيّفة عنهم.

أما الجناح الآخر: فهو جناح العناصر الجامدة و المتحجرة المسمّاة بالعناصر الدينية التي لا زلنا لسنوات طويلة نسمع أقوالها ومؤاخذاتها، ولا داعي هنا لتكرار تلك الكلمات والبحث في عللها وأسبابها.

وفي مقابل هذه التيارات والمؤامرات والضربات الفتاكة، نشكّل نحن وعقيدتنا الإسلامية وشعبنا التوّاق والمتأهب لسماع الأوامر، وهذا الموجود القيّم ـ الذي يفتقر إليه خصومنا وأعداؤنا ـ نشكل كتلة لا يُستهان بها، وهذا ما ينبغي معرفة أهميته وطرق الانتفاع منه.

إنّ من أهم الاجراءات القادرة في مثل هذه الظروف على الوصول بعلماء الدين إلى أهدافهم، هو السعي لإنشاء تنظيم أو حزب وطني وشامل.

يجب على العلماء عدم الانطواء على الذات، وتجاهل دور الطاقات الفاعلة والمؤثرة والشخصيات البارزة أو الإعراض عن السواعد المقتدرة والمخلصة المستعدة للتعاون معهم، أو إعطائها أهمية أدنى مما تستحقّها، وعليهم أن لا يفوّضوا الأمور ـ كما هو الحال في ظروف أُخرى حدثت ـ إلى الأفكار المعتمدة والموثوقة، ويخرجوا هم عن الساحة.

هذان الأُسلوبان اللذان يمثلان طرفي الإفراط والتفريط تسببا في الماضي بإيقاع خسائر كبرى، ولابدّ من تجنّب تكرارهما. ويبدو أنّ أعقل الأساليب وأعدلها يتلخّص في إسهام العلماء الفعال والمباشر إلى جانب العناصر الصالحة الأُخرى كإسهام الشركات المتساوي الحقوق في مثل هذا التنظيم الحزبي .

ومن البديهي أنّ الإمكانات الأكثر في أي عمل مشترك تتيح مزيداً من العمل والنجاح؛ وهذا ما يوجب بدوره منح المزيد من الصلاحيات والحقوق. وإذا استطاع العلماء الملتزمون استثمار الإمكانات الهائلة، مع انتهاج أُسلوب الابداع والاخلاص والتضحية والمجاهدة والسعي الحثيث،فمن الطبيعي أنّ زمام القيادة الشاملة سيكون بأيديهم.

ثمة نقطة في غاية الأهمية، وهي أن النجاح في هذه المرحلة يتوقف على تشكيل محور آخر في وسط طلاب وفضلاء وعلماء الحوزات العلمية، يلتفّ حوله العلماء والحوزات العلمية، والعلماء التقدميون والمثقفون في المحافظات.

وفي الظرف الحالي الذي يفتقر إلى مثل ذلك التنظيم الحزبي ولا يمكن إيجاده بهذه السهولة يبدو من اليسير إلى حدّ ما ملء هذا الفراغ بواسطة الأُسلوب الثاني. ومن أيسر وأبلغ هذه السبل هي الاجتماعات والمجالس التي تقام لحسن الحظ على الدوام في كل مكان في الظروف الحساسة والمتأزّمة حالياً بشكل خاص في الكثير من المدن، وبصورة استثنائية تقريباً في مدينتكم بارك الله فيها وفيكم وفي أهلها.

لهذه المجالس ـ التي لا يشك أحد في ماهيّتها الإسلامية ـ صفة المجتمع الإسلامي العام الذي يتألّف من مختلف أبناء الشعب وشتى شرائحه، ولا يعرف أيّة حدود ولا يختص بفئة دون أُخرى ، ولا

يرفض أيّة جماعة من الناس ، بل المجال فيها مفتوح للجميع للتعلم واتخاذ القرارات والاجراءات وعرض الآراء. وليس بمقدور حكام إيران سلبنا هذه الفرصة رغم المضايقات والضغوط التي يمارسونها.

وإنّ إغلاق أحد المساجد يحمل من الخطورة على السلطة كخطورة استمرار وجوده، فإذا كان الناس اليوم يتعلمون فيه، فإنهم سيهبوّن حينذاك كعاصفة من الغضب، ومثل هذا الإجراء ينطوي ـ ولو لفترة قصيرة ـ على مخاطر كبيرة على السلطة الحاكمة التي ليس لديها أيّة ذكرى طيّبة عن إغلاق المراكز العلمية والتبليغية في أرجاء إيران، ولم تكن تجربتها في هذا المجال سارّة لها.

هذه الفرصة الثمينة الناتجة عن ضعف وزعزعة النظام الحاكم ـ والذي يعزى إلى السنن الحتمية ـ يجب على العلماء ودعاة الدين استثمارها بأقصى ما يمكن؛ فالمجالس الدينية ينبغي تحويلها إلى قاعة دراسية كبرى، تُدَرّسُ فيها بالدرجة الأُولى مواضيع في شرح مفاهيم الإسلام والأُسس التي تقوم عليها هذه الشريعة الخالدة ، والنظام العادل الذي جاء به من أجل سعادة الإنسان وفلاحه وصلاحه، والمبادئ الأساسية التي رسمها لإقامة وديمومة هذا النظام، والطريق الذي اختّطه للمؤمنين وللمعتقدين بهذا الدين في سبيل إقامة هذا النظام.

ثم شرح وضع المجتمع الحالي الذي يعيشه الناس، وبيان الحقائق المؤلمة التي تجري فيه، والظلم والحرمان والهوان الذي يجابهه الإنسان ويراه بنفسه.

ثم بيان مدى التفاوت بين هذا وبين النظام الذي نادى به الإسلام لأتباعه. وشرح الاختلافات الفكرية والسياسية السائدة في عالم اليوم، مع الكشف عن العداء الذي يحمله زعماء العالم اليوم والخطر الذي يستشعرونه، أو قُل باختصار: رفع مستوى الوعي السياسي للشعب.

ثم إنّ عليهم الإفصاح عن الواجب المفروض على المسلمين تجاه الإسلام والإنسان والتاريخ والمستقبل،وخاصة في هذه اللحظة التاريخية، والخسارة الرهيبة التي ستحل بهم فيما لو خسروا هذه المرحلة التي لا يمكن التعويض عنها بهذه السهولة. وكذلك دراسة العلل والأسباب التي تدعو بعض الناس إلى الوقوف موقف المتفرج إزاء بعض الأحداث الجارية في إيران والعالم، والسعي لإزالة تلك العلل التي بعضها ناتجة عن عدم الاطلاع على الإسلام وعلى العالم، وبعضها الآخر غير مقبول وناتج عن خصال سلبية مقيتة تجذّرت في نفوس الناس على إثر الانعكاسات التربوية السلبية والمغلوطة.

ومن المناسب جداً في إدارة وتنظيم وديمومية صورتها المطلوبة، أو من الأفضل القول ادارة هذه الصفوف الدراسية العامة، الاستعانة بفضلاء وخطباء الحوزات العلمية والحوزات المحلية، وعرض المواضيع الضرورية على أسماع الناس، تحت إشراف عناصر ذات منزلة جليلة كسماحتكم، من خلال الكلمات المناسبة التي يجري إعدادها وتنظيمها وفق منهج معيّن.

إنّ مثل هذه التدابير إذا تمّت بجد ومثابرة في مدينة صغيرة أو كبيرة، نبتت ساعتها شجرة العلماء الباسقة المعطاء في تلك الأرض.

أسأل الله لكم التوفيق والرحمة والرعاية الإلهية في كل حين لتكونوا مصدر مثابرة وحركة وجهاد على نطاق الواسع، والمدن المجاورة .

لقد كانت التجمّعات والتنظيمات تشعر دائماً بحساسية إزاء هذه القضية، أي أنّ الأحزاب والتجمّعات السياسية المنفصلة عن العلماء تشعر دائماً بالحساسية عندما نقول: أينما تكونوا فلن يكون معكم سوى القليل من الناس أو لن يكون معكم أحد مطلقاً.

ولكن عندما يسجل العلماء حضوراً ـ ولاسيما إذا كان حضوراً واسعاً ـ فإن الجماهير تبدي مشاركة واسعة، ولهذا فإنكم لاحظتم في عامي ٥٦، ٥٧هـ. ش «١٩٧٧ ـ ١٩٧٨م» عندما كان العلماء جميعاً لهم حضور، فإنه لم يعد هناك استثناء، وانطلقت جميع الجماهير تقريباً للمشاركة، فبرزت هذه الحركة العظيمة المقتدرة والراسخة وأشعلت فتيل هذه الثورة الكبرى»[1].

لقد كان العلماء رموز التحرك؛ إنهم رمز تحرك الشعب، وهو ما ضاعف من هلع الطغاة والمستكبرين. إنهم لم يكونوا مجرد فئة اجتماعية يمكن تحديدها ومحاصرتها وبالتالي القضاء عليها، وكلما كان العلماء يشعلون فتيل الجهاد كان ملايين المضحّين ينضمّون إليهم لأخذ مواقعهم في مقدمة جبهة الكفاح والمقاومة.

إنّ هذه القوة والمقدرة كانت تبدو أُسطورية ولكنها لم تكن خيالية على كل حال، وهو ما بدا واضحاً مراراً وتكراراً في القرن الأخير:

«أينما يكن العلماء تكن الجماهير؛ إنّ وجود الفئات الأُخرى يعني وجودها فقط، وأما وجود العلماء فمعناه وجود الفئات المختلفة؛ ولأنهم يعتبرون مظهر اهتمام وحبّ وإيمان واعتقاد الجماهير فإن العلماء في مجتمعنا

أنهي كلامي هنا بالسلام والإعراب مرّة أُخرى عن إخلاصي لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إيرانشهر

٢ رجب ١٣٩٨هـ ق (شهر خرداد ١٣٥٧هـ ش)

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

الإيراني هم الأكثر أصالة في نسيج هذا المجتمع، فلو رغبوا في انتزاع العلماء من هذا الشعب فكأنهم يريدون انتزاع الجوهر الأصلي لمشروب ما، فحينئذ لا يبقى منه شيء. إنهم كمن يريد انتزاع خيط المسبحة، فينفرط عقدها وتفقد شكلها واسمها»[1].

مستوى معرفة المجتمع بالحوزة

إنّ مجتمع إيران الشيعي يُكنّ الحبّ والإخلاص للعلماء، فيُدين لهم بالطاعة ويعتبر كلمتهم فصل الخطاب، ولكنه مع كل ذلك لا يعرف عن الحوزة وعملها ونشاطها إلاّ القليل، ولربما لا يعرف شيئاً.

ومع أنّ هناك جسراً يربط بينه وبين الحوزة والعلماء في احتياجاته اليومية تقريباً، فإنه يجهل ما في الحوزة من إمكانيات علمية وفرص كبيرة وطاقات متألّقة، وإنتاج بأقل التكاليف وسواها من عشرات الفضائل الأُخرى.

على أنّ هذه الغفلة قد ازدادت، ولاسيّما في الحقبة الأخيرة؛ فبإبعاد الحوزة عن المجالات الاجتماعية بات نشاطها وإنجازها مجهولاً في الكثير من الأحيان، بل ولربما أنكره المغرضون تماماً في بعض الأحيان.

والآن، فإن على الحوزة أن تبذل جهودها للتعريف بنفسها وإبراز طاقاتها والكشف عن الحقائق الخفيّة، والانطلاق من قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[2]، للحديث عن فضائلها ومناقبها التاريخية واستعراض كفاءآتها أمام المجتمع:

«إنني أقول بكل صدق: بأن شعبنا ـ الذي غالباً ما يحبّ الحوزة العلمية

---

(١) حديث لدى استقبال علماء وفضلاء سبزوار ١٣٦١/٣/٣٠هـ ش.

(٢) سورة الضحى: ١١.

ويحمل لها الود ـ لا يعرف الحوزة العلمية ولا يدري شيئاً عن أهميتها، وإنّ أحد جوانب القصور في الحوزة هو أنها لم تقم بتعريف نفسها.

إنّ الناس لا يدرون شيئاً عمّا يُبذل في الحوزة العلمية من جهود علمية نفيسة وقيّمة، وما يتمّ من نشاطات ثمينة في أنواع العلوم والمعارف المهمة، كما أنهم لا يعرفون أنّ ما يحدث من إنجازات في الحوزة العلمية لا يكلّف سوى القليل جداً من الناحية المادية والمالية.

إنّ أكثر أعمال الحوزة يتمّ القيام بها بمبلغ مادي زهيد وبنفقات ضئيلة، وإنّ نفس هذه الأعمال لو أردنا القيام بها في الأجهزة العادية الأُخرى ـ كالمؤسسات والجامعات والوزارات وغيرها ـ لكلّفتنا ربما خمسة أو عشرة أضعاف مايُنفق في الحوزة.

إنّ ديدن الحوزة هو القناعة وعدم الاهتمام بالمظاهر الباهظة وعديمة الجدوى والفائدة، ولكن الناس لا يعرفون إلاّ النزر اليسير من ذلك»[(١)].

إنّ الإقبال المتزايد للطاقات الموهوبة يحتاج إلى أن تسعى الحوزة للإعلام والدعاية عمّا لها من نشاط واسع، وأن يكون لديها شرح واضح لِمَا تمتلكه من قدرات وكفاءات.

إنّ قسماً ضئيلاً من المجتمع ممّن نشأوا في عوائل العلماء أو كانوا على صلة بهم هم الذين لديهم اطلاع على مستوى إمكانيات الحوزة والعلماء، وما تتمتع به من خصوصيات ممتازة وفريدة في نظامها التعليمي، ولكن غالبية المجتمع لا يملكون سوى تصوّر غامض عن طاقات الحوزة وكفاءاتها، ولا يعرفون شيئاً عن نظامها الدراسي، ويجهلون مستقبلها العملي، ولا يدرون شيئاً عن نشاطاتها المتنوعة أو عن آثارها الحاضرة، وإن مثل هذا

---

(١) حديث في بداية بحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ. ش.

الغموض والإجمال عاد ويعود بآثار سلبية على مقدرة جاذبية الحوزة.

إنّ النظام التعليمي الحديث بكل ما فيه من مصاعب على الطريق يضمّ في كنفه ملايين الأشخاص، ويشدّ نحوه المواهب والطاقات العديدة ويجتذب منها ما يحتاجه من عناصر، ولكن نظام الحوزة، ورغم ما يتمتع به من سهولة الحضور ومواصلة الطريق، فإنه لا يجتذب إليه مثل ما تجتذبه الجامعات من طاقات.

إنّ الحوزة كانت ولا تزال حتى الآن لا يتوجّه اليها ولا يكون في خدمتها إلاّ العوائل التي لديها معرفة بالعلماء ونظام الحوزة الدراسي. والسبب في هذه القضية يعود الى عوامل متعددة، قسم منها يتمثل فيما أشرنا إليه سابقاً، من أنّ النظام الحوزوي لا يولي أهمية للإعلام عن وضعه ونشاطاته، وهو ما يحرم الآلاف من الطاقات النابهة من الالتحاق بالحوزة؛ لعدم معرفتهم بها وبنظامها التعليمي.

وأما الآفة الأُخرى فتكمن في أنّ المجتمع لا يعرف شيئاً عن عمل عالم الدين وكفاءاته، اللهم إلاّ بعض الأعمال والوظائف التقليدية ولا شيء دون ذلك، وهو ما يثير التساؤل والقلق والشك حول فائدة الحوزة وعلماء الدين، ويؤدي الى تجاهل جهود آلاف العلماء المخلصين، ويقدم أعمالهم على أنها مشاغل مبهمة تفتقر إلى الجدوى والكفاءة.

إنّ هذه الشبهات تنمو وتترعرع وسط الغموض والإبهام، ولو حاولت الحوزة شرح سيرة عظمائها وتبيان دورهم في تقديم الثقافة الإسلامية والإنسانية وتوضيح تأثيرهم في تحقيق الرفعة والعزة الوطنية، فإنه لن يكون هناك مجال لظهور وانتشار مثل هذه الشبهات.

إنّ الحوزة إذا أقدمت على جمع وتقديم نتائج أبحاثها الفردية

والجماعية في نشرات مستقلة ووضعتها تحت تصرف المثقفين والمتعلمين والمحافل الثقافية والإعلامية، فإن مثل هذه الوساوس والشكوك لن يكون أمامها مجال للظهور.

وإذا ما نشطت الحوزة في تجميع وعرض حصيلة جهودها الإعلامية والثقافية في المساجد والمدارس والجامعات والقرى والمصانع وسواها في نطاق جدول عملها السنوي، فإن مثل هذه الإيحاءات لن تجد آذاناً صاغية.

وإذا ما قامت الحوزة بمقارنةٍ بين تكاليف مجمل نشاطاتها التحقيقية والتبليغية وبين نظيراتها من المؤسسات المماثلة، وأعلنت عن ذلك أمام المجتمع، فإنها ستوقظ الضمير العام على حقيقة أنّ الحوزة يمكنها تقديم كل هذا الإنتاج بأقل التكاليف.

المتطلبات الاجتماعية

إنّ المجتمع الإسلامي، وعلى الأصعدة المختلفة، كان ومازال في حاجة إلى عالم دين كفوء ومفيد؛ وذلك ابتداءً من الأعمال التقليدية لعالم الدين كإمامة الجماعة والخطابة والمنبر وتبليغ أحكام الدين وسواها، إلى المهام والمناصب الجديدة التي تصدّت لها المؤسسة العلمائية بعد انتصار الثورة. وإن المجتمع يأمل في أن يتولّى هذه المناصب والأعمال علماء مؤثرون وعلى قدر من الكفاءة، وأن يقوموا بأداء التزاماتهم الإلهية والاجتماعية.

إنّ الحوزة كانت تتمتع بحصانة نسبية في عهد إبعاد العلماء عن محيط الإدارة الاجتماعية، فلم يكن يُسند إليها الكثير من المهام حتى يقوَّم عملها ويخضع للنقد والتحليل. وأما الآن، وبعد انتصار الثورة وإقامة النظام الإسلامي، فإن المجالات أصبحت واسعة لإظهار وإبراز الخلاّقيات

والقابليات، ممّا يدل ـ وللأسف ـ على أنّ عدد العلماء ذوي الكفاءة لا يتناسب مع المتطلبات الاجتماعية.

ولكن الذي يبعث على الأسف الشديد هو أنّ هذا الفراغ مازال موجوداً ولا تبدو هناك في الأُفق أية مؤشرات واضحة للتغلب عليه؛ وذلك رغم مرور عقدين على انتصار الثورة:

«إنّ عدد العلماء الذين نحتاجهم للتصدّي للأعمال الحساسة المتوقفة على علماء الدين يفوق كثيراً ما هو بحوزتنا الآن، وعلى سبيل المثال فإن جهازنا القضائي بحاجة إلى الفضلاء بل إلى المجتهدين العدول الأذكياء والواعين من أجل تحكيم القضاء الإسلامي بين الناس.

إننا نذكّر إخوتنا في السلطة القضائية بهذا النقص، ولكنهم يقولون بأنه لا يوجد أشخاص بما فيهم الكفاية، وهم صادقون في ذلك.

إننا اليوم في هذا البلد، وفي أنحائه المختلفة، وليس فقط على صعيد المسجد والحسينية والتعزية والمنبر، بل على كافة الأصعدة والميادين، بحاجة ماسة إلى وجود العلماء الواعين»[1].

ويقول سماحة القائد في حديث آخر مشيراً إلى تراكم الاحتياجات الاجتماعية:

«إنه لو كان لدينا في السنوات القادمة مئة مجتهد جامع للشرائط ـ عادل عالم متّق وعارف بزمانه وشجاع ـ فإن ذلك لن يكون كثيراً، والأمر نفسه إذا كان لدينا أضعاف ذلك.

إننا بحاجة إلى الفضلاء الشباب ومجتهدي المراحل الأُولى من الاجتهاد بقدر كبير، كما أننا بحاجة ماسّة إلى أُولئك الذين لم يصلوا أيضاً إلى حدّ

---

(١) حديث لدى استقبال علماء وفضلاء قاين ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

الاجتهاد، ولكنهم درسوا العلوم الإسلامية والسطوح ومقداراً من بحث الخارج ولديهم معرفة بأحكام القرآن والحديث، ونحن بحاجة إلى الذين درسوا الفقه الإسلامي ولديهم قدرة على الاستنباط والتدقيق من أجل تدوين القوانين الإسلامية.

ثم إننا بحاجة إلى أشخاص على علم بالقرآن والإسلام ويتمتعون بالوعي العميق ومن أهل الاستنباط والتأليف، وذلك من أجل تدوين الكتب الدراسية في الجامعات وخصوصاً ما يتعلق منها بالقضايا الإسلامية كالاقتصاد الإسلامي والحقوق الإسلامية والإدارة الإسلامية وغير ذلك، ونفس هذا الأمر ينطبق على الأبحاث وعلى تدوين الأبواب الفقهية المختلفة.

إنّ كافة المدارس والجامعات والمراكز الصناعية والقرى في هذا البلد بحاجة إليكم اليوم من أجل التدريس والتبليغ؛ إنّ الكثير من المدن ليس فيها علماء، والكثير من المدن أيضاً ليس فيها علماء دين بالقدر المطلوب، فانظروا كم هي الحاجة إليكم»[١].

إنّ الحجم الهائل من الاحتياجات المتراكمة يحتم على الحوزة تعبئة كافة طاقاتها وإمكانياتها في سبيل إعداد علماء الدين بما يتناسب مع ضروريات المجتمع المختلفة، كما يجب عليها رصد احتياجات المجتمع والعمل على اجتذاب وتربية الطلاب والفضلاء والملتزمين بما يلبّي كل تلك الحاجات.

لقد فوّتت الحوزة على نفسها فرصاً ثمينة، ويبدو أنها الآن مازالت تتمهّل في اقتناص الفرص المتاحة وللأسف، فتذهب هذه الفرص سُدى، وتبقى الحوزة والحاجة الاجتماعية تتحركان على خطين متباينين.

---

(١) حديث مع طلبة حوزة كرج العلمية ١٣٦٣/٨/١٩هـ ش.

وبعد أن أوضح سماحة القائد كثرة الحاجات، فإنه أكد على أهمية تربية الطاقات في الحوزات مبيّناً دورها الأساسي في مستقبل النظام والثورة:

«إن إعداد الطلبة الشباب هي أحد أهم الأعمال الواجبة والضرورية، ويجب أن يتمّ ذلك بصورة مبرمجة ودقيقة.

إنّ ذلك من الأعمال الطويلة الأمد والأساسية في هذا البلد، وإنّ وجود مثل هذه الشخصيات القوية والممتازة هو الذي يستطيع الحفاظ على الخط المستقيم للاستقلال و «لا شرقية ولا غربية» وخط الإسلام وخط الشريعة، والانطلاق به قُدُماً بقوة وحزم وسط كل هذه الأعاصير»(١).

توقّعات الجماهير

إنّ المجتمع يتوقّع الكثير من عالم الدين؛ إنه يتوقّع منه ـ فضلاً عن زيّه الديني وملامحه الظاهرية ـ أن يتحلّى بالوعي والمعرفة الدينية ، وأن يكون مزيجاً من التديّن والتخلّق بالقيم الإلهية والمعنوية، وأن لا يرونه متميزاً في لباسه ومظهره وحسب، بل وفي علمه وأخلاقه أيضاً:

«إنّ الذين ارتَدَوا هذا الزيّ وانخرطوا في هذا السلك، يتمتعون بوضع خاص بلا ريب. إنّ الناس يتوقّعون منهم أكثر من ذلك، وينظرون إليهم نظرة دقيقة وحساسة.

إننا لو ارتكبنا عملاً سيئاً ـ لا سمح الله ـ وصدر عنّا ما هو مكروه وغير مقبول، فإن أثره على الطرف المقابل سيكون أضعاف ما يصدر من سلوك شائن عن شخص عادي.

إنّ الكثيرين يسلّمون عليكم عندما ترتدون العمامة وتسيرون في الشارع، وإنّ بعض مَنْ هُم أكبر منكم سنّاً وربما منصباً يقدّمونكم على أنفسهم في

---

(١) حديث مع طلبة حوزة كرج العلمية ١٣٦٣/٨/١٩هـ . ش.

المجالس والمحافل؛ وذلك لأنهم يتصورون أنّ هناك معنويةً وروحانيةً وصفاءً تحت هذه العمامة وداخل هذا الزيّ، ولهذا فإنهم يكنّون لنا الاحترام»[1].

إنّ حادثة قيام وانتصار الثورة ضاعفت من توقّعات الناس، وإنّ انتقادات علماء الدين للأنظمة الطاغوتية جعلت الناس يتوقّعون أنّ العلماء في مجال الأخذ بزمام المجتمع هم نفس أُولئك الحكماء القادة في المدينة الفاضلة لأفلاطون، وأنهم على قدر عظيم من العلم والحكمة وفي ذروة القداسة من حيث الأخلاق والتحلّي بالفضيلة.

ومع أنّ هذه الآمال والتوقّعات كانت ومازالت مثالية، إلاّ أنها تأصّلت في ضمير هؤلاء الناس وحققت الآمال الممكنة أو التي تبدو غير ممكنة.

ولا شك أنّ بعض هذه التوقّعات تفوق قدرة مجموعة بشرية واحدة، ولكن قسماً كبيراً منها تعتبر معقولة وممكنة التحقق والتنفيذ. والمهم هو أن تدرك الحوزة مكانتها الخطيرة في الظروف الحالية، وأن تُولي اهتماماً لتلك التوقّعات وتسعى لتحقيقها حفاظاً على كيان الدين والعلماء:

«إنّ الناس يتوقّعون الشيء الكثير منّا كمعممين وعلماء دين، وربما كان بعض هذه التوقّعات زائداً عن الحد ولا يمكن القبول به، ولكن بعضها لا يتجاوز الحقيقة بالتأكيد، وهو ما لا شك فيه.

إنه ليس مقبولاً أن ندعو إلى الاهتمام بما نقول دون ما نفعل؛ لأن الناس يودّون أن يكون لهذا الكلام أثر في حياتنا، حتى يصدقوا بصحته وبأننا نؤمن به.

إنّ هذه التوقّعات قد تضاعفت في الوقت الحاضر؛ لقد كنّا في السابق لا نفعل أكثر من الخروج من المنزل والذهاب إلى المدرسة أو المسجد، وهذا

---

(١) حديث في مراسم تعميم جمع من طلبة العلوم الدينية ١٣٧١/١١/٨هـ ش.

هو منتهى سعينا. ولكننا الآن نرتاد أماكن أكثر أهمية، حيث نحمل على عاتقنا أحياناً المسؤوليات الجسام، ونعتقد بأن للعلماء دوراً حاسماً ومؤثراً في هـذه الثورة، وهذا هو الواقع، وكل من ينكره فإنه لا يعرف الحقيقة.

إنّ توقّعات الناس منّا قد ازدادت الآن، ولو رأى الناس في سلوكنا سلوك الغلبة بعد الفتح فإنهم سيصابون بالإحباط واليأس.

إنّ تواضعنا للناس، وبذل المساعي والجهود في سبيل خدمتهم يجـب أن يكون بالشكل الذي يجعلهم يقتربون منّا ويحبّوننا أكثر نحن الذين نرتدي هذا الزيّ»(١).

مسؤولية المؤسسة العلمائية

إنّ الحوزة ملزمة ومسؤولة قبال المجتمع الثوري، فيجب عليها أن تكون مطّلعة على حاجاته ومتطلباته ومتناسبة معه، وأن تبدي حضوراً مناسباً فـي هذه اللحظة من الزمان.

وفيما يلي نشير إلى عدد من مسؤوليات الحوزة:

١ـ مطابقة النظام الدراسي والتحقيقي لحاجات المجتمع:

إنّ على الدراسة والتحقيق في الحوزة أن لا تتحرك بمنأىً عن الحاجات الاجتماعية، وعلى الحوزة أن لا تبقى حبيسة الأُطـر التقليديـة، وأن لا تفقـد إنجازاتها ومكاسبها التشابه والصلة بينها وبين متطلبات المجتمع، وتعتبر هذه النقطة من أهم واجبات الحوزة في عهد الثورة.

وإنّ المعرفة بها تشمخ بالحوزة وترقى بها عالياً، وما عدا ذلك يُلقى بهـا في غياهب العزلة والغياب عن الحياة الاجتماعية.

وللأسف، فإنه لم يحدث في الحوزة ما ينبغي لهـا مـن تطـور، ومـازال

(١) حديث لدى استقبال مرشدي قوافل الحج ١٣٦١/٣/٢٦هـ ش.

تعلّقها بالتقاليد والأُطر القديمة يمثّل حائلاً أمام التغييرات والإصلاحات العميقة في نسيج نظامها الدراسي والتحقيقي، وما برحت الموضوعات والمواد والنصوص خاضعة للأساليب القديمة دون تقدم ملحوظ، ولا نكاد نرى سوى تزايد بعض النصوص الجانبية والثانوية والأنساق الشكلية، وهكذا تضيع الفرص الذهبية.

ولو كانت الحوزة قد فكّرت منذ انتصار الثورة في تغيير نظامها التعليمي والتحقيقي، ولو كانت قدّ قدمت برنامجاً حديثاً بما يتناسب مع مقتضيات العصر الجديد لكان بإمكان إنجازاتها الآن أن تكون ملبّية لحاجات المجتمع، والآن فإن الفرص تمرّ بسرعة وتسير الخطوات بشكل بطيء وغير ملموس.

ولقد أكّد سماحة القائد مراراً وتكراراً على هذه النقطة المهمة:

«ما هو هذا الأُسلوب الجديد الذي نريد أن نتخذه وما هي وظيفته؟ وما هي واجباته ومهامّه من حيث المبدأ؟

إنّ وظيفته هي التحرك بمناهجنا الدراسية نحو التناسب مع متطلبات المجتمع الإسلامي، لا على مستوى إيران فحسب، بل على المستوى العالمي.

في الماضي عندما كان يريد أحد الأساتذة أن يبدأ درساً ما، كانوا يسألونه: من أين تريد أن تبدأ؟ فيجيب مثلاً: من بحث الخارج. فإذا سألوه: وأي درس تريد أن تلقي؟ أجاب على سبيل المثال: كتاب الصلاة. فلو سألوه: ولماذا كتاب الصلاة؟ فإنه لم يكن يجيب بأن مسائل الصلاة مسائل مهمة ولم يتوصّل إليها أحد، وأن هذا الموضوع قد بات مهملاً وأنه يستحق البحث حتى يعرف الناس كيف يؤدّون صلاتهم.

إنّ جوابه لم يكن هكذا بالتأكيد؛ لأن الناس كانوا يعرفون كيفية أداء الصلاة، ولأن العلماء كانوا قد اشتغلوا على مسائل الصلاة أكثر من أي شيء

آخر، ولأن الكثير من الرسائل والكتب الفقهية كانت قد كتبت في هذا الباب، ولأن العلماء الكبار ومجتهدي الطراز الأول وآباء الفقه ألّفوا من الكتب ما لا يجعلنا بحاجة أصلاً إلى تأليفات جديدة في هذا المجال، أي أن الداعي لم يكن هو رفع الحاجة.

وبالطبع فإنه كان هناك داع آخر، فما هو هذا الداعي الآخر؟

من الممكن أن تكون ثمة أُمور مختلفة؛ منها أنّ بوسع المرء استعراض قدراته العلمية مثلاً في باب الصلاة، أو تربية كادر من الطلبة على وجه أفضل. ومنها مثلاً أنّ الروايات والقوانين الأُصولية والقواعد كثيرة في هذا المجال، ولهذا فمن الأفضل العمل على هذا الصعيد، ولكنّ أحداً لم يكن يفكر في الحاجات أو المتطلبات.

عندما دخل نظام «التأمين» إلى هذا البلد، لم يقم أحد من الفقهاء بإلقاء درس أو إعطاء رأي حول هذا الموضوع ـ الذي يعتبر من المعاملات ـ ولم يقولوا هل هو من المعاملات، أم لا؟ وهل هو شرعي، أم غير شرعي؟ وإذا كان شرعياً فما هو الدليل، ومن أي المعاملات هو؟ وإذا لم يكن شرعياً، فما هو الدليل؟

ومنذ عشر أو عشرين سنة عندما استخدمت التعاونيات في بلدان العالم ـ ومنها إيران ـ لم يفكر أحد من الأساتذة والعلماء في هذا الموضوع، وما هي التعاونيات؟ هل هي معاملة مستقلة؟ وهل تدخل تحت أحد من عناوين المعاملات؟ وإذا كانت كذلك، فما هو هذا العنوان؟ وهل تتطابق شروط التعاونيات الموجودة مع شرائط ذلك العنوان، أم لا؟ وما الذي ينقصها؟ وما الذي يجب عمله؟

لم يفكر أحد في هذه الأُمور، بل ربما لم يكن هناك في الحوزات العلمية

من يدري أساساً بأن شيئاً اسمه «التعاونيات» سيأتي أو أنه جاء، أو أن شيئاً اسمه «التأمين» قد وفد إلينا!

إنّ الدراسة وإلقاء الدروس والشروع فيها لم تكن أُموراً خاضعة لضرورات المجتمع؛ فإنكم عندما كنتم تلتحقون بالدراسة في الحوزة ـ ولنقل بعد مرحلة السطوح ـ تجدون أنّ ذلك الأُستاذ يلقي بحثاً في التجارة والمتاجر مثلاً، وغيره في الإجارة، والآخر في النكاح، والرابع في الزكاة، والآخر في الصلاة، وهكذا.

فكنتم تحضرون دروس هذا الأُستاذ أو ذلك الأُستاذ لعدّة أيام ثم تختارون درساً بعينه، وعندما كان يسألكم أحد: لماذا اخترتم هذا الأُستاذ ـ الذي كان يلقي درساً في الخمس مثلاً ـ لم يكن جوابكم هو: أنّ الحاجة ماسّة في هذه الأيام لمسائل الخمس، وأنكم تريدون تعلّمها، بل كان الجواب هو: أنكم اخترتم حضور درس ذلك الأُستاذ لأنه محقق ومفوّه وعلى خُلق جيد ومتواضع ونوراني ومن أهل العبادة، وعلى هذا فإن الأُستاذ والطالب معاً لم يكونا يفكران في حاجة المجتمع.

لقد كان هناك مثل شائع، حيث كانوا يقولون: «إنني أُريدك أن تكتسب قوة»، فلو أعطيتك محراثاً وقلت لك مثلاً: اذهب واعمل به، فإنني لا أعني بذلك أن تذهب وتعمل بالزراعة، ولكنني أُريد منك أن تكتسب قوة عضلية!

وطبعاً فإننا كنّا نقول حينها: عندما تعطي هذا المحراث لذلك الشاب، فبدلاً من أن تقول له اذهب واضرب به في الصحراء ـ حيث لا فائدة تذكر ـ قل له اذهب واضرب به في حديقة منزلك حيث ستكون هناك فائدة، أي أنه من الممكن زرع البذور أو شتل الزهور، ومن الطبيعي أنه سيكتسب عند ذاك قوة بدنية أيضاً.

لقد كان هذا في الماضي، أما الآن فكيف يجب أن يكون الحال؟ إنّ الدراسة وإلقاء الدروس في الحوزات العلمية الآن لابدّ وأن يكون ناظراً بدقّة إلى الحاجات المطلوبة»[1].

٢ـ الحفاظ على وحدة المجتمع:

إنّ مستقبل البلاد والثورة له علاقة وثيقة بالوحدة والتضامن الاجتماعي، وعلى هذا الصعيد توجد موانع عينية وتأريخية عديدة أمام الوفاق الاجتماعي.

إنّ الأرضيات القديمة لبعض الاختلافات القومية والإقليمية وما إليها، ومصالح القوى العالمية وبعض الدول المجاورة أو مصالح المنطقة، والاختلافات الجديدة التي نشأت بعد الثورة في مجال القضايا السياسية والاقتصادية والثقافية، إضافة إلى عوامل أُخرى، تسفر كلها عن تمهيدات للتفرقة أو على الأقل عدم التضامن والتآلف؛ وهو ما يفتح المجال أمام الجهلة والمغرضين ليشعلوا فتيل المعارك، ويلهبوا نار الضغائن والخلافات.

على الحوزة ـ كما كانت في السابق من عهدها ـ أن تحافظ على الوحدة والوفاق الاجتماعي، وأن تتخذ من قولها وعملها وسيلة للتقريب بين القلوب والحيلولة دون الانفصال والانفصام، وأن تقضي على سوء التفاهم والخلافات العالقة، وأن تفتح الباب أمام التفاهم والحوار الإيجابي بدلاً من النزاع والصراع.

وللأسف، فإن اختلالاً حدث في هذا الدور التأريخي خلال العقدين الأخيرين، وباتت الحوزة أحد طرفي النزاع فضلاً عن أنها عجزت عن الحفاظ على الوحدة الوطنية.

---

(١) حديث في طلبة المعهد العالي للشهيد مطهري ١٣٦٢/٩/٣٠هـ.ش.

ومع أنّ مؤججي فتيل النزاع كان لهم حضور مشهود ومصحوب بالثناء والإطراء، إلاّ أنّ ذلك لم يكن متناغماً مع الدور التأريخي والضروري للحوزة، ولسوف يقلل من مكانتها الوطنية والتأريخية إذا ما كتبت له الديمومة والتكرار:

«إنّ كل ما يهمّنا اليوم هو السعي للحفاظ على وحدة هذا الشعب، وإنّ أدنى حركة تخلق الشقاق في أوساط الجماهير هي حركة خاطئة، وإن هذا الخطأ يقع على عاتقنا إذا كنّا نحن المسببين لهذه الحركة، وأما إذا كان الآخرون مسبِّبين لها دون أن نحول بينهم وبين ما يفعلون بالأساليب الصحيحة واللطيفة ـ حيث لا يمكن استخدام القوة دائماً لإصلاح كل شيء ـ فإن اللوم يقع علينا أيضاً، ولابد أن يقال بأننا نحن الذين ارتكبنا هذا الخطأ ولم نَحُل دون وقوعه.

إنّ هناك حالات كثيرة يجب أن تتحلى فيها الحوزة بالصبر والتحمّل والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في مقابل الجهلة والقاصرين وأحياناً في مواجهة المغرضين، وأن لا تدع مجالاً لنشوب الشقاق والنفاق والاختلافات»[1].

إنّ على الحوزة إدراك ما لها من مكانة خطيرة، فالأعداء أو المغرضون يعرفون هذه المكانة بين الأوساط الشعبية ويسعون إلى إلقائها في أتون التفرقة ثم يشعلون نار النزاعات في هذا البلد؛ وبهذا يثيرون في المؤسسة العلمائية شعور الحمية والقيام بالواجب بما يبثّونه بين عناصرها من معلومات خاطئة، فيجرونها إلى معترك النزاع والتناحر:

«إنّ العدو يأمل في النفوذ بيننا بوسيلة زرع بذور الانشقاق والاختلاف،

---

(١) حديث لدى استقبال علماء وفضلاء سبزوار ١٣٦١/٣/٣٠هـ ش.

وهذا العمل الذي يصبّون عليه جهودهم هو عمل في غاية الدقّة، فعلينـا أن لا نكتفي بالقول بأن العدو يريد إيجاد التفرقة بين صفوفنا، فنلوّح بقبضاتنا ونرفع الشعارات بأننا سنحول دونَ تحقيق العدو لأهدافه. كلا، فالعدو لديه أسـاليب وآليات محسوبة ودقيقة للغاية، مما يوجب علينا أن نكون واعين.

فعندما ينقلون إلينا خبراً عن أحد، أو يثيرون أمامنا إشـاعة عـن أحـد أو مسؤول أو مدير، أو يجسّدون صورة الواجب والتكليف الشرعي فـي عقـول البعض ويدفعونهم إلى التقوّل ببعض الأقوال أو اتخاذ بعض المواقـف، فـإن أول ما يجب أن يرد على الذهن في كل هذه الأحوال هو أنه ربما كان ذلـك من تخطيط العدو كوسيلة لإيجاد التناحر.

علينا أن نجعل الحفاظ على الوحدة مبدأً أساسياً، وإذا شـعرنا بالواجـب الشرعي ولكننا وجدنا أنّ أداء هذا الواجب من الممكن أن يثير شيئاً من البلبلة والاضطراب أو يقضي على الوحدة والتعاضد، فإنه يحرم علينا بالتأكيد القيـام بهذا الأمر الذي كنّا نتصوره تكليفاً شرعياً، وسيكون من الواجب علينا الحفاظ على الوحدة»[1].

على الحوزة أن لا تنبهر بالأقوال الخادعة؛ لأنهـا تخلـق إحـساساً كاذبـاً بالمسؤولية، ومن ثم تدفع الحوزة لاتخاذ مواقف غير لائقة والاتصاف بالحدّة والعنف في خطابها.

وعلى الحوزة أن تعلـم بـأن الأعـداء والمغرضـين لا تعـوزهم الأفكـار الشيطانية، فهـم يـسلكون طرقـاً منطقيـة وعمليـة للوصـول إلـى أهـدافهم، ويهتمّون بمحتوى أقوالهم؛ بغية التأثير والإيحاء، ويشحنونها بعناصـر تجعـل المخاطب يصدق ما يقولون وتولّد لديه الشعور بالإثارة.

---

(١) حديث في مراسم بيعة أئمة الجمعة في البلاد ١٣٦٨/٤/١٢هـ ش.

ولهذا فإن الاهتمام والعناية بمبدأ «حفظ الوحدة الاجتماعية» كأصل حاكم، من شأنه إغلاق الباب أمام الأعداء وإحباط آمالهم.

فعلى عالم الدين أن يجعل هذا الأصل محكّاً لأي شعور بالمسؤولية الاجتماعية والدينية، وأن لا يخرج بتكليفه عن هذا الإطار:

«إنّ العدو لا يصرّح بنواياه عندما يريد إيجاد الاختلاف، ولكنه يوحي إلى الأذهان بكلام يجعلها تفكر بأنه كلام منطقي في الحقيقة ولابد لها من إبداء رد فعل والقيام بالاحتجاج؛ وهذا هو ما يتطلب الوعي واليقظة، ولابد من مواجهة هذه المؤامرات»[1].

٣ـ الاهتمام بالمستضعفين :

لقد كان علماء الشيعة هم الصيحة العالية لهمسات المحرومين المكتومة؛ إنهم كانوا لسان حالهم في تاريخهم الممتد لأكثر من ألف عام، وكانوا شركاء السواعد المنهكة والمعذبة والأفواه المكممة، كما جاهدوا من أجل إحقاق حقوقهم ووقفوا في مواجهة السلاطين والاقطاعيين والأثرياء ونادوا باسترداد حقوقهم المغتصبة.

وهكذا كانت المؤسسة العلمائية ملجأً وملاذاً للمحرومين، فكانوا يقصدونها عند المصاعب ويأنسون بها في أيام العسرة والضيق، ويهرعون إليها لحل مشاكلهم، وبهذه المميزات ذاعت شهرة الحوزات الشيعية.

لقد باتت حماية المستضعفين أمراً قد انتقش على جبين تاريخ الحوزة، وصار الملمح الأبرز الذي يميّز علماء الشيعة عن غيرهم من علماء الأديان والمذاهب الأخرى:

«إنني كلّما نظرت في تاريخ الحوزة لا أجد ملجأً وملاذاً للضعفاء والفقراء

---

(١)حديث في مراسم بيعة أئمة الجمعة في البلاد ١٣٦٨/٤/١٢هـ . ش .

غير أهل العلم، اللهم إلا في حالات استثنائية، وهذه هي الحقيقة.

إنكم أنتم أنفسكم من أهل العلم، وعشتم في مدن ومناطق مختلفة، فمن هم الذين كانوا يراجعوننا أكثر من غيرهم؟ ومن هم الذين كانوا أكثر أداءً للوجوه الشرعية؟ ومن هم الذين كانوا يطلبون منّا المعونة أكثر من غيرهم؟ ومن هم الذين كانوا يشكون لنا آلامهم؟ ومن الذين كانوا يؤدّون معنا الصلاة؟ ومن الذين كانوا يشاركون في مراسم العزاء ويستمعون إلى خطبنا؟

لقد كانوا حقيقةً هم الفقراء في الغالب، أُولئك المحرومون من الناحية الاجتماعية، والذين يفتقرون إلى وجود المنزل والحياة الآمنة المستقرة.

لَكَم كنّا نتحدث في خطاباتنا حول الأثرياء الكبار وآكلي الربا والتجار الذين يبيعون بأسعار مرتفعة، فقد كان هذا هو أهم المحاور التي كنّا نتناولها ـ نحن أهل العلم ـ دائماً على المنابر، لقد كنّا نزجر المرابين والمتخمين والمسرفين والمطففين والجشعين»[1].

على الحوزة أن تسعى للحفاظ على هذه الميزة التاريخية، وأن تتمسك دائماً بشعارها المنادي بالدفاع عن المحرومين، وأن تشعر بالمسؤولية إزاء حقوقهم، وأن تثق بأن جبهة المرفّهين والمنعّمين لم ولن تؤمن أبداً بفئة علماء الدين، وأن تدرك جيداً أن المستضعفين كانوا ومازالوا قاعدتها الاجتماعية، وأن لا تنخدع برياش وبهرجة المتنعّمين، وأن لا تتخلى عن هذه القاعدة بأبخس الأثمان:

«لقد كنّا ـ نحن العلماء وطلبة العلوم الدينية ـ ملجأ وملاذ الفقراء على مرّ الزمان، فلا ينبغي أبداً أن نتخلى عن الفقراء ونصبح ملجأً وملاذاً للأغنياء، فالمؤسسة العلمائية لابد أن تكون ملاذاً للمظلومين»[2].

---

(١) حديث في الندوة السادسة لأئمة جمعة طهران ١٣٦٣/٣/٢هـ.ش.

(٢) حديث لدى استقبال علماء وفضلاء قاين ١٣٦٦/١/٣هـ.ش.

إنّ المؤامرة جادة على ما يبدو في أنّ بعض التجمّعات تسعى لتجريد الحوزة من هذا الشعار وسلبه منها، وابتداع التصور بأن علماء الدين يتربّعون على أريكة السلطة وعرش الأثرياء، وأنهم على وفاق معهم، ويجلسون إلى مائدة نعمائهم، وأنهم حلاّلو مشاكلهم، وأنهم جلساء الأغنياء ورفاقهم في محافل الأنس، وأنهم شركاء قافلة اللصوص!

إنّ هذه الصورة لن تظهر فجأة في يوم واحد، ولكن بالتدريج، فتنتقش في أفئدة المحرومين، وتسلبهم الثقة، وتستحوذ على هذه القاعدة العظيمة والقيّمة وتستخلصها من أيدي الحوزة.

ولمواجهة هذا الحدث ـ الذي ظهرت آثاره منذ الآن ـ يجب على الحوزة إبداء المزيد من اليقظة، والنظر بعين الاعتبار في أقوالها وأفعالها إلى شعار الدفاع عن المحرومين، وأن تعتبر مجالسة الأثرياء رذيلة، ومصاحبة المستضعفين فخراً، كما كان ديدنها في الماضي:

«إنّ الحوزة، وكما تعلمون، هي دائماً ملجأ وملاذ المستضعفين، ولقد كانت الحوزات العلمية ومازالت تعيش على نفقات هؤلاء المستضعفين.

إنّ أولئك الذين كانوا يراجعوننا، والذين كانوا يقبلون بنا، والذين كانوا يلقون إلينا بالمودة، والذين كانوا يصلّون خلفنا، والذين كانوا يجلسون إلى منابرنا، كانوا غالباً من الفئات المتوسطة والضعيفة. وأما العملاء، وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة، والذين كانوا لا يفكرون إلاّ في دنياهم وجيوبهم، فإنهم لم يكونوا يلتفّون حولنا ولا يقتربون منّا.

واليوم فإن علينا أيضاً أن نتحلى بنفس تلك الخصائص. إنّ شعار مناصرة المستضعفين كان هو شعار العلماء والحوزويين، ولابد أن يظل شعاراً لهم الآن أيضاً»[1].

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ ش.

على الحوزة أن لا تتخلى عن راية وشعار الدفاع عن المستضعفين، وأن تحذر من أن يسلبها الآخرون هذا اللواء المقدس.

إنّ الجهات التي تمارس السياسات الملوثة بانتظار أن يسقط هذا اللواء من أيدي الحوزويين فتتلقفه وترفعه عالياً، متصورة أنها أصبحت تقود المحرومين.

فعلى الحوزة أن تتحلى بالوعي، وأن تحافظ على هذا الشعار التاريخي، وأن لا تفكر بأن الدفاع عن حقوق المستضعفين هو شعار قد انقضى زمانه، وأن لا تظنّ بأن عهده قد ولّى.

فعلى الحوزويين أن يأخذوا شعار العدالة والدفاع عن المحرومين مأخذ الجد، وأن يتحدثوا عنه، وأن يسعوا إلى تحقيقه، وأن يكونوا الناطق باسم المستضعفين، مع النظر بعين الاعتبار إلى ما يوجد من نقص طبيعي وما تبذله الحكومة من جهود.

وعلى ضوء أجواء أصحاب الخطوط في مرحلة الحرب المفروضة، يركز سماحة القائد على بعض النقاط، ومع وجود بعض الفروق فيما يخصّ أسباب ومصاديق هذا الحديث، إلاّ أنه مازال يبدو جاداً وأساسياً:

«إنّ البعض يريدون ترسيخ الاعتقاد بأن أهل العلم والحوزويين لا يرغبون في إثارة قضايا المستضعفين، وأن التنظيمات والشباب وطلبة الجامعات هم الذين يتابعون القضايا المتعلقة بالمستضعفين ويعبّرون عن آرائهم فيها.

ولعل بعض أهل العلم أيضاً قد صدقوا ذلك، أي تصوروا أننا لا يجب أن نتحدث حول قضايا المستضعفين، حتى لا يتم استغلالها من أحد، وعليه فلا ينبغي أن يرفع أحد هذه الشعارات التي نرفعها نحن من أجل المستضعفين ويستغلها في سبيل رفع شعارات أُخرى حادة أو منحرفة أو متطرفة.

لقد قلت هذا الكلام عدة مرات في محافل أهل العلم ـ ومن الضروري أن أردده هنا أيضاً ـ وهو: أنّ هذه الشعارات المتعلقة بالمستضعفين وأهالي القرى المحرومين، والعمال المحرومين، والفئات الضعيفة في المدن، وسوى ذلك من أنواع الفقر والحرمان، هي شعارات متعلقة أساساً بأهل العلم والحوزويين.

على أهل العلم أن لا ينسوا شعارات الثورة، وأن يداوموا على ترديدها، لا من باب التظاهر بها، بل من حيث الواقع والحقيقة.

الحقيقة هي علينا أن نعمل الآن على إنقاذ المحرومين والرقي بمستوى معيشتهم، ونجاة الفئات الفقيرة في المجتمع مما تعانيه من ضعف مادي.

إنّ مشاكل السكن، والزراعة، والهجرة، والغلاء، والتوزيع وسواها تلقي بثقلها على الناس، فيجب علينا أن نرفع شعار ذلك حتى تجد هذه المشاكل طريقها إلى الحل، سواء كنّا مسؤولين في الحكومة أم لا»[1].

إنّ انفصال الحوزة عن المستضعفين إضعاف لكلا الجبهتين؛ حيث إنه يعزل الحوزة عن قاعدتها العريضة والتاريخية، ويسلبها الدفاع عنهم. كما أنّ الحوزات الدينية ستواجه عقبات في تحكيم مُثُلها الدينية وستفقد الحامي والنصير، وبفقدان الحوزة لجبهة المستضعفين فإنها لن تجد فئة أُخرى بديلة تقف بجانبها.

إنّ جبهة الموسرين ترفل في الرفاهية، بحيث إنها تبحث عن طريق الهرب والحياة في وقت الشدة، ولا ترى لها مكاناً بجوار الحوزويين. كما أنهم، ولأسباب تاريخية وعينية، لا يأنسون بالحوزويين ويشعرون إزاءهم بغيظ باطني.

---

(١) حديث في الندوة السادسة لأئمة جمعة طهران ١٣٦٣/٣/٢هـ.ش.

مع أنّ المترفين قد باتوا اليوم يتحمّلون الحوزويين إلى حدّ ما، ويبدون لهم شيئاً من المرونة؛ وذلك حفاظاً على مصالحهم، إلا أنهم ليسوا مخلصين أبداً في الباطن.

ومن ناحية أُخرى، فإن ابتعاد الحوزويين عن المستضعفين يوجد خللاً في جبهة المحرومين، ويضاعف من مشاكلهم، ويساعد على اتّساع وبقاء الفقر والحرمان. وبإلقاء نظرة على تاريخ هذا البلد فإننا لا نستطيع أن نجد أي شخص أو تجمع سياسي واجتماعي كشبكة الحوزويين الواسعة والمؤثرة يستطيع هكذا الدفاع عن حقوق المحرومين والتحدث بإسمهم:

«إنّ كل من يحاول الفصل بين العلماء والمستضعفين يكون قد ارتكب خيانة في حقهما معاً، وكل من يحاول سلب العلماء والحوزويين الشعارات الأصلية والأساسية للإسلام والثورة ـ وهي شعارات الدفاع عن المحرومين والمستضعفين والأقلية المظلومة، والتي اشتهرت في كافة أنحاء بلدنا وجميع بلدان العالم الثالث ـ يكون قد ارتكب خيانة مؤكدة بحق هذه الشعارات وحق العلماء»[1].

٤ ـ التربية المعنوية:

على الحوزويين العمل على الارتقاء بالمستوى المعنوي للمجتمع بشكل جاد، وأن يعتبروا أنفسهم مسؤولين إزاء ذلك.

ولا شك أنّ الثورة الإسلامية قد قامت على ضوء تغيرّات المشاعر والقلوب، وإذا لم ينضج ويتكامل هذا التحوّل، وإذا ما عاد القهقرى في بعض الأحيان، فإن ديمومة الثورة سيكون عرضة للأزمات، وسيكون مستقبل الثورة الإيرانية شبيهاً بمستقبل العديد من الثورات الكبيرة والصغيرة في العالم:

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ.ش.

«لقد عاش الناس في أول الأمر ثورة روحية والحمد لله، فكانت حركة مهمة جداً ولها آثار تشاهدونها الآن. وإذا لم يتواصل هذا الذي حدث ويتعمق ويتّسع ليشمل هذا الجيل والأجيال القادمة، وإذا كنا دعاة للإسلام والحاكمية الدينية بالاسم فقط ـ لا قدر الله ـ ولكن واقع الأمر وحياة الناس كانت شيئاً آخر، فإن هذه الثورة بالتأكيد لم ولن تكون ناجحة؛ فنستعيذ بالله من حدوث مثل هذا الأمر»[1].

إنّ هذا الواجب يعتبر مضاعفاً، ولاسيّما فيما يخصّ جيل الشباب في البلاد، وإلى ذلك يشير سماحة القائد، حيث يضيف قائلاً:

«على كافة الأجهزة والأفراد، وخصوصاً العلماء الأعلام والحوزويين، أن يعملوا بجدّ على تربية نفوس الجماهير وتحقيق الثورة القلبية والأخلاقية في باطنهم، ولاسيّما الشباب»[2].

إنّ لدى جيل الشباب في هذا البلد ـ وإن بدا مستعداً لتقبّل الفساد ـ استعداداً أكبر للثورة المعنوية والروحية، وقد أظهرت تجربة الحرب جيداً كيف أنّ هذا الجيل قد نما واستقام عوده وسط أعاصير المعارك، وكيف أنه ترعرع في لهيب الحرب.

إنّ الآلاف المؤلفة من الشباب نالوا درجة معنوية مثيرة للغبطة، وفتحوا قلل الكرامة الروحية السامقة:

«إنّ مرحلة الحرب والظروف الخاصة لتلك الأيام أحدثت ثورة معنوية وحقيقية في نفوس الكثيرين من شباب هذا البلد، ولقد نصح الإمام قدس سره بمطالعة وصايا الشهداء؛ لأن كل واحدة منها تعبّر عن ثورة ذاتية لدى صاحبها.

(١) حديث لدى استقبال أعضاء مجلس الخبراء ١٣٦٩/١٢/١هـ ش .

(٢)حديث لدى استقبال أعضاء مجلس الخبراء ١٣٦٩/١٢/١هـ ش .

إنّ الإنسان عندما يقرأ وصية من هذه الوصايا أو ذكرى من الذكريات التي تركها هؤلاء الشباب، فإنه يجد نفسه أمام ثورة منفردة لكل شخص تُحدث التغيير وتعطي الدروس والعبر.

فعلينا نشر هذه الحالة وتعميمها، وهو أمر ممكن، وحتى لو لم يكن ذلك ممكناً في عموم أفراد المجتمع، فإنه ممكن في الغالبية العظمى»[١].

على الحوزة إبداء الشعور بالحساسية إزاء المنكرات الاجتماعية، وبذل مجهود إرشادي وثقافي بهدف التنقية الاجتماعية؛ وذلك لأن هناك حركة واسعة ومنظمة في طريقها إلى نشر الفساد والمنكرات في المجتمع، وخصوصاً في أوساط الشباب:

«إنّ هناك أيادي تسعى جاهدة اليوم لنشر الفساد بطرق خفية ـ وليس بشكل تستطيعون مشاهدته وفهمه في الشوارع ـ وهي تعمل بشكل جماعات منتظمة يقودها العدو على نشر الفساد بين الشباب، وجرّ الفتيان والفتيات للسقوط في هاوية الرذيلة واللامبالاة»[٢].

إنّ مواجهة هذه المحاولات تتطلب تعبئة ثقافية من قِبَل الحوزة والعلماء، فعلى الجهاز الحوزوي ـ بصفته أكثر التنظيمات أصالة في رعاية معنويات المجتمع ـ أن يهبّ إلى مجابهة معقولة ضد الفساد والمنكرات، وأن يتوصّل إلى حلول مناسبة للقضاء على تيار الفساد أو الحدّ من تدفّقه، وأن ينهض لتنفيذ ذلك عن طريق بذل الجهود العاجلة والشاملة:

«في عام ٥٨ هـ ش «١٩٧٩م» ـ لو كنتم تتذكرون ـ اجتمع أمام رئاسة الوزراء حشد من غير المحجبات، وقمن باحتجاج وضجة صاخبة، فأقدمت

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث لدى استقبال الفضلاء وأئمة الجماعة والمبلغين من محافظة طهران ١٣٧١/٥/٧هـ.ش.

مؤسسة الإذاعة والتلفزيون على إجراء بعض المقابلات، فتحدث أحد الأشخاص وكان حديثه بليغاً، وإنني لا أنسى كيف أن حديثه في استنكار السفور ترك آثاراً لا تعدّ ولا تحصى في أذهان الناس.

وطبعاً فإن السفور في ذلك الوقت كان له مفهوم آخر، كما كان يطرح في إطار آخر أيضاً، حيث كان السفور بمعناه الشامل مطروحاً آنذاك. وقصدي هو القيام بتوضيح الأمور للجماهير، فعندما نقوم بذلك فإنه يترك أثره في الأذهان بالتأكيد.

ربما لا يعرف البعض حقيقة الموضوع، فلماذا نقوم نحن مثلاً بالاحتجاج على امرأة أبرزت شعرها، أو ارتدت ملابس غير محتشمة، أو على شاب يرتدي ملابس «هبيَّة»؟ سيقولون إنه شاب، دعوه يفعل ما يريد، فما هي المشكلة؟!

إنه لا يدري ما الذي نقوم بمقاومته، وما الذي نقوم بمناهضته، فهذا ما يجب توضيحه للناس»[1].

٥ ـ تربية الطاقات الموهوبة:

على الحوزة ـ وكما هو شأن المؤسسات التعليمية ـ أن توفر الطاقات التي يحتاجها المجتمع وتمنحها الإمكانيات اللازمة لأداء مهمتها، كما يجب على الحوزة أن تخطط لنظامها التعليمي بحيث يسدّ متطلبات المجتمع من الأعمال الضرورية، وبحيث لا يدار المجتمع عن طريق الكوادر الضعيفة والمفتقرة للكفاءة.

إنّ مسؤولية الحوزة في تربية الطاقات المفيدة تبدو أكثر جسامة ومبدئية بعد انتصار الثورة، فمن جهة نجد أنه قد تضاعفت من حيث الكم مشاغل

---

(١) حديث لدى استقبال رابطة المبلغين في طهران ١٣٦٥/٢/١٤هـ ش.

الحوزة الاجتماعية؛ فبالإضافة إلى المساجد والمنابر، أصبحت المناصب القضائية المتعددة، والأعمال الإدارية والتبليغية والتعليمية في متناول الحوزة، ولابد لها من تربية العناصر المفيدة والمناسبة للقيام بكافة هذه المهام.

ومن جهة أُخرى، فإن عدداً كبيراً من هذه الأعمال يتمتع بأهمية خاصة ويتطلب عناصر جيدة ومجربة. ومع أن مسؤوليات الحوزة كانت حساسة على الدوام؛ نظراً لارتباطها بدين الجماهير، إلاّ أنها لم تكن حساسة بهذه الدرجة بالتأكيد، فإن بعض المهام الاجتماعية للحوزة قبل الثورة ـ من قبيل المرجعية وغيرها ـ كانت تتمتع بأهمية خاصة، وأما الآن فقد صارت غالبية المسؤوليات التي تقع على كاهل الحوزويين والعلماء جادة ومهمة.

وأما النقطة الثالثة فهي: أنّ الخواص والعوام وجّهوا أنظارهم نحو عمل الحوزويين، فهم يقيّمون كفاءاتهم، وينتقدون بشدّة ما لديهم من نقاط ضعف وقوة، ويتخذون من عدم كفاءة خريجي الحوزات دليلاً على عدم كفاءة وقدرة المؤسسة الحوزوية على تولّي الإدارة الاجتماعية.

إنّ الملاحظات السالفة الذكر توجب على الحوزة أن تعكف بنظرة أكثر مسؤولية على تربية المدراء الاجتماعيين، وأن تدرس بدقة وعناية نشاطات الحوزة الاجتماعية، وأن تربّي كادراً حوزوياً يلبّي حاجات المجتمع، وأن تضع المعلومات والمهارات اللازمة تحت تصرف هذا الكادر، وأن تعدّه إعداداً جيداً لتحمّل المسؤوليات الاجتماعية:

«إنّ هناك شيئاً آخر يجب تأكيده هنا، وهو دور الحوزة ـ فيما عدا الأبعاد الثقافية ـ في إدارة المجتمع؛ فإننا يجب أن لا نتجاهل الدور السياسي للحوزة والشخصيات الحوزوية في إدارة المجتمع، فهذا أمر مهم، فعليكم أن تربّوا وتنشّئوا وتعدّوا قادة الثورة والبلاد القادمين في الحوزة العلمية، ومنهم رؤساء الجمهورية والوزراء ونواب البرلمان والمنظّرين السياسيين.

وكما تلاحظون، فإننا بعد انتصار الثورة نجد أن دور ونصيب المعممين وخريجي الحوزة ـ باستثناء شخصية الإمام العظيم الفريدة، فهو لا يعادله أحد ـ في إدارة الثورة وتحمّل مسؤولياتها، سواء القانونية والقضائية أو التنفيذية أو السياسية، كان على الأقل مساوياً لدور غير الحوزويين إن لم نقل كان أكبر وأعظم.

إنهم خريجو ما قبل الثورة، وكما يقول البستاني القديم: زرعوا فأكلنا، ونزرع فيأكلون.

فماذا فعلت الحوزة في هذا المجال، وماذا ستفعل؟ لقد بذلت الحوزة جهوداً محمودة على هذا الصعيد، وهو ما لا يمكن إنكاره، ولكنه بالتأكيد أقل مما كان يجب عليها أن تعمله»[1].

٦ـ مواكبة المصالح الوطنية:

لقد كانت الحوزة دائماً شعبية وجماهيرية، فعاشت مشاكل الجماهير، وسعت في حلّها، وأبدت اهتماماً إزاء المصالح الوطنية والمنافع الشعبية، وجاهدت في سبيلها، فيجب أن يظل هذا الدور التاريخي للحوزة محفوظاً:

«إنّ واجبنا الذي نشارك فيه العلماء السابقين هو واجب الكفاح من أجل الجماهير، هذا الواجب سيظل قائماً وإن لم تكن قد انتصرت الثورة.

لقد كان علماؤنا دائماً يعملون ويجدّون من أجل الجماهير، كان علماؤنا دائماً مشهورين بهذه الصفة، فمن الذي وقف في وجه البريطانيين عندما قاموا بإنزال قوّاتهم في بوشهر في عهد محمد شاه القاجاري بسبب ممارسته الضغوط على هرات؟ إنهم أمثال «رئيس علي»[*].

---

(١) حديث لدى استقبال ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

(*) أحد قادة المقاومة الشعبية في ايران، من الذين تصدوا للإستعمار البريطاني.

لقد كان العلماء هم الذين أصدروا فتوى للشعب وأوضحوا الأُمور للجماهير، وقاموا بتشجيعهم وتحريضهم وأثاروا فيهم روح الحماسة والقوة. فهل كان هناك من وقف بوجه المستكبرين والمتجبرين سوى العلماء؟ إنّ هذا هو واجبنا الذي لا يسقط، والذي ينبغي لنا دائماً الحفاظ عليه»[1].

إنّ التناسق مع المصالح الوطنية يوجب على الحوزة أن تكون حاضرة في الصف الأول في القضايا المتعلقة بمصالح المجتمع، وأن تكون في طليعة الصفوف في المشاركة السياسية والدفاع الوطني والحوادث الطارئة وما إلى ذلك:

«على الحوزة العلمية أن تكون في الصف الأول للحركة الاجتماعية العظيمة. وكما تلاحظون، فإن مراجعنا الكبار، سواء في عهد الإمام ﵀ أو فيما تلاه وحتى الآن، كالمرحوم آية الله العظمى الكلبايكاني، والمرحوم آية الله العظمى النجفي، واليوم أيضاً آية الله العظمى الأراكي (حفظه الله وأدام الله بقاءه الشريف ورحمهم الله)، كانوا دائماً في الصف الأول.

لقد كانوا دائماً في الطليعة عند كل حادثة مهمة في المجتمع، ففي أيام الانتخابات كان المرحوم السيد الگلبايگاني والمرحوم السيد المرعشي من أوائل الذين يدلون بأصواتهم في الصباح الباكر.

إنّ مثل هذه الأُمور هي رمزية، فمن الممكن مثلاً الإدلاء بالصوت عصراً، ولكنهم كانوا يدلون بأصواتهم صباحاً، وهكذا كان مراجع قم.

إنّ العلماء الكبار كانوا دائماً في الصف الأول وفي طليعة الجماهير في الأُمور الأساسية، وفي الحرب، وفي حضور الجبهات، وتشجيع الجماهير على الالتحاق بالجبهات، وفي القضايا الاقتصادية وسواها»[2].

---

(١) حديث لدى استقبال علماء وفضلاء محافظة بوشهر ١٣٧٠/١٠/١١هـ ش.

(٢) حديث في بداية بحث الخارج في الفقه ١٣٧٣/٦/٢١هـ ش.

الآفات والأخطار

١ـ الانفصال عن الجماهير:

لقد كانت الحوزة ومازالت تشارك الجماهير مشاعرهم في وقت الشدة، وهذه علاقة كريمة وحميمة لا ينبغي أن تضعف أو تشوبها شائبة.

إنّ حالة التآلف والتعاطف ومعايشة الجماهير يجب أن لا تتحوّل إلى علاقة فئة حاكمة وطبقة عادية، أو أن ينطبع عنها مثل هذا التصور في الأذهان:

«على الحوزويين أن يعيشوا مع الجماهير؛ إنهم كالسمكة التي تعيش في الماء، ماء بحر الجماهير العظيم والمتلاطم الأمواج، فينبغي أن لا يخرجونا من مائنا ويبعدونا عن ذلك البحر العظيم المتلاطم الذي يجب علينا أن نعوم فيه، وإنهم إن فعلوا ذلك فلن يبقى لنا وجود أو كرامة»(١).

إنّ العلماء ـ في سدّة الحكم ـ معرّضون لخطر الانفصال عن الجماهير، وأن تكون الحجب الصورية سبباً في إيجاد الحجب المعنوية، وأن تشكل التحفظات والحواجز سدّاً يحول بين النفوس والأجسام ويفرق بين القلوب.

إنّ تآمر الأعداء على المسؤولين الدينيين كان ومازال سبباً في إيجاد خسارة طبيعية تتمثل في الحيلولة بينهم وبين الجماهير، وتمنع من وجود علاقة حرة بين الطرفين:

«إنّ إحدى نقاط الضعف التي يمكن أن تشكّل خطراً علينا اليوم هي حدوث هوّة بيننا وبين الجماهير. فالمسؤولون، وبحكم الضرورات والظروف، لا يستطيعون تلبية رغبة الناس في الحياة معهم وبالقرب منهم كما كانت عادتهم على الدوام. ومع أنّ ذلك خلاف ما يرغبون، إلا أنهم مضطرون إلى

---

(١) حديث لدى استقبال أعضاء مكتب الإعلام الإسلامي التابع لحوزة قم العلمية ١٣٦١/١/١١هـ.ش.

الابتعاد قليلاً عن الجماهير بسبب تفرّغهم لأداء ما عليهم من مسؤوليات. وهذا للأسف هو بعض ما تكبّدناه من أضرار.

إننا نودّ أن نكون مع الناس، فلقد كنّا نستمع دائماً إلى ما يقولون من ألسنتهم مباشرة وبلا وسيط، كما كنا نتحدث إليهم أيضاً مباشرة وبلا وسيط.

فإذا لم نستطع اليوم أن نعيش مع الجماهير كما تعوّدنا، فلسوف يكون ذلك من دواعي الأسف بالنسبة لنا، ولكن هذا هو الوضع الذي فرضه أعداء الإسلام والثورة علينا وعلى الجماهير»[1].

٢ـ الرفاهية والارستقراطية:

لقد أصبح للحوزويين حرمة بين الناس؛ بسبب حياتهم البسيطة الخالية عن التجمّلات، وبهذا حققوا لأنفسهم قدراً ومنزلة ودخلوا إلى قلوب الجماهير.

إنّ عظمتهم المعنوية في قلوب الناس لم تكن نابعة عن حياة الترف والارستقراطية، وإن حرمتهم لم تكن ناشئة عن المظاهر المبهرة ورياش المسكن المشيّد والمركب الفخم، وإنما كانت حياتهم العادية والزاهدة هي التي جذبت إليهم القلوب وحببت فيهم النفوس.

وإذا ما حاد الحوزويون عن هذا الطريق وجانبوا هذه السنّة وانشغلوا بالمال وزخارف المادة، واختاروا حياة الترف والرفاهية وسقطوا في شباك التجمّلات والزينة، ونشأت فئة جديدة من الأشراف والنبلاء، فإنهم سيسقطون لا محالة من أنظار الجماهير وسيخرجون من قلوب الناس، وستضيع هدراً المكانة التاريخية للعلماء الشيعة:

«إنّ جمال السرو في عدم تجمّله، وجمالنا في عدم تجمّلنا. إنّ محبوبية

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ ش.

العلمـاء وشـعبيتهم ليـست فـي تجمّلهـم وظهـورهم بمظهـر الأشـراف والارستقراطيين، بل في بـساطتهم وتجنّـبهم للمظـاهر، وإنّ تجمّـل العلمـاء وظهورهم بمظهر الارستقراطيين لمما يجلب الضرر عليهم.

إنّ التلوث ببعض التجمّلات والمظاهر الموجودة في الحياة العادية للناس هو أمر طبيعي، ولكنه يضرّ بالعلماء؛ فطلبة العلوم الدينية والعلمـاء لابـد وأن يكونوا بسطاء، وإن مظهر بساطة العلماء هو بساطة حياة طلبة العلم»[1].

٣ـ التعالي على الناس:

لقد كان الحوزويون دائماً يعتبرون أنفسهم خدماً للناس، وكانوا يضحّون براحتهم بكل سرور من أجل حلّ مشاكلهم، وكانوا لا يتذوّقون طعم الفـراغ دون التوصّل إلى حلّها:

«عندما كنت في مشهد، كان جمع من الناس وخصوصاً الشباب يترددون عليّ باستمرار، وكان يحدث أحياناً أن يدقّ بابي شـاب فـي منتـصف الليـل ـ في الساعة الحادية عشرة أو الثانية عشرة ـ من أجل حاجة أو حل إحـدى المشاكل، فكـان بـابي مفتوحـاً أمـامهم دائمـاً، وكنـت أذهـب لاسـتقبالهم عند الباب.

إننا لم يكن لدينا الكثير من الوقت، ولم نكن نعرف معنى للنوم ولا طعماً للراحة، وهكذا كان الحوزويون جميعاً»[2].

إنّ الأنظار اليوم موجّهة إلى الحـوزويين؛ بـسبب وجـودهم علـى سـدّة السلطة، وإن الناس يدركون كل تغيرّ فـي أخلاقهـم وسـلوكهم، فينـصرفون عنهم وينفضّون من حولهم؛ بسبب التغيّـر فـي مـواقفهم وتـصرفاتهم. فهـم

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٢) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ ش .

يتوقّعون منهم أن يكونوا متواضعين وشعبيين كما كانوا في الماضي، فيعيشون بين الجماهير ويشاطرونهم مشاعرهم ويتحدثون إليهم، ويستمعون منهم ويحلّون مشاكلهم:

«إنه من الممكن أن نتعامل اليوم بتعالٍ مع الناس، ولكن هذا سيكون داءً سيئاً لو فعلناه، فعلينا أن نحاول عدم التعامل بتعالٍ مع الناس، وأن نعتبر أننا مازلنا خدماً وأوفياء لهم، وأننا مازلنا نعمل من أجل راحتهم وهدايتهم، وأن نبذل كل ما لدينا في سبيل ذلك»[1].

٤ـ الحراسة المشددة:

لقد أوجدت ظروف الثورة والحرب والاغتيالات بعض الحجب بالنسبة لعدد من المسؤولين الحوزويين، وإنّ الناس تقبلّوا ذلك وفهموه، ولكن هناك خشية من أن يختلط الحفاظ على النفس بالتظاهر والرسميات، فتنشأ عن ذلك مغالطة خفية، مما يؤدي إلى التكتلات، ومن ثم الظهور بمظهر الحياة الرغيدة والفاخرة على أقل تقدير:

«إننا نعتقد بأن بعض هذه الحراسات المشددة الموجودة في عدد من المدن هي أمر غير ضروري، بل إنها ليست مطلوبة أساساً في بعض الأماكن.

إنّ هذا يجعل إمام الجمعة بعيداً عن الجماهير، ويظهره على أنه شخص معرّض للخطر ولابدّ له من الحراسة حفاظاً على حياته.

إنني لا أقول بتجاهل الخطورة إذا كانت هناك خطورة حقيقية، فمن المؤكد أنه لابد من الحفاظ على حياة السادة الأعزاء، ولكن المهم هو عدم المبالغة في هذا الموضوع.

من الضروري أن نكون واقعيين، ولا ينبغي اتخاذ سلسلة من الاجراءات

---

(١) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ ش .

الاستثنائية ما لم نتحقق من وجود خطر محتمل. إنّ الحراسة مقبولة بالقدر اللازم، والأمور تقدّر بقدرها، وينبغي التعامل مع هذه القضية بهذا الشكل لا أكثر»[1].

٥ـ الإنسياق وراء الآخرين:

على عالم الدين أن يعمل طبقاً لمعرفته وتكليفه، وأن لا تسوقه الشعبية إلى الإسفاف ومسايرة الأمور، وأن لا تجرفه التيارات والأمواج المختلفة، وأن لا يكون تابعاً لميول وأهواء الآخرين تتلاعب به كيفما تشاء، وأن لا يتنكب الطريق الصحيح، وأن يعرف مسؤوليته ويتصرف بناءً عليها:

«عندما نركز على تجاوب قلوب الشباب وعواطفهم معنا، فلا يعني ذلك أن ننفّذ كل ما يقولون، فأنا لا أنصح بذلك أبداً.

إنّ الشباب عناصر مخلصة ومؤمنة ورقيقة المشاعر، وعلينا أن نحافظ على حبّهم وصفائهم وإيمانهم، ولكن هذا لا يعني أن تنفّذوا رغباتهم فيما ليس لهم به خبرة ومعرفة، فلربما كانت نظرتهم غير صحيحة في أمر خبرتموه وتخصصتم فيه.

وللأسف فإننا نشاهد حالات من هذا القبيل؛ مما يدل على أنّ البعض ينساقون خلف الأجواء ويركبون الموجة ويرددون ما يقوله الآخرون؛ بل ويستشعرونه أحياناً، وهذا بلاء عظيم. إنّ الأجواء الضاغطة فيما يخص الفكر والعقيدة والأذواق لا ينبغي أن تؤثر على عقولكم وأذواقكم الصحيحة.

إنّ الطرد والرفض والممانعة والصد والإعراض ليست بالأمور الجيدة، ونحن نرفض ذلك، ولكننا نرفض أيضاً أن يعطي أحد العلماء رأياً مخالفاً

---

(١) حديث في مراسم بيعة أئمة الجمعة من كافة أنحاء البلاد ١٣٦٨/٤/١٢هـ ش.

لتشخيصه ومبناه الفقهي وفتاواه، أو مخالفاً لفتوى مرجع تقليده، أو مخالفاً لما يُعتبر من المسلّمات بالنسبة لـه؛ فهذه معصية لن يغفرها الله ولن يعفـو عنهـا يقيناً»[1].



(١) حديث في جمع من علماء وفضلاء مازندران ١٣٦٣/٢/١٧ هـ. ش.

المقالة الرابعة

الحوزة والسياسة

- ضرورة الفهم والعمل السياسي
- أثر الفهم السياسي في الفقاهة
- آفاق الفهم السياسي
- طرق وأساليب
- آفات فقدان الوعي السياسي
- الألاعيب السياسية في الحوزة

كانت الحوزة غريبة عن السياسة قبل الثورة، ورغم حضورها في الأزمات الاجتماعية إلا أنها كانت غائبة عن السياسة في مرحلة الفتور؛ فالفهم السياسي لم يكن عميقاً، والعمل السياسي كان ضد القيم أو لم تكن له قيمة تذكر على الأقل:

«لقد مرّ عهد على هذه البلاد لم تكن الحوزة فيه تعلم شيئاً عما يدور حولها من أحداث متتابعة؛ فلم يكن أحد من الطلبة في مدينة قم يملك مذياعاً إلا القليل النادر... لم يكن هناك من يستمع إلى الإذاعة... لم يكن أحد يقرأ الصحف، حتى إن الطلبة المنفتحين في ذلك الوقت لم يكونوا يقرأون سوى العناوين الطويلة في الصحف التي كان البقالون يعلّقونها على واجهات محلّاتهم، وذلك في وقت الفراغ فقط أو لدى عودتهم من الدراسة في الحوزة، حيث كان الطلبة المتفوقون ينظرون نظرة متدنّية إلى ذلك الطالب الذي يطالع الصحف، وكانوا يعتبرون ذلك عملاً منافياً للأخلاق والفضيلة!»[1].

إنّ فقدان المعرفة السياسية كان أمراً شائعاً ومنتشراً يتساوى فيه الكبير والصغير، حتى إنّ بعض العلماء البارزين ذوي الزهد والأخلاق الفاضلة لم يكونوا يعلمون شيئاً عن أوليات ومبادئ الفهم السياسي. وهذا الافتقار إلى المعرفة السياسية أدّى بدوره إلى سوء الفهم وانحراف الذوق السياسي، وكان سبباً في جهل العلماء ببديهيات المعادلات السياسية وتخلّفهم عن الإلمام بها.

---

(١) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب المدارس العلمية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

وقد أشار سماحة القائد إلى إحدى الذكريات عدة مرات، معتبراً إيّاها من ذكريات الحوزة في تلك الأيام:

«إنّ الأدهى من كل شيء هو أن الحوزات العلمية كانت لا تعلم شيئاً عن القضايا السياسية والاجتماعية، ففي عام ٤٢هـ ش [١٩٦٣م] سافرت من قم إلى مشهد، وكان سماحة الإمام قد بعث معي عدد من الرسائل إلى علماء الأقاليم، وبثلاث رسائل إلى بعض علماء مشهد، وكانت إحدى هذه الرسائل خاصة والأخريان عموميتين.

كانت واحدة من هاتين الرسالتين العموميتين تتعلق بإسرائيل، وقال لي الإمام: أخبر علماء مشهد بأن إسرائيل لديها خطط للسيطرة الاقتصادية على إيران، وأن السياسة الإسرائيلية تطمح إلى وضع إيران تحت نفوذها وإخضاعها لسيطرتها.

واليوم تجدون أنه من الوضوح بمكان حتى لأصغركم سنّاً، كيف أن إسرائيل كانت في ذلك الحين تعلّق آمالاً عريضة على النظام الإيراني، فقد ضرب العرب حصاراً نضالياً على إسرائيل، وأراد الاستكبار العالمي فرض حصار أوسع لصالحه على ذلك الحصار، وكانت إيران وتركيا وأثيوبيا تمثل أهم حلقات الحصار الاستكباري.

لقد كانت هذه هي رسالة الإمام في تلك الأيام، مما يدل على إدراكه لهذه القضية بما عنده من بُعد نظر وسعة أفق في عام ٤٢هـ ش [١٩٦٣م]. فكان من الواجب على الحوزات العلمية أن تتحرك لكي تفهم كيف أنّ النظام الإيراني البائد كان يعمل لخدمة إسرائيل واليهود والصهيونية.

لقد حملت تلك الرسالة إلى مشهد، وذهبت إلى أحد العلماء المعروفين في حوزتها حينذاك، وأخبرته بما قال سماحة الإمام، وأن إسرائيل تسعى إلى

تحقيق تلك الأهداف، فتعجب ذلك العالم وتساءل بدهشة: إسرائيل؟! وما هو الدليل على ذلك؟ وكيف عَلِم الإمام بذلك؟! وجرى بيننا بحث ونقاش وهو مصرّ على أن إسرائيل ليست لديها مثل هذه الأهداف! وبالطبع فإنني لم أكن أحمل وثيقة تدل على أن إسرائيل تتعاون مع النظام الإيراني.

إنّ مثل هذه الأُمور بحاجة إلى وعي سياسي، ولكن أحداً لم يكن يفكر في تلك الأيام فيما تفعل إسرائيل بهذا البلد، وإلا لحدثت حركة مناهضة.

إنّ هذا السيد والمئات من أمثاله كانوا في الحوزات العلمية ولم يكونوا يعلمون شيئاً عن مثل هذه الأُمور»[1].

لقد تركت ظاهرة الثورة آثارها على النسيج الاجتماعي، ومن ذلك أنها طوّرت الحوزة على أصعدتها المختلفة. ويتمثل أحد النماذج البارزة من هذا التطور في إقبال الحوزة على الوعي والعمل السياسي؛ فالحوزة في عهد الثورة لم تكتف بمجرد اعتبار أنّ الدراسات والأبحاث السياسية والاجتماعية ليست مخالفة للقيم، بل إنها اعتبرتها أيضاً جزءاً من واجبها الشرعي:

«إن الثورة غيّرت الجميع، لقد صارت مثل ذلك الإكسير الأعظم الذي إذا أُضيف إلى النحاس جعله ذهباً. إن ذلك الإكسير أخضع كل المواد لتأثيره وحوّلها إلى حقيقة أُخرى، وذلك بفضل وجود ووعي هذا الإمام القائد العزيز.

إنّ ذلك الرجل الذي كانوا يتصورونه يعيش منعزلاً في قم ـ حيث كان الجميع يعرفونه شخصاً منعزلاً لا همّ له سوى إلقاء دروسه ـ صار واضحاً أنه على علم بكافة القضايا ودقائق الأُمور، وأنه قد لاحظ كل الأوضاع، وكان يشجع الطلبة على التمعّن في هذه الدقائق والخبايا من الأُمور وفهمها»[2].

---

(١) حديث في جمع من فضلاء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب المدارس العلمية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

ولكن على الرغم من ذلك التأثير الذي تركته الثورة على أُسلوب المعرفة السياسية في الحوزة، فإن تيار فصل الحوزة عن السياسة مازال متأصّلاً في الأوساط الحوزوية. ومع أنّ الثورة استطاعت التخفيف من حدّة ذلك التيار، إلا أنّ جذوره مازالت قوية على ما يبدو.

كما أنّ هذا الخطر أصبح أشدّ وضوحاً ولاسيّما بعد انتهاء الحماس والغليان الذي شهدته المرحلة الأُولى للثورة والحرب المفروضة، فالأفراد والاتجاهات الفكرية التي كانت حتى الأمس القريب لا ترى قيمة لطالب الحوزة إلا في الدراسة والتحصيل، والتي كانت تعتبر أنّ توجّهه إلى الوعي السياسي والاجتماعي أمراً مضراً به ومسيئاً له، والتي كانت تُعَد العمل السياسي ذنباً لا يُغتفر ومعصية لا تمحوها الكفارة بالنسبة للطالب الحوزوي، نجدها الآن قد خرجت من مخبئها وبُعثت من قبرها مرة أُخرى وأخذت تمرّ بمرحلة جديدة من الانتعاش واستعادة القوة والحياة.

إنّ التيار المخالف للسياسة قد أصبح في الحوزات الدينية اليوم أمراً مشهوداً للعيان، وهذا الخطر الجدّي يدل على أنّ مثل هذا التيار الواضح يطمح إلى التحوّل من جديد إلى خط قوي ومنتصر، فهو من جهة يعتبر المرجع الأعلم والمدرّس الضليع والطالب الفاضل وسواهم أُناساً بعيدين عن الدراسات السياسية والنشاطات الاجتماعية، ومن جهة أُخرى فإنه يتّهم الطالب الذي يشعر بالقلق إزاء مستقبل النظام والثورة ويحسّ بالمسؤولية تجاه المصالح الاجتماعية وما إلى ذلك، يتّهمه بالأُميّة والتخلّف العلمي:

«إنّ بعض الموجودين في الحوزات مازالوا يريدون أن لا تولي الحوزة اهتماماً للوعي السياسي وأن تصفح بوجهها عنه، وأن تنأى بنفسها عن الثورة؛ هذه الحوزة التي كانت بمثابة قطب الرحى للثورة، والتي كانت مركزاً لها ومحوراً.

إن مثل هؤلاء الأشخاص مازالوا قابعين في زوايا الحوزات وهم يتحيّنون الفرص لاستغلالها، إنهم أُناس لا همّ لهم سوى الراحة والرفاهية، فهم لم يجرّبوا المصاعب في يوم من الأيام ولم يمسهم أذى في سبيل الله، ولم يتحملوا زجراً من أجل الله والعلم والحوزة.

إن هذه القلوب المريضة مازالت تثير الفتن هنا وهناك ضد الثورة ونظام الجمهورية الإسلامية وضد مسؤولي النظام، فإياكم والسماح لهم بذلك»[1].

ضرورة الفهم والعمل السياسي

إنّ الحوزة اليوم في أمسّ الحاجة للفهم السياسي. لقد امتزجت الحوزة بالثورة بالشكل الذي لا يمكن لواحدة أن تتجاهل الأُخرى أو تتغافل عنها.

إنّ على الحوزة ـ وهي تمسك بدفة الثورة ـ أن تكون على علم بحالة الموج والتيار، وأن تعرف إلى أي الاتجاهات تبحر بالسفينة التي تغالب الأنواء العاتية:

«إننا اليوم نعيش في زمان آخر، بحيث لم يعد بإمكان العلماء أن يبحثوا لهم عن ركن كالسابق فيختلون به ويدرسون العلم ببال مستريح. كلا، إن على العالم الذي يحتاجه مستقبل هذا البلد أن يكون على معرفة بأُمور الحياة وقضايا العصر؛ فالسياسة والفهم السياسي والتوجه السياسي كلها من شؤون عالم الدين»[2].

إنّ الطالب الحوزوي اليوم لا يستطيع أن يعتبر أنه قد قام بواجبه بمجرد عكوفه على الدراسة والتحصيل، أو أن يغلق على نفسه باب الوعي السياسي، أو أن يعتبر أن أبواب الاجتهاد ستُفتح أمامه عن طريق العزلة الدراسية

---

(١) حديث في جمع من فضلاء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء قاين ١٣٦٦/١/٣هـ ش.

والانزواء عن عالم السياسة، أو ان يشعر بالغربة عن العمل السياسي، أو أن يعتقد بأن التعمّق في الكتب الدراسية هو أهم من أي واجب اجتماعي، ولا أن يفخر بالابتعاد عن الحياة السياسية والنشاط الاجتماعي:

«رغم أنّ الدراسة وتحصيل المعارف وبناء النفس والغوص إلى باطن الذات تعتبر من الفرائض المهمة، بل هي أهم الفرائض والواجبات، ولكن هذه الفريضة المهمة يجب أن لا تدفعنا الى تجاهل ما يدور حولنا في هذا البلد وما ينبغي علينا عمله إزاء ذلك، أو عدم الحضور في الساحات الاجتماعية، وعن العمل على تقدم الثورة ومعرفة أعدائها وما يحيكون من مؤامرات، وعن البحث عن الوسائل الكفيلة بإفشال هذه المؤامرات، وعن تلبية الحاجات العامة للمجتمع وعن الانطلاق إلى جبهات الخطر أو عن التعرض أحياناً للإعاقة والاستشهاد في سبيل الله.

إننا لا نقول: عليكم بالذهاب إلى الحوزة والانهماك في الدراسة وعدم التعرف إلا على الحوزة والكتاب والأُستاذ وتجاهل كل ما يدور في هذه اللحظة الحساسة داخل هذا البلد. كلا، فنحن لا ننصح بذلك أبداً، ولكننا ننصح بأن تكونوا أُسود النهار ورهبان الليل»[1].

لقد ظل النظام الثوري وسيبقى يواجه المشاكل والمعضلات الكثيرة؛ فعلى مجتمعنا أن يكون على معرفة بذلك، وأن يسعى للبحث عن الحلول وإيجاد الأرضيات المناسبة للمقاومة والصمود وبقاء الثورة، وهذا الأمر المهم يتطلب الكثير من الوعي والتحليل السياسي الصحيح.

ولا شك أنّ الحوزة تتحمّل مسؤولية جسيمة على هذا الصعيد؛ فمن ناحية يجب عليها كعضو في المجتمع أن تكون على علم باتجاه الثورة وأن

---

(١) حديث في لقاء مع الأخوات من طلبةحوزة مسجد سليمان العلمية ١٣٦١/٦/٤هـ.ش.

تعبّر عن مواكبتها والوقوف إلى جانبها، ومن ناحية أُخرى فإن الحوزة محل اهتمام الجماهير بما لها من مكانة اجتماعية، ويجب عليها أن تجيب عن استفسارات أبناء الشعب، وأن تساعد على المزيد من التآلف بين المجتمع والثورة عن طريق معرفة المعادلات الظاهرة والخفية وعَرْضها على الآخرين:

«إنّ أحد الأُمور الضرورية للحوزة والتي تعاني نقصاً فيها، هو أن يعمل المسؤولون والكبار والشخصيات والمدراء الحوزويون ـ كمراجع التقليد والمدرّسين الكبار ومجلس الإدارة وأمثال ذلك ـ على أن يكون هناك في الحوزات العلمية وعي بأحداث العالم المعاصرة وقدرة على فهمها وتحليلها بشكل متميز وعلى أعلى المستويات في هذا البلد؛ أي أنه يجب على الحوزة تفعيل جلّ عناصرها ـ ولا نقول كلهم ـ بحيث يكونون قادرين على فهم الأحداث الجارية وإيجاد تيار من الفكر السياسي الصحيح داخل أوساط المجتمع وفئاته، وتقديم وجهة النظر السياسية السليمة للآخرين، والعمل على هداية المجتمع وتقدمه»(١).

على المجتمع الإسلامي أن يكون مجتمعاً سياسياً، وأن يعتبر أنّ الوعي السياسي الرفيع، والقيام بردود الفعل عند الحاجة، وتحمّل المسؤولية الاجتماعية، كلها من النماذج البارزة للأمة القائمة بالقسط. وبقدر ما تكون هذه النماذج واضحة ومشهودة في المجتمع تكون هذه الأمة جديرة بالاتصاف بهذه الصفة، وإنّ الحوزة العلمية تعتبر مسؤولة وملزمة بالاضطلاع بهذا العبء الجسيم أكثر من سواها من الأجهزة الأُخرى.

ولا شك أنّ الصلة الوثيقة بين الحوزة والمجتمع تجعل بمقدور الحوزويين القيام بدور أساسي في الارتقاء بمستوى الوعي السياسي في

(١) حديث في لقاء مع ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٩/١١/٤هـ ش.

المجتمع والنهوض بهذه المسؤولية. ولكن ينبغي على الحوزة أولاً وقبل كل شيء أن تُوجِد في داخلها تحوّلاً أساسياً في توسيع وتعميق الوعي السياسي، وكذلك في القدرة على تحمّل المسؤولية الاجتماعية. وبدون ذلك فإننا لا نستطيع أن نعقد الآمال على تطور المجتمع في المعرفة السياسية، أو على بذل الحوزة جهوداً يعتدّ بها في مسير التكامل السياسي الحكيم للمجتمع:

«إنّ الناس جميعاً سياسيون في الجمهورية الإسلامية. وأساساً، فإن النظام الإسلامي يجعل من الناس سياسيين. إنّ على الجميع أن يكونوا سياسيين؛ فالذي يقول لا دخل لي بالسياسة ولست من أهلها هو شخص لا يتمتع بقيمة كبيرة في المجتمع الإسلامي.

إنّ السياسة تعني كيف تسير الأُمور في البلاد، أي أنكم كركّاب في هذه الحافلة عليكم أن تعلموا إلى أين تتجه بكم، وما هي محطاتها، وهل هذه المحطات عامرة أم مقفرة؟ فهل يحق لأحد المسافرين القول لا شأن لنا باتجاه السيارة؟ إنّ هذا يعني شطب الكرامة والشخصية الوجودية لنفس الإنسان.

على الجميع أن يكونوا سياسيين في المجتمع الإسلامي، وعليهم أن يعلموا إلى أين يسير هذا المجتمع، وأن يملكوا المقدرة على التحليل، وأن يعرفوا من هم أصدقاؤهم ومن هم أعداؤهم، وماذا يأمل الأصدقاء، وما هي الخطورة التي يشكلها الأعداء، وكيف يمكن مواجهتها.

إنّ أبناء شعبنا لو لم يكونوا على دراية، ولو لم يكونوا سياسيين، لكنّا قد خسرنا هذه الحرب، ولو لم يكن شعبنا سياسياً لأفلحت كثيراً تلك المؤامرات التي حيكت ضده منذ بداية الثورة.

إذاً، فالجميع سياسيون في المجتمع الإسلامي، ولاسيّما الطلبة والحوزويين وعلماء الدين؛ لأن دورهم فائق الأهمية، ولأن مكانتهم أعلى

وأرفع. فإياكم واجتناب السياسة والابتعاد عنها، وحتى الذين يجتنبون السياسة في جهاز الحوزة العلمية لا ينبغي أن يعتبروا ذلك أمراً ذا قيمة تذكر»[1].

أثر الفهم السياسي في الفقاهة

إنّ الوعي السياسي ليس مؤثراً في علاقات الحوزة الخارجية فحسب، بل إنّ له أيضاً دوراً مؤثراً في مسؤوليات الحوزة الداخلية؛ فالفقاهة بمعنى الفهم العميق للدين وسبر أغواره لا تتأتّى إلا عن طريق الاحتكاك المباشر بالأحداث الاجتماعية، واستنباط رأي الدين فيها من مصادر الشريعة.

إنّ الفقيه الذي يجلس منعزلاً حبيس داره يعجز عن فَهْم موضوعات الأحكام ويسير على غير هدى؛ لأن الفقاهة لا تستحصل إلا في خضمّ الحركة الجارية في المجتمع، فتتميّز بالأصالة والمهارة والانطباق مع الواقع:

«إنّ الذي ينزوي في ركن من منزله لا يدري ما سيفعله أعداء الإسلام، وما الذي يحتاج إليه المسلمون اليوم، وما هي الأخطار التي تهدد عقلية وواقع حياة المسلمين الآن، وما هي تيارات الفساد والانحراف، وما هي الطرق التي يسلكها الأعداء للقضاء على المجتمع الإسلامي، وما هي حيلهم ومؤامراتهم وكيف يمكن إحباطها، وما هي الأخطار الجسيمة التي يشكّلها الاستكبار العالمي، وما هي الصهيونية والرجعية والامبريالية والاستكبار العالمي والمدارس الإلحادية والالتقاطية، وكل ما يملكه ومنتهى قصارى جهده هو أن يفتح «الجواهر»[2] ويضع أمامه عدة مجلدات للحديث؛ لكي يستنبط حكماً للمكلفين وتدبير معيشتهم، إنّ مثل هذا الشخص لن يكون بمقدوره التفقّه في الدين.

---

(١) حديث في جمع من فضلاء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

(٢) انظر هامش صفحة ١٢١.

ومصداق الآية القرآنية الكريمة ﴿مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾[1] هو ذلك الشخص الذي يحتك بمشاكل المجتمع، ويقف على حقيقة أعداء الداخل الذين يتسربلون بلباس الأصدقاء، ويدرك معنى العداء ويفهم أساليبهم، ويعي معنى الحرب المفروضة على الأُمة الإسلامية ـ سواء أكانت حرباً ثقافية أم غيرها ـ ويستطيع أن يفهم الآيات القرآنية ويتدبّرها كما ينبغي. وهذا كله فيما إذا كان قد أجهد نفسه في العلم وقطع شوطاً في التحصيل الدراسي»[2].

إنّ مئات المواضيع الفقهية قد تحولّت وتطورت، وإنّ آلاف المواضيع قد استجدّت واستُحدثت، وإنه لا يمكن التعامل مع كل هذا الحديث والجديد بنظرة قاصرة وانزوائية في محاولة لاستنباط الحكم الشرعي.

إنّ قسماً كبيراً من هذه التحوّلات بحاجة إلى مشاهدة وأبحاث جديدة؛ حتى يستطيع الفقيه فَهْم العلاقات التي تمكنه من تفحّص الحكم الإلهي واستخراجه.

وفي هذا المجال يشير سماحة القائد، مؤكّداً على ضرورة الوعي السياسي في الحوزة:

«على حوزة قم وكافة الحوزات الأُخرى أن لا تبقى بمعزل عن التطورات العالمية، وعلى الذين سيقومون بإدارة شؤون الحوزة أن يفكروا ويخططوا من أجل أن يكون الطلبة على اطلاع بقضايا وأحداث العالم، لا أن يكونوا منعزلين وبعيدين عن تطورات العالم وأخباره، وعن المواضيع العلمية والاكتشافات الجديدة في المجالات المختلفة، سواء على صعيد العلوم الطبيعية أو على صعيد العلوم الإنسانية بوجه خاص.

---

(١) سورة التوبة: ١٢٢.

(٢) حديث في لقاء مع طلاب مدرسة الكرمانيين العلمية ١٣٦٥/٢/٦هـ ش.

لماذا؟ لأن العلم بالموضوع هو أحد الأركان المهمة للفتوى. إنّ الفقيه إذا لم يعرف الموضوع فإنه لن يستطيع استنباط الحكم الإلهي من الدليل الشرعي كما هو حقّه.

افترضوا أنّ شخصاً يريد أن يتحدّث في باب "الكُر" ولكنه لا يعرف ما هو الماء، إلاّ أنه جلس منعزلاً وقد صُبّ الماء في حلقه كوباً فكوباً أو قطرة قطرة، إنه افتراض مستبعد، غير أنه يمكن تصوره، فكيف يستطيع هذا الشخص بهذه الدرجة من الإدراك أن يفهم ما هو الماء الكُر، وما هو الماء الجاري، وما هو مقدارهما وتطهيرهما، وكيف سيكون بمقدوره أن يستنبط حكماً من الأحكام؟ هل سيمكنه ذلك؟ إنّ الفقيه إذا جهل الموضوع فإنه سيكون من الصعوبة بمكان بالنسبة له أن يستنبط حكماً، وهل يستطيع ذلك؟

إنّ المرء عندما ينظر أحياناً في بعض الفتاوى يجدها غير مفهومة وغير كاملة، وعندما يدقق في الأمر يكتشف أنّ الموضوع لم يكن واضحاً على ما ينبغي، إنّ مثل هذه الحالات موجودة في الكثير من المباحث الفقهية.

وعندما نجد أنّ أغلب الفقهاء قد أصدروا فتوى في مسألة ما فإننا نشعر بالعجب والدهشة؛ لأننا عندما نلقي نظرة على حقائق الحياة نجد أنّ الحكم الشرعي في تلك القضية لا يمكن أن يكون بهذه الصورة. ولكن المرء عندما يبحث ويتأمل يجد أنّ تفريعات الموضوع لم تكن واضحة، أو أنها كانت تفريعات ولكن ذلك العالم لم يكن في محفل الفقهاء، أو أنّ تفريعات جاءت فيما بعد وعندما كانوا يبحثون هذا الأمر فإن هذه التفريعات لم يكن لها موضوع»[1].

إنّ صلة معرفة موضوعات الأحكام ـ التي هي ثمرة الفهم السياسي

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ. ش.

والاجتماعي ـ بالاجتهاد والفتوى هي أمر يُوجب على الطالب الشروع فيه منذ مرحلة الدراسة، ويتطلب منه المزج بين التحصيل العلمي والوعي السياسي؛ ففي مرحلة الفقاهة والاجتهاد ـ التي عادة ما تكون في سنّ متأخرة ـ لا توجد الفرصة والرغبة الكافية التي تدفع الإنسان نحو الفهم السياسي والاجتماعي.

ومن هذه الجهة يتضح أنه من الخطأ أن يؤخّر الإنسان هذا الأمر المهم إلى مرحلة الفقاهة، وتبدو غير صحيحة تلك الفكرة التي ترى بأن على الطالب أن يجتهد في دراسته بادئ ذي بدء، ثم يشرع في سلسلة أُخرى من الدراسات في مرحلة الحصاد وجني الثمار.

علينا أن نعلم بأن تأجيل الاطلاع السياسي والفهم الاجتماعي يؤدي إلى تعطيلهما؛ مما يستتبع في النهاية تكرار المنهج والأُسلوب التقليدي. وإذا كنّا على علم ويقين بضرورة أن تتمتع الحوزة العلمية بالوعي السياسي، فلابد عندئذ من اكتساب ذلك منذ بداية المرحلة الدراسية وأثناءها، وأن تستعيد الدراسات السياسية ـ الاجتماعية دورها القديم والحر في مناهج الدراسة الحوزوية.

وعلى هذا الأساس فقد أكّد سماحة القائد على ضرورة الفهم السياسي بالنسبة لطلبة الحوزات العلمية قائلاً:

«إن الطلبة والفضلاء الشباب إذا كانوا على علم بما يدور ويجري من أحداث، فإن ذلك سيساعدهم على فهم الأحكام الإلهية والأحكام الشرعية واستنباط الفتوى الصحيحة والقريبة من الواقع. وسبيل ذلك هو أن لا يعيش الطلبة بمنأى عن الأحداث؛ فلابد من العثور على حلول مناسبة لتحقيق هذا الأمر في حوزة قم.

وإن ذلك يصبح ممكناً عن طريق العمل على نشر المعلومات، أو عرض بعض القضايا اليومية والمعاصرة في المجلات المختصة التي تصدرها الحوزات، أو عدم الحطّ من شأن الطلبة الذين يتمتعون بالاطلاع على أحداث الساعة، وما إلى ذلك من الطرق والأساليب»[1].

آفاق الفهم السياسي

تحتاج الحوزات إلى الوعي والتوجّه السياسي في الأبعاد المختلفة، ويتمثل جزء من هذا الواجب في أنّ الحوزات تعتبر عضواً في المجتمع السياسي والإسلامي، وأما الجزء الآخر فمردّه إلى ما تتحمّله من مسؤولية في حركة الهداية والقيادة الاجتماعية.

وفيما يلي إشارة إلى عدد من أبعاد الفهم السياسي الضرورية للحوزة:

١ـ الإطلاع على الأحداث الداخلية والعالمية:

يجب على الحوزة إبداء اهتمام خاص للإطلاع على أحداث البلاد والعالم وفهمها، وتقوية قنواتها المعلوماتية، والتمتع بقدرٍ كافٍ من العلم بما يحدث في الداخل والخارج لحظة بلحظة، ومن ثم يمكنها اتخاذ موقف والقيام بواجبها طبقاً لما لديها من معلومات:

«إنّ هذه الفريضة المهمة [الدراسة والبناء العلمي] يجب أن لا تجعلنا غافلين عما يقع من أحداث في هذا البلد وما ينبغي علينا عمله إزاءها، ولا عن الحضور في الميادين الاجتماعية»[2].

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع الأخوات من طلبة حوزة مسجد سليمان العلمية ١٣٦١/٦/٤هـ.ش.

إنّ ما تنطوي عليه القضايا الداخلية والأحداث العالمية من تعقيد، وكذلك دور الثورة الإسلامية في العالم، توجب على الحوزويين إيلاء اهتمام ودقّة للأحداث الخارجية بلا فرق بينها وبين الوقائع الداخلية، كما تتطلب منهم أيضاً النظر بإمعان ووعي للتطورات السياسية الاجتماعية في معسكرات القوى الكبرى والبلدان النامية، والاستفادة منها بالصورة المناسبة:

«إنّ قضية الفقه والفقاهة والتربية وتزكية الفقيه تعتبر من أهم الواجبات في اللحظة الحالية، ولكن هذا لا يمنع من القول بأنه لا يحق لطلبة الحوزات من الإخوة والأخوات أن يعيشوا بمعزل عن قضايا العالم»[١].

وفي هذا الوسط، فإن العالم الإسلامي يتميز بمكانة خاصة، وإن إيران الإسلامية هي داعية تطبيق الحكومة والفهم الديني بشكل حديث وتجديدي. وهذا المزج المبارك لفت أنظار العالم الإسلامي وجذب اهتمام المثقفين والباحثين؛ وذلك مما يضاعف من دور الحوزات الدينية، فالحوزات تؤدي رسالة خاصة بصفتها حاملة لواء النهضة الدينية من جهة، وباعتبارها تضمّ بين أكنافها منظّري تجديد الفهم الديني من جهة أُخرى. على أنّ الوفاء بهذا الالتزام يعتمد على مدى الفهم الصحيح والشامل لما يجري في العالم الإسلامي، والنظر بعين فاحصة لما يقع من أحداث في البلدان المسلمة، وعندئذ يمكن العكوف على تدوين المواضيع وتقديم الأبحاث المفيدة والبنّاءة على أساس الواقع وليس على أساس الخيال والتصور:

«إنّ الحوزة العلمية ـ وكما كانت في السابق ـ لا تنفك بحال عن قضايا وأحداث العالم؛ فالحوزة العلمية اليوم هي حقيقة ذات صلة مباشرة وغير

---

(١) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب المدارس العلمية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ. ش.

مباشرة بكافة أنحاء العالم. وعلى هذا فإن الحديث حـول الحـوزة العلميـة لا ينفك أيضاً عن قضايا العالم الإسلامي بلا شك»[1].

٢ـ معرفة الخطوط والتيارات:

يجب على الحوزة أن تتمتع بالبصيرة السياسية فضلاً عن الاطلاع اللازم، ومن الجدير بها معرفة الخطوط، وتمييز الحـق عـن الباطـل، والتفريـق بـين التحلّي بالفضيلة وبين التزوير والتـزيين، وعـدم الانخـداع بـالأقوال المبهـرة والـساحرة، وعـدم الانـسياق وراء الوجـوه المقنّعـة بالحيلـة والخـداع، وأن تضع ميزاناً للقول والعمل، وتكون قادرة على تشخيص خطوط الباطـل فـلا تقع في حبائلها:

«لقد تلقينا ضربات عديدة على طـول الزمـان جـرّاء البـساطة والجهـل بالخطوط؛ فعلى الطلاب والـشباب والفـضلاء اليـوم أن لا يفقـدوا البـصيرة والوعي واليقظة التي هي من لوازم هداية الأُمة الإسلامية.

إنّ أولئك الجهلة بالخطوط قد أوقعوا بيننا خلافاً في يوم من الأيـام، وإن البعض حاولوا استغلال عدم الاهتمام وانعدام الدقة والجهل بالخط والمـنهج الصحيح من قِبَل هؤلاء، مما كان سبباً في ذكريـات مُـرّة سـتبقى ماثلـة فـي أذهاننا على مرّ الزمان. فيجب عليكم أن تحاولوا أن لا تقعوا في ذلـك الـبلاء مرة أُخرى؛ حتى لا تتكرر تلك الكوارث»[2].

٣ـ العلم بمكامن الخطر:

إنّ الحوزة تمسك بزمام المجتمع والثورة، ولهـذا فـإن عليهـا أن تتميـز ببصيرة ثاقبة لاكتشاف الأخطار البعيدة والقريبة، وأن تبصر ما لا يبصره عامـة

---

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين في محافظة همدان ١٣٦٤/٩/١١هـ ش.

(٢) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ ش.

الناس، وأن تكون على حذر من السذاجة والتساهل، وأن لا تتغافل عن الأمور وتتجاوزها ببساطة، وأن لا تغضّ النظر عما يجري، وأن لا تركن إلى الدعة والراحة، وأن تحذّر المجتمع مما يواجهه من أخطار قائمة ومحتملة:

«إنّ الذين يستطيعون تدبير شؤون هذه الثورة اليوم والوصول بها إلى النصر النهائي، ومنح الفكرة الحاكمة عليها رسوخاً وعمقاً، هم أُولئك الواقفون على القضايا والأحداث والذين يرفعون الشعارات المناسبة، والذين يعرفون بأن أخطار هذه المرحلة هي أكثر تبايناً وأشد تعقيداً من أخطار المرحلة السابقة، والذين بوسعهم معرفة الأعداء والتنبّه إلى مؤامراتهم ووضع الخطط الكفيلة بإحباطها. فكيف يتحقق ذلك؟ إنه يتحقق عندما يتمتع الإنسان بنظرة عالمية صحيحة ونافعة وثاقبة»[1].

لقد أشار سماحة القائد بدقة إلى دور "النظرة العالمية" في اكتشاف الأخطار؛ فالنظرة المحلية والاقليمية تحدّ من نطاق الفكر والرأي في الكثير من الأحوال وتحصر الإنسان في إطار ذاتي ضيّق؛ وهذا يستتبع بدوره ضيق الأُفق وعدم القدرة على تمييز الأهم والمهم، والتقليل من حجم الأخطار الواسعة للخصم المهاجم التي تهدد مستقبل وكيان المجتمع والثورة، فتكتسب الأخطار التافهة أو الموهومة أهمية لا تستحقها وتضيع معها الفرص المتاحة وتكلّ بسببها العقول والأفكار.

لقد تلّقت الحوزات الدينية الكثير من الضربات؛ بسبب العجز في تشخيص الأخطار الحقيقية من الأخطار الوهمية، وعدم القدرة على التفريق الصحيح بينهما. لقد بدت الأخطار الصغيرة أخطاراً كبيرة في نظرها مما أضاع الإمكانيات الإنسانية واستلزم النفقات المادية الباهظة؛ فكم من

---

(١) حديث في لقاء مع طلاب مؤسسة (في طريق الحق) ١٣٦٣/٦/٧هـ ش.

الدروس واللقاءات والكتب والمراجعات التي كتبت وصُنفَت دون أن تكون مناسبة لعصرها؟ وكم من الصراعات والتعصبات والنزاعات التي وقعت بدون أن تكون ثمة مشكلة أساسية ولا حتى مهمة؟

فكل هذا الخلط والتحيّر كان نتيجة طبيعية للضعف في تشخيص مكامن الخطر؛ وإن التغلب على ذلك لا يتأتّى إلا من خلال بُعد النظر وسعة الأُفق والنظر إلى قضايا إيران والعالم الإسلامي بمقياس عالمي. وبقدر ما تقترب الحوزة من هذه النظرة العالمية، وتشعر بنفسها عضواً في مجتمع (القرية العالمية) المتداخل، ستكون أكثر نجاحاً وتوفيقاً في فهم وإدراك الأخطار الأساسية.

طرق وأساليب

إنّ تعميق الفهم السياسي في الحوزة يتطلب برمجة وتخطيطاً، وبدون برنامج مدون وشامل لا يمكن أن نتوقع من الحوزة آمالاً مرجوّة ولا آفاقاً مطلوبة. فلابد من مراعاة النقاط الآتية في الأُصول العامة لهذا البرنامج المذكور:

١ـ إنّ حضور «السياسة» في «الحوزة» بصورة ثانوية وجانبية لن يحظى بالتأثير اللازم؛ فمجرد قراءة بعض العناوين في الصحف، ومجرد الاستماع أو المشاهدة أحياناً لأخبار الإذاعة والتلفزيون، وسواها من الممارسات التي لا تتعدى هذا المستوى، كلها أُمور لا يمكنها أن توفر للشخص الحوزوي سوى اطلاع عادي للغاية، وتجعله في عداد أفراد المجتمع العاديين، ولكنها لن تمنح الحوزويين القدرة على التحليل والإدراك العميق، وفهم المعادلات السياسية المعقدة والمتداخلة على الإطلاق:

«احذروا من أن تعيشوا بعيدين عن هذا التيار العظيم المتموج في أعماق

الثورة، وهو تيار السياسة، وتيار الوعي، وتيار الرأي السياسي الحصيف. لا تتصوروا أن السياسة مثل نهر يمرّ من أمام قاعات الدرس، وبوسعنا أن نقصده أحياناً فنبلّ منه أيدينا ونغسل وجوهنا على سبيل المثال! فالأمر أكبر من مجرد تشغيل الراديو والاستماع مثلاً إلى نشرة الأنباء»[1].

على الحوزة أن تخطط بحيث تكون للثقافة العامة والتحليل السياسي مكانة مميزة الى جانب أهمية الدراسة وأصالتها، بحيث يشعر الطالب بأن هناك صلة بين ما خُطط له وبين قضايا البلاد والعالم، وبأنه قد تفتّقت لديه براعم التحليل والحدس السياسي الصائب.

يقول سماحة القائد مواصلاً حديثه السابق:

«عليكم بالدخول إلى عمق الشؤون السياسية، ولكن ليس بالشكل الذي يجعلكم تتخلفون عن الدروس العلمية. إنّ الدراسة هي الأصل والأساس في عملنا، ولكن عليكم بولوج المعترك السياسي في نفس الوقت وأن تكون لديكم الرغبة في الإحاطة به، أي أنه يجب عليكم أن تعرفوا من الذين يديرون الأُمور، وما هي مشاريعهم، وماذا يحدث في العالم، وما هو موقف الجمهورية الإسلامية إزاء القضايا العالمية.

تفحّصوا في هذه الأُمور وفكّروا فيها واعثروا لها على الجواب المناسب، وانظروا هل ما تقوم به الجمهورية الإسلامية وما تتخذه من مواقف هو شيء صحيح أم لا؟ فلو كان صحيحاً فما هو السبب، ولو كان خطأً فما هو السبب أيضاً، يجب عليكم أن تتابعوا كل ذلك.

إنّ خوضكم في التحليل السياسي خلال حياتكم العلمية يتيح لكم فرصة عدم الانعزال عن هذا التيار العظيم الجارف الذي تموج به الثورة، لا تكونوا

---

(١) حديث في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية ١٣٦٣/٩/٢هـ ش.

مثل حوض صغير معزول يمر بجواره هذا المد المتلاطم فيصيبه ماؤه أحياناً. كلا، بل يجب عليكم أن تكونوا في طريقه ومسيره»[١].

٢ـ إنّ ارتفاع المستوى السياسي للحوزة لن يحدث من تلقاء نفسه، فمع أنّ الحوزة كانت ومازالت تضمّ أشخاصاً ينطلقون من دوافع الرغبة الذاتية والشعور بالمسؤولية الشخصية للإندماج في الأحداث والتطورات السياسية واكتساب المزيد من المعرفة والقدرة على التحليل، إلا أنّ هذه الحركة ليست حركة شاملة وليس باستطاعتها تغطية القسم الأكبر من الحوزة، وبالتالي فإن اغتراب الحوزة وابتعادها عن الوعي والتحليل والعمل السياسي المناسب يظل أمراً قائماً ومتواصلاً.

إنّ شمولية المعرفة السياسية في أوساط الحوزة بحاجة إلى تخطيط واعٍ ذي نظرة جامعة، فلابد من الاستفادة من مختلف الأساليب حتى يتحقق الهدف المذكور، ومنها: الدروس السياسية، والملتقيات السياسية الأُسبوعية أو الشهرية، وندوات التحليل السياسي والاجتماعي في الحوزة، وإصدار النشريات المتخصصة في الإعلام والتحليل السياسي:

«إنّ الطلبة والفضلاء الشباب إذا ما وقفوا على حقيقة القضايا والأحداث الجارية، فإن ذلك سيساعدهم على فهم الأحكام الإلهية والشرعية والفتوى الصحيحة القريبة من الواقع، وسبيل ذلك هو أن لا يبقى الطلبة بمعزل عن الأحداث. فيجب اختيار الأساليب المناسبة في حوزة قم لتحقيق هذا الغرض، وهو أمر ممكن عن طريق المساعدة على انتشار المعلومات، أو طرح بعض القضايا المعاصرة في المجلات الحوزوية المختصّة، أو عدم تسفيه من يتابعون قضايا العصر، وما إلى ذلك من الأساليب»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث في بداية درس الخارج من الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

٣ـ يجب على الطالب الحوزوي أن يبدأ بترشيد وعيه السياسي مع بداية مرحلة الدراسة والتحصيل، وأن يسعى إلى تطوير ذلك وتعميقه كغيره من المعارف والعلوم الضرورية. كما يجب على نظام الحوزة أن لا يُرجئ ذلك إلى وقت الفراغ والكهولة، وأن لا يعتبره أمراً كمالياً لا ضرر في تأخيره.

لقد أشرنا سابقاً إلى أنه ينبغي النظر إلى الفهم السياسي ـ الاجتماعي على أنه أحد المعارف الضرورية للطالب الحوزوي، وأنه بحاجة إليه دائماً مهما كان عمله ومنصبه؛ ولهذا فإنه يجب على النظام الحوزوي إلحاق هذه المادة بالمنهج الدراسي منذ مقدمات التحصيل:

«إنّ القرآن والأحكام الإسلامية تتعرض إلى تهديد القوى العالمية اليوم أكثر من أي وقت آخر؛ فإذا لم يهتم الحوزويون بهذه التهديدات، وإذا لم يتمتعوا بحاسة قوية، فمن الممكن أن يوجد في الداخل من يرغب في حرف الثورة والخروج بها عن مسيرها.

إنه ليس من شأن العالم أن ينخدع؛ فلقد شاهدتم عن قرب كيف أنّ البعض كانوا من أهل العلم، ولكنهم وقعوا في حبائل المنافقين والليبراليين والتنظيمات المختلفة. إنّ من شأن العالم أن يكون واعياً، وأن يكون على علم بالشؤون السياسية، وأن لا يقع فريسة للخداع.

وإذا ما أردنا تنشئة طلبتنا الحوزويين على هذه الصورة، فإنهم بحاجة منذ هذه اللحظة أن يتعرّفوا على القضايا السياسية، وأن يقرأوا مقالات وكتباً سياسية، وأن يطالعوا الصحف ويتابعوا الأخبار»[1].

٤ـ إنّ المعرفة السياسية لن تؤدي إلى القدرة على التحليل والحدس

(١) حديث في جمع من علماء الدين من محافظة طهران ١٣٦٤/٩/١١هـ ش.

الصائب إلا إذا تقارنت مع النشاط الاجتماعي، وإلا فإنها لن تكون سوى مجموعة من المعلومات المتفرقة، ولن تتجاوز الحوارات السياسية مستوى السوقية والعوام.

وأيضاً بإمكان الحوزة التوفر على معرفة سياسية دقيقة فيما إذا جمعت بين ثقافتها السياسية والنشاط الاجتماعي، وعكفت على صهر معلوماتها السياسية والاجتماعية في بوتقة العمل الجاد والمسؤولية.

إنّ الفَرق بين الحوزويين والتيار الثقافي في إيران كان يتركز في أن الحوزويين لم يكتفوا أبداً بمحض المعرفة السياسية المجردة، حيث كانت مكانة وظروف الحوزوي السياسي تحتّم عليه الاهتمام بممارسة النشاط الاجتماعي أيضاً علاوة على المعارف والمعلومات، وأن يكون لديه احتكاك مباشر بنسيج مجتمعه، وأن يضمّ المشاهدات العملية إلى مطالعاته النظرية، وأن يتوفر على نظرة واقعية للتاريخ والمجتمع والسياسة.

ولكن التيار الثقافي في إيران لم يكن كذلك؛ فمع أنّ أنصار هذا التيار كانوا يبدون أكثر فعالية في حجم المطالعة والأبحاث السياسية، إلا أنّ ذلك لم يكن يتجلّى إلا في الأحاديث السياسية داخل المقاهي والمحافل الثقافية لا غير. فجماعة المثقفين إما أنهم لم يكونوا يجدون سبيلاً إلى العمل الاجتماعي، أو أنهم لم يكونوا يبذلون الكثير من الجهود في فتح سبيل أمامهم لممارسة ذلك العمل، وبالتالي فإن مستوى إدراكهم للحقائق الاجتماعية لم يكن سوى أمر نظري لا ينطبق مع الواقع.

إنّ هذا التفاوت الواضح كان سبباً في أن تسلك الحركات التاريخية العلمائية طريق التوفيق والنجاح، وأن تنحصر تحركات التيار الثقافي في إطار مجموعات صغيرة ومحدودة دون أن يكون لها صدى في المجتمع، ولم

تخرج عن كونها صوتاً مبهماً لا يتردد إلا في تلك الأوساط الـضيّقة دون أن تسبب هلعاً أو إزعاجاً لأي نظام أو سلطة.

والآن، فإن على الوسط العلمائي أن يـستمر علـى ديدنـه فـي الرسـوخ والثبات على هذا المزج بين «الفهم السياسي» و«النشاط الاجتماعي».

إنّ مطالعة الصحف والمقـالات الـسياسية والدراسـات التقليديـة وغيـر التقليدية وعشرات المقولات الأخرى كلها أمور ضـرورية للارتقـاء بمـستوى العلم والتحليل السياسي، ولكنها غير كافية. فلابد من أن يمتزج تألّق العلماء المجاهدين في البلاد مع الحضور والنشاط الاجتماعي كمـا كـان الأمـر فـي الماضـي، وأن يختبـروا ويقوّمـوا معلومـاتهم ومعـارفهم فـي مجـال الحيـاة الاجتماعية الواسع:

«لو قدّر الله تعـالى لـي الخـروج مـن وطـأة هـذه المـسؤولية [رئاسـة الجمهورية] وأبقى لي المزيد من العمر، فإنني سأعود إلى الحـوزة وأمـارس النشاط الحوزوي. ولو استطعت يوماً إعداد وتربية عشرة من الطلبة والانهماك معهم في العمل الحوزوي، فإن أحد برامجنا التي لا غنى عنهـا سـيكون هـو العمل في جهاد البناء أو الالتحاق بالجبهة شهراً أو شهرين كل عام. إن علينـا دفع الطلبة إلى الاحتكاك بالقضايا الثورية، وإنعاش قلوبهم وإحيائها بالحركة والفعاليات الثورية»[1].

---

(١) حديث في جمع من علماء الدين من محافظة طهران ١٣٦٤/٩/١١هـ ش.

آفات فقدان الوعي السياسي

لقد تلقّت الحوزة ضربات عديدة ومازالت؛ وذلك بسبب انعدام الوعي السياسي. وهذه الآفات توجد بكثرة في تاريخ الحوزات الشيعية، وفيما يلي إشارة إلى أهمها:

١ـ الحوزة محل ثقة الجماهير، وهذه المكانة كثيراً ما كانت تدفع بالمغرضين وتثير فيهم نوازع الطمع لاستغلال هذه المؤسسة التي هي محل الثقة والسعي لتحقيق مآربهم وأهدافهم من هذا المنطلق.

إنّ حصانة الحوزة لن تتحقق في مواجهة مثل هذه المؤامرات إلا عن طريق الوعي السياسي ـ الاجتماعي. فالعلماء البسطاء سرعان ما يقعون في شباك الأعداء الأجانب والمغرضين الداخليين فيلبّون الدعوة للحديث بكل سذاجة، غافلين عن أنهم قد أصبحوا أداة في يد الآخرين يحركونها من خلف الستار لتحقيق مطامعهم، وقد باتوا أبواقاً تنطق بلسانهم:

«على الطالب الحوزوي الحذر من أن يخرجوه من غياهب العزلة المطبقة ثم يزجّوا به فجأة في مجاهل السياسة، وهو الذي لا يدري شيئاً عنها. فمن الواضح أنه سيكون عرضة للخداع، ومثل هذا الطالب لن تكون لديه قدرة على أداء رسالته وتلبية حاجات الناس وهدايتهم وإرشادهم»[(١)].

إنّ الشؤون السياسية من التعقيد بمكان بحيث تُغرق في مستنقعاتها حتى الخبراء والمحنكين، وفي هذا الوادي الملتوي يُعتبر السذج والجهلاء لُقمة سائغة في أفواه الشياطين من أرباب السياسة. إنهم يقعون بكل يسر في حبائل المغرضين فيغرقونهم ـ وجمع كثير غيرهم ـ في هذا المستنقع الآسن:

---

(١) حديث في مراسم تعميم طلاب مدرسة الشهيد مطهري ١٣٦٣/٩/٢٠هـ ش.

«وأما النقطة الأخرى فهي الوعي السياسي بالنسبة للحوزويين؛ فهـذا مـن الضرورات المؤكدة. إننا سنقع فريسة للخداع إذا لم نتسلّح بالوعي السياسي، وإن ذلك العالم غير الواعي والذي لا يدري شيئاً عن الأحـداث والتحركـات السياسية في العالم سرعان ما ينخدع وسرعان ما يُخطئ.

وكما حدث خلال ثماني سنوات من عمر الثورة، فإن بعض الحـوزويين كانوا علماء جيدين، ولكنهم انخدعوا بالخطوط السياسية الزائفة، فجرّوا الوبال على أنفسهم وعلى الآخرين»[1].

إنّ تألّق وخلود الإمام الخميني ﷺ يعود إلى أنّ الأجـواء الـسياسية لـم تزعزعه ولم تجرفه أمواجها العاتية. ومع أنّ البعض كـانوا يغيـرّون مـواقفهم لمجرد نسمة تهب، فإن الإمام الراحل ظل ثابت الجنان وراسخ العزيمـة فـي مهبّ الريح:

«إنّ الطالب الحوزوي اليوم لن يستطيع إحراز تقدم يذكر إذا لـم يتـسلّح بالوعي السياسي. إنّ الشخص الذي لا يدري شيئاً عن السياسة، وذلك العـالم الذي يجهل القضايا السياسية يكون عرضة للخداع، «العـالم بزمانـه لا تهجـم عليه اللوابس»[2].

ولو لم يكن الإمام عالماً بزمانه لكانت مئات العواصف قـد دمّـرت هـذا البلد وهذه الثورة وقضت على هذه النهضة»[3].

٢ـ تتمتع الحوزة بمنزلة بحيث لو أصابها الانحـراف الفكـري الـسياسي لأنزل ضربة بالنظام بأكمله. إنّ آفة ذلك لن تنحصر بدور الحـوزة، بـل إنهـا ستتفشّى لتهدد جميع النظام:

---

(١) حديث في جمع من أساتذة وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٦/١/٥.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٢٦٩.

(٣) حديث في لقاء مع طلاب المدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١.

«إنّ الفهم الخاطئ، والفهم الساذج والسطحي، والفهم البطيء وغير الواعي، والغفلة عما يدور في الخارج والداخل، لمن أشد الأُمور ضرراً التي يمكن أن تواجهها الحوزة العلمية.

إنّ مثل هؤلاء هم الذين يمهّدون الأرضية لعدد من ذوي القلوب المريضة والنوايا السيئة وعملاء الأجانب؛ حتى يشقّوا طريقهم إلى داخل الحوزة العلمية ويتحدثوا بما يحلو لهم من إثارات، كما حدث وشاهدتم خلال السنوات الماضية من مثل هذه النماذج، إلاّ أنّ الثورة قد انتفضت وأزاحت عن طريقها الكثير منها والحمد لله، ولكن لا يمكن القول بأن هذه الظواهر قد انتهت.

إنّ سوء الفهم وعدم الإدراك يهدد بالخطر من ناحيتين، إحداهما: الإرشاد الخاطئ والخبيث والقائم على الأفكار غير الصحيحة والمشوب بالأغراض، والأُخرى: التحجر والفهم البطيء والبلاهة وعدم التواجد في المكان المناسب في اللحظة المناسبة.

إنّ هذه الأخطار تُنزل ضربات ماحقة بالحوزة العلمية التي ليس بوسعها اليوم تحمّل مثل هذه الضربات. إنّ تلاشي الحوزة اليوم أو توجيه ضربة لها هو بمثابة ضربة للإسلام وهو في ذروة تألقّه العالمي.

إنّ القضية هي قضية النظام الإسلامي ونظرة جميع مسلمي العالم الذين يتطلعون اليوم إلى الجمهورية الإسلامية، وإن الجمهورية الإسلامية والحوزة العلمية هما اللتان يقع عليهما عبء المسؤولية في تلبية الحاجات المُلّحة فيما يخص الإسلام والمعارف الإسلامية. فإذا ما حدث ـ لا سمح الله ـ وتلقّت الحوزة ضربة من الضربات، أو واجهت مشكلة من المشاكل، أو أساءت فهم الأحداث المعاصرة، أو اتخذت موقفاً خاطئاً فتمهّلت وتأخّرت في تلبية

الحاجات المُلحّة وعجزت عن إدراكها، أو لم تعرف الأعداء والأصدقاء قبل اتخاذ القرار، فإن الضربات التي ستتلقّاها لن تكون قابلة للتعويض. إنّ الحنكة والريادة السياسية للحوزة لابد أن تكون على أعلى المستويات»[1].

إنّ الغفلة السياسية للحوزة اليوم لا تعتبر خطأً شخصياً أو مؤسساتياً يمكن التكفير عنه بالاستغفار الفردي؛ لأن نتائجها تُلقي بظلالها الكثيفة على الحياة الاجتماعية، وتغيّر من الاتجاهات، وتخلق الأعداء وأشباه الأصدقاء، وتفتح جبهات فرعية، وتحرف أفكار الجماهير عن العدو الرئيس، وتهب علينا برياح الكوارث والابتلاءات، وهذه العواقب والآفات تضاعف من أهمية الوعي السياسي وضرورته في المرحلة الحاضرة.

٣ـ على الحوزة وعالم الدين الكفوء البحث عن طريق للارتباط بالمجتمع، وفتح باب للحوار بين الطرفين، والعثور على المفردات المناسبة لتحقيق هذا الارتباط، والوعي برسالة المجتمع، وملاحظة آثار ذلك بين المخاطبين، وتمهيد السبيل للدخول إلى قلوبهم. وكل هذا يتطلب من عالم الدين أن لا يكون مجرداً عن ثقافة المعرفة السياسية والمعلومات المتداولة، وأن تكون معارفه السياسية على مستوى معارف المجتمع، وأن لا يُبديَ عجزاً على صعيد التحليل والقدرة على إيضاح القضايا السياسية.

من جهة أُخرى، فإن المجتمع الإيراني هو مجتمع سياسي؛ ومع مجيء الثورة فإن حب السياسة والتعلق بها تجذّر ونَما في أوساط الشعب. وهذا المجتمع لا يريد من عالم الدين ـ أيّاً كان شأنه ومنصبه ـ أن يقتصر نشاطه على مجرد بيان الأحكام والأخلاق الدينية، دون الاطلاع على قضايا إيران والعالم.

---

(١) حديث في لقاء مع ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٩/١١/٤هـ ش.

لقد تغيّر المجتمع الإيراني ولم يعد مثل الماضي عندما كان يجد أنّ شأن عالم الدين في ابتعاده عن السياسة، بل أصبح مجتمعاً يشعر بأن التدّخل في السياسة هو من شؤون الدين والشريعة، ويتوقع من علماء الدين إحراز تقدم في الفهم والعمل السياسي، وعلى هذا فإن جهل عالم الدين بالسياسة يضعف من شأنه ومنزلته ويسقطه من أنظار مخاطبيه ويقلل من خبرته وكفاءته:

«عليكم بتربية الطالب الحوزوي بحيث لا يكون متأخراً عن شعبه في فهم وإدراك الثورة؛ لأنه لو كان متأخراً فلا جدوى منه، حيث إنه لا يلاقي قبولاً لدى الناس، أو على الأقل فإنه لن يكون له أثر إيجابي»(1).

الألاعيب السياسية في الحوزة

على الحوزة أن لا تخلط بين السياسة و«الألاعيب السياسية»، وأن لا تكون مناخاً لظهور التحزّبات والتكتلات، وأن لا يكون شعارها «يعيش فلان»، «الموت لفلان»، وأن لا ترفع راية وتنكس أُخرى، وأن تترفع عن السبّ والتجريح، وأن لا تهتك حرمة الناس وتنال من شخصيتهم وتلوث سمعتهم.

على الحوزة أن تكون نموذجاً للخلق السياسي، وأن تضيف كلمة الأخلاق إلى قاموسها السياسي وتعتبرها أصلاً من أُصول عملها السياسي:

«إنّ الوعي السياسي يختلف عن الألاعيب السياسية والتلبس برداء السياسيين، كأن يجمع أحدهم مجموعة من الطلبة في إحدى الغرف الدراسية أو في منزل من المنازل، ويقضي معهم السواد الأعظم من الليل في ما يسمّى

---

(1) حديث في لقاء مع علماء الدين في محافظة همدان ١٣٦٤/٩/١١هـ ش.

بالنقاش والجدل السياسي، وحياكة المؤامرات لتسقيط شخص ورفع آخر داخل الحرم الحوزوي، فكل هذا يعدّ من الجرائم ويتسبب في انهيار الحوزة»[1].

إنّ الفصل بين السياسة والأخلاق في الحوزة يستتبع عواقب مختلفة؛ فهو من ناحية يتسبب في تخلّف النشاطات الأساسية للحوزة، وتحوّل التزكية والتهذيب الأخلاقي إلى غيبة وهدر للفرص، وضياع الامكانات الإنسانية للحوزة سدى في هذه الظروف الاستثنائية والحساسة. ومن ناحية أُخرى فإنه يحطّ من قيمة ومكانة النشاط السياسي في أذهان الحوزويين، مثله في ذلك كَمَثَل دواء زائف يقضي على قيمة الدواء الأصلي.

لقد عاش علماء الدين وقتاً طويلاً وهم ينظرون إلى السياسة نظرة سيئة، والآن فإنهم لو شاهدوا نموذجاً للنشاط السياسي المزيّف والمنحرف في الحوزات، ورأوا التضليل والتحريف يحلّ محل الوعي والعمل السياسي، فإن الشك سيراودهم لا محالة في أصل الموضوع، وسينكرون بكل بساطة ضرورة الارتباط بين الحوزة والسياسة:

«إنّ هذه التكتلات السياسية هي كالسم القاتل للحوزة العلمية والمجتمع العلمي، وليس لها إلا أثر سلبي ومعكوس. إنني أعلم بأنهم يريدون دسّ أيادٍ قذرة وخبيثة أو جاهلة داخل الحوزات، فعليكم بمقاطعتهم ومنعهم؛ لأنهم سيسوقون الناس نحو التهمة والاغتياب والتخلف عن الدراسة والبحث والتنازع في قضايا تافهة، والتحزّب وامتلاء القلوب بالكراهية والبغضاء والتجرد عن العواطف والمحبة، وفي النهاية إلى الفرقة والشقاق. فاجتنبوا هذه السلوكيات بشدة، ولكن عليكم ترشيد الوعي والإدراك والقدرة على التحليل

(١) حديث في جمع من فضلاء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٤/٦/١١هـ ش.

السياسي ومعرفة الواجبات السياسية بكل ما تستطيعون»[1].

ينبغي على الحوزة أن تتحرك كأُمة واحدة في مسير الثورة، وأن تبتعد عن التحزّب والتكتل، وأن لا تزجّ بنفسها في متاهات ضيّقة، وأن تواكب دائماً أمواج الثورة العارمة والمترامية. وعلى الحوزة أن تعلم بأن التشتت في أوساط الحوزويين يقلل من حرمتها ويجعل الجدل السياسي في أوساطهم يفسَّر بأنه حرب على السلطة، ويمسّ بالشخصية المعنوية لعلماء الدين شئنا أم أبينا.

على العلماء، وبالإضافة إلى إعادة النظر في أهوائهم وأغراضهم الداخلية، أن ينظروا بشك وارتياب إلى الشعارات والمجاملات التي يرفع لواءها المتلاعبون بالسياسة من غير العلماء. فمن المحتمل أن يكون هؤلاء قد نصبوا شباكهم للعلماء البارزين لاستغلالهم كلقمة سائغة، واستثمار ما يتمتعون به من ثقة في أوساط الجماهير الشعبية وتوسيع نطاق التلاعب والمخاتلة السياسية ليمتد من المجتمع إلى الحوزة.

ولقد أشار سماحة القائد مراراً وتكراراً إلى أخطار التلاعب السياسي في الحوزة، وحذّر منه بشدة قائلاً:

«كونوا على حذر من أن تتغلغل التكتلات والأحزاب السياسية إلى داخل الحوزة وتتكاثر فيها. إنّ التوجّه السياسي للطلاب هو نفس التوجّه السياسي للنظام والثورة، فعليكم بمتابعة هذا التوجّه الثوري قولاً وفعلاً في النشاطات التبليغية وفي التعامل مع الجماهير إن شاء الله»[2].

---

(١) حديث في جمع من علماء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

(٢) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١١هـ ش.

المقالة الخامسة

الحوزة والنظام

- الحقائق الموجودة
- نظرية الإقصاء
- حاجة النظام للحوزة
- موقف الحوزة إزاء النظام
- وظائف الحوزة إزاء النظام
- مستقبل النظام
- ممارسات مغرضة

إنّ ظهور النظام الإسلامي وضع الحوزة في مرحلة تاريخية جديدة؛ لقد قلب النظام الحوزوي التقليدي، وجعل هذه المؤسسة أمام خيارات جديدة، وفتح أمامها أبواب مواضيع مستحدثة. وها هي الحوزة والنظام يتمتعان معاً بعلاقات وطيدة، وثمة تبادل وترابط فيما بينهما، فيستفيد أحدهما من نقاط القوة عند الآخر، ويتأثر بما لديه من نقاط عجز وضعف.

الحقائق الموجودة

١ـ لقد سعى أعداء النظام منذ بداية انتصار الثورة أن يطلقوا على هذه الحكومة اسم «حكومة علماء الدين». ومع أنهم أحرزوا بعض النجاح في إثارة هذه الشبهة، إلا أنّ الذي يتوخّى الحقيقة يجد أنّ الاصطلاح المعبّر والصحيح لهذا النظام هو «النظام العقائدي»، وأنّ له مُنظّرين وشرّاحاً كأي نظام ديني آخر؛ ولهذا فإنه لا يمكن اعتبار أن هذه الحكومة تنتمي لفئة معيّنة:

«لقد كان الكثيرون يرغبون في تسمية الحكومة الإسلامية والجمهورية الإسلامية بحكومة علماء الدين، أي حكومة فئوية.

ومعنى حكومة علماء الدين هو أنه يشترط في كل من يتصدى لمنصب أو مسؤولية ما أن يكون من علماء الدين، كما هو الحال في حكومة القساوسة في الفاتيكان، فالحكومة هناك هي حكومة رجال الدين بشكل أساسي.

ولكن الأمر يختلف عن ذلك في جمهوريتنا، فلا يشترط في أي من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء أو الوزراء ونواب البرلمان أن يكونوا من

علماء الدين، والمنصب الوحيد الذي يشترط على وجه التأكيد في كل من يتسلّمه أن يكون فقيهاً هو أولاً منصب الوليّ الفقيه، ومن بعده منصب القضاء.

إنّ حكومتنا ليست فئوية على الإطلاق، ولا تتمتع فئة علماء الدين بمميزات خاصة في هذه الحكومة»[1].

٢ـ إنّ النظام الإسلامي ليس غريباً بالنسبة للحوزة؛ فغالبية العلماء لهم صلة بهذا النظام ويعتبرونه منهم، ويعدّون رفعته رفعة لهم، وضعفه وهناً لهم، ويكنّون لـه الحب، ويرجون لـه مستقبلاً عظيماً.

«إنّ الذي يمكن قولـه بإجمال وثقة هو: أنّ العلماء كفئة، على اختلاف أقسامها وطبقاتها ودرجاتها، هم أنصار هذه الثورة بصورة طبيعية ويعتبرونها ثورتهم؛ ولهذا فإنهم يضعون أنفسهم تحت تصرفها.

ومن الممكن أن يكون أحد العلماء غير راضٍ عن شيء ما، ولكن هذا لن يؤدي إلى الشعور بالغربة مطلقاً، ولن يعتبر نفسه غريباً؛ لأنه يرى أنّ الثورة تخصّه وتتعلق به»[2].

إنّ الحوزة تعتبر نفسها عضواً غير عامل في النظام، ولكنها تشعر إزاءه بالالتزام والتكليف. ومع أنها لاترى نفسها مستأثرة بوظائف هذا النظام ومراكزه ومواقعه، إلا أنها تهتم بقضاياه ومستقبله، ولكن بعيداً عن إطار القيود:

«إنّ هؤلاء العلماء والحوزويين وأُولئك الذين كانوا يعتبرون الاقتراب من سلطات العهود البائدة ذنباً وجريمة وتخلفاً عن الأُصول، حيث كان الأصل في ذلك هذا الاعراض والابتعاد، وإذا ما حدث واضطر أحدهم إلى الانضمام

---

(١)حديث في لقاء مع أعضاء قسم علماء الدين في الحزب الجمهوري الإسلامي١٣٦٢/٥/٢٦هـ.ش.

(٢) المصدر السابق.

لجهاز الحكم لضرورة ما فإنه كان يشعر بالضيق والحرج مع نفسه وبالخجل أمام الآخرين وكأنه أكل الميتة، هؤلاء العلماء وهذه الحوزة أصبحت الآن جزءاً من أجزاء الحكومة.

وطبعاً فإنني لا أقصد أولئك العلماء الذين هم من أعضاء الحكومة مثلي، بل أولئك الذين يعملون بحرية في المساجد والمحاريب ويؤمّون صلاة الجمعة والجماعة ويشتغلون بأعمال علماء الدين، فهؤلاء يعتبرون أنفسهم جزءاً من أجزاء هذه الحكومة»[1].

٣ـ إنّ وجود العلماء في المناصب التنفيذية كان من أجل أداء الواجب، وهو ما فرضته عليهم ضرورات الثورة. فالشعور بخدمة النظام دفع العلماء إلى القبول بالمسؤليات السياسية ـ الاجتماعية.

إنّ هذا الشعور مازال هو الدافع الأساسي لقسم كبير من العلماء العاملين في المؤسسات الحكومية:

«إنّ هذا الحضور هو في رأينا وطبقاً لتحليلنا أداء للواجب أكثر من كونه إحرازاً لمنصب أو تطلعاً إلى مكانة. هذا هو واقع القضية، وهو أمر واضح ومشهود بيننا نحن طلبة العلم بشكل كبير.

إنّ كلاًّ منّا يدرك مشاعر الآخر جيداً، ونحن نعلم بأن الحب الذي يكنّه الطالب الحوزوي للتحصيل العلمي والدراسي لا يقارنه حب آخر.

إنّ أولئك العلماء الذين يعملون الآن في دوائر التوجيه السياسي العقائدي، أو في الأجهزة التنفيذية، أو في المؤسسات العسكرية، أو على رأس المسؤوليات المختلفة، يشعرون بأنه لا يوجد أحلى ولا أحب لهم من العودة إلى الحوزة العلمية والاشتغال بالدراسة والتحصيل»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء غرب طهران ١٣٦١/٢/٦هـ ش.

(٢) حديث في حشد من طلبة العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ١٣٦٣/٢/٢٧هـ ش.

نظرية الإقصاء

لقد تسبب الحضور المؤثر للحوزة داخل النظام في استياء الأعداء في الخارج والتنظيمات السياسية المعاندة، ومازال كذلك. ولقد عبّروا عن شكواهم من هذا الحضور بعناوين مختلفة وحاولوا القضاء عليه أو التخفيف منه على الأقل.

فمنذ الأيام الأُولى لانتصار الثورة انطلقت الدعايات مستهدفة حضور العلماء في النظام، وبُذلت الجهود الواسعة لإظهارهم بشكل مشوّش وغير صحيح، لدرجة أنّ بعض المسؤولين الحكوميين الذين تسنّموا المناصب الرفيعة بفضل الإمام ونهضة العلماء طالبوا الإمام والعلماء بكل وقاحة بالابتعاد عن النظام:

«في بداية الثورة، شعر بعض المسؤولين الحكوميين الذين وصلوا إلى مناصبهم بفضل الثورة وأستفادوا من جني ثمارها، شعروا بعد مدة بأن هؤلاء المعممين لم تعد لهم جدوى وأنهم دخلاء على الحكومة! ولهذا فإن رئيس الحكومة المؤقتة قال في تصريحات له مخاطباً الإمام بكل صراحة مع ما للإمام من منزلة شامخة: عليك بالذهاب إلى قم والانشغال بشؤونك الحوزوية هناك! وكأن عمل عالم الدين هو الذهاب إلى قم والدراسة أو التدريس والدعاء لا غير»![1].

إنّ مخلّفات مثل هذا التفكير مازالت باقية حتى الآن، ومازال البعض يعتقدون بأن شأن عالم الدين هو أن يقضي كافة عمره في المسجد والمحراب! فهم لا يحبذون حضور العلماء في الأعمال التنفيذية، ويعتبرون أن ذلك لا يتناغم مع خبراتهم، حتى إنهم يخفون ما يكنّونه بداخلهم خلف

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومسؤولي محافظة أردبيل ١٣٦٦/٤/٣٠هـ. ش.

قناع المجاملات اللامعة والمبهرة، ويقللون من مكانة الحوزة وينتهكون حرمتها ويصرّحون بأنها لا تليق لتحمّل المسؤوليات التنفيذية:

«إنّ بعض الأيادي تعمل الآن على إقصاء العلماء والتخلّص منهم، وإنني أعلم بأن هناك من لا يرغبون في حضور العلماء داخل الحكومة، والسبب في ذلك هو أنهم لا يؤمنون أساساً برسالة الحوزة ومبناها الفكري.

ولقد لاحظتم في بداية الثورة أنّ أولئك الذين تسنّموا بعض المناصب الرفيعة كانوا يميلون إلى الدين وكان الكثيرون منهم أشخاصاً متدينين، ولكنهم كانوا لا يعتقدون من حيث المبدأ بأن لعلماء الدين دوراً مؤثراً وذا أهمية يراه العلماء لأنفسهم. إنهم يقولون بأن العالم موجود في المسجد أو في الحوزة، فمن كان لديه سؤال أو مشكلة عليه بالتوجّه إليه، وسوف يجيب عن سؤاله هناك، فما الداعي لأن يكون علماء الدين خارج حجرات الدرس؟! ولماذا يتدخّلون فيما وراء ذلك؟!

لقد كان هذا هو حال المتدينين منهم، حتى إنهم كانوا لا يتخلّفون عن صلاة الليل عندما كنّا نسافر معاً في تلك الأيام. كما أنّ أصدقاءنا كانوا مع بعضهم في المعتقلات، وكانوا يقولون بأنهم كانوا مواظبين على أداء صلاة الليل.

ولكن بعض هؤلاء الأشخاص لا يهتمّون حتى بالإتيان بالصلوات اليومية على ما ينبغي، فما بالهم بصلاة الليل! إنهم لو ظلوا ساهرين لوقت متأخر من الليل فإنهم يسهرون للبحث والتحليل والتجمع السياسي، وليس من أجل صلاة الليل أو الدعاء والمناجاة والتضرع!»[1].

لقد تعرّض سماحة القائد لإثارة الشبهات في أحاديث مختلفة، وفنّد شكوك المغرضين أو الجهلاء القائلين بالفصل بين الحوزة والسياسة، ومن ذلك قول سماحته:

---

(١) حديث في لقاء مع أئمة الجمعة وعلماء محافظة لُرستان ١٣٦٧/١٠/٢٢هـ ش.

«إنّ البعض يشدّدون اليوم على هذا الموضوع، ويتساءلون: لماذا جاء هؤلاء العلماء إلى ذروة السلطة فيتسببون في ذهاب الدين من قلوب الناس؟! كلا، فلو كان هؤلاء العلماء يتمتعون بالتقوى والزهد والعدالة فإن وجودهم على قمة السلطة ليس فقط لن يُخرج الناس عن الدين، بل إنه ورغم أنف الساخطين يجعل الناس أكثر تطلعاً إلى الدين والعلماء.

إنّ الابتعاد عن السلطة بالنسبة للحكام الدينيين لو كان سبباً في نشر الدين، لكان أول من اعتزل الحكم هو النبي الأكرم ﷺ، لقد كان باستطاعة هذا الرجل العظيم أن يعتزل الحكم بعد هجرته إلى المدينة، ثم يُنصّب واحداً من كبار الأنصار كسعد بن عبادة مثلاً أو سواه من عظماء القوم ليصبح حاكماً ويتفرغ هو ليكون شيخاً وإماماً للجماعة في المدينة، فلماذا لم يقم النبي ﷺ بهذا الإجراء؟!»[1].

إنّ الفصل التاريخي بين الدين والسلطة كان سبباً في تولّد الافتراض بأن علماء الدين سيكونون أكثر محبوبيةً وشعبية إذا ما ابتعدوا عن السلطة، وإن انتشار الدين مرهون بابتعاد الحوزة عن الحكم والسياسة!

يقول سماحة القائد مواصلاً حديثه السابق في نقد هذا الانطباع:

«لأن الحكومة منذ ألف وثلاثمائة عام بعد النبي ﷺ كانت في يد الغاصبين والظالمين والطغاة، وكان أهل الدين مُبعّدين عن الحكم، لذا فقد تكوّنت تدريجياً فكرة خاطئة فحواها أننا إذا أردنا للدين أن الانتشار توجّب على أهل الدين التنحّي والابتعاد عن الشؤون السياسية! إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم ينتشر الدين الإلهي في عصر بني أمية وبني العباس حيث كان الأئمة

---

(١) حديث في لقاء مع علماء الدين مع إطلالة شهر رمضان المبارك ١٣٧٣/١١/٥هـ ش.

موجودين آنذاك وكانوا بعيدين عن السلطة؟! فما معنى هذا الكلام الذي يتقوّله البعض؟!

كلا، لقد جاء الدين الإلهي ليكون هو القابض على زمام السلطة في المجتمع، وإذا ما أردنا أن يقبض الدين على زمام السلطة فلابد أن يكون أهل الدين في سدّة الحكم. إنّ السلطة لو تسلّمها أحد من غير أهل الدين، فإن النتيجة ستكون نفس هذا الذي حدث خلال ألف وثلاثمائة عام مضت»[1].

حاجة النظام للحوزة

إنّ النظام الإسلامي بحاجة إلى العلماء على أصعدة مختلفة، وهذه الحاجة لن تقلّ بمرور الزمان؛ فما دامت الهوية الإسلامية للنظام محفوظة، فإن هذه الحاجة ستظل قائمة وباقية.

إنّ حاجة النظام للحوزة هي من صميم النظام، وليست أمراً ثانوياً أو مرحلياً، كما أنها لا تتعلق بجزء من النظام فحسب حتى يفرغ منها عموم النظام، وليست حاجة موسمية حتى ترتفع بمرور الزمان ويتولّد الشعور بالاستقلال.

يقول سماحة القائد:

«إنّ نظام الجمهورية الإسلامية هو نظام تابع بطبيعته لعلماء الدين، ولأن علماء الدين كان لهم النصيب الأوفر في تشكيل هذا النظام، ولأن الجماهير ترجع إليهم فيما يخص النظام، ولأن العلماء يشغلون مناصب مختلفة ويضطلعون بمسؤوليات عديدة في النظام، فإنهم يتحمّلون عبئاً جسيماً على كاهلهم»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث في جمع من علماء ومدرسي حوزة قم العلمية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

إنّ فهم هذا التواصل يعود بالنفع على الطرفين ويدفعهما إلى التفكير في سبل بعيدة الأمد للأخذ والرد؛ وذلك حتى يقف كل منهما على إمكانيات الآخر كما ينبغي ويستفيد منها على نطاق تجربته وخبرته.

ومن الممكن استعراض المحاور الأساسية لاحتياجات النظام للحوزة بشكل مختصر، وسنجد أنّ كل عنوان وتوجّه، مع شدّة الاختصار، يمثل نموذجاً من العلاقة العميقة للنظام الإسلامي بالحوزة، وهي علاقة تضاعف من مسؤوليات النظام الإسلامي وترفع من قيمة القابلية العملية للحوزة في النظام الديني.

وفيما يلي إشارة إلى بعض هذه الاحتياجات:

١ـ بيان الآيديولوجية:

إنّ عنوان «الجمهورية الإسلامية» يستتبع التزامات تقع على كاهل النظام، فيجب أن يتحرك النظام في مدار الدين، وأن يكون على معرفة بالأُسس والقواعد الدينية، وأن يستلهم منه، وأن يأخذ القوانين والأحكام الشرعية بعين الاعتبار، وأن لا يعتبر تجاوزها عملاً صحيحاً.

إنّ مراعاة هذه الالتزامات ستدفع النظام نحو علماء الدين؛ لأنهم المرجع الرسمي الخبير بشؤون الدين:

«إنّ هذه الجمهورية هي جمهورية إسلامية، أي أنها حكومة تستند إلى عقيدة وآيديولوجية، وهذه الآيديولوجية هي الإسلام؛ فإذا ما رغبت هذه الجمهورية في البقاء، فإن عليها البقاء استناداً إلى مباني الإسلام، وإلا فإنها إذا ما تجاوزت الإسلام فإن بقاءها لن يكون بقاءً للجمهورية الإسلامية، بل بقاء لشيء آخر.

إنّ الذين يستطيعون شرح وبيان هذه الآيديولوجية ـ التي هي مبنى هذه الجمهورية ـ وأولئك الذين يتمكنون من إيضاح أحكامها، هم علماء الدين،

إلاّ أننا لا نقول بأن كل من تزيّا بالعمامة هو آيديولوجي إسلامي، ولكن بوسعنا القول: بأن الآيديولوجيين الإسلاميين موجودون بين المعممين؛ لأن هذا هو تخصصهم»[1].

كما يقول سماحة القائد في حديث آخر:

«عندما نقول (نظام إسلامي) فإن هذا لا يعني أن يجتمع عدد من المسلمين ويشكّلون نظاماً حكومياً كيفما كان، فهذا ليس نظاماً إسلامياً. إنّ النظام الإسلامي هو ذلك النظام القائم على أساس قيم هذا الدين.

فمن أين يأتي بنّاؤو ومعماريّو هذا النظام بنظرياتهم؟ إنّ هذا يستلزم وجود عدد من المفكرين والمنظّرين، أي مجموعة من الفقهاء بالتعبير الفقهي والشرعي. فإذا لم يكن هؤلاء فقهاء، فهذا ليس بنظام، وإذا لم يكن المنظّرون إسلاميين فإن تلك الصورة للنظام ستكون صورة ميتة وبلا حياة. فمن الواجب وجود هؤلاء الفقهاء والمنظّرين الإسلاميين حتى لو كان ثمة بعض الخلل في شكل النظام، وكما يقال: «فما دام الجذر في الماء، فهناك أمل في حصول الثمار».

إنّ الأصل مادَامَ ثابتاً وقوياً، ومادام الفكر الإسلامي ورجاله ومنظّروه موجودين، فمن الممكن أن يتكامل هذا النظام، وذلك كشجرة أصلها ثابت في أرض خصبة وغنية وتحصل على حاجتها من المياه ونور الشمس، فحتى إذا لم تكن هذه الشجرة كثيرة الأوراق والبراعم في الوقت الحاضر، فأنتم على يقين من أنها سوف تورق وتزدهر»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء سبزوار ١٣٦١/٣/٣٠هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء زنجان ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

٢ـ بيان المسائل الفقهية الحكومية:

إنّ الحكومة تواجه العديد من المعضلات الفقهية؛ فهي من ناحية تجد نفسها ملتزمة بعدم تجاوز إطار الأحكام والقوانين الدينية، ومن ناحية أُخرى فإن الإبهامات والمسائل الفقهية كثيرة.

إنّ بعض المسائل هي مسائل مستحدثة، ولا يوجد بصددها حكم فقهي منقّح، كما أنّ البعض الآخر بحاجة إلى نظر جديد؛ بسبب تعرّضها للكثير من التغيير والتبديل في الموضوع.

إنّ مثل هذه المسائل كثيرة، ولسوف تضع في مواجهة النظام مسائل أُخرى غاية في الكثرة بمرور الزمان. وفي مثل هذه المجموعة من المسائل فإن النظام بحاجة ماسّة إلى الجهود العلمية للحوزة، حتى يستطيع في ضوء ذلك التغلب على معضلاته القانونية ـ العملية ووضع منهج واضح لا يعتريه الإبهام والغموض.

وسوف نتعرض لهذه المقولة بالتفصيل في بحث مستقل تحت عنوان «الفقاهة».

٣ـ الحفاظ على الثقة الشعبية:

إنّ النظام الإسلامي يستند إلى الدعم الشعبي، فهو يتغذّى من هذا الدعم ويواصل حياته بالاعتماد عليه، وبهذا فإن الفصل بين النظام والشعب يؤدي إلى زوال النظام أو إلى تغيير هويته.

وتقوم الحوزة والعلماء بدور الوسيط الفاعل في هذه العلاقة المتبادلة، وإذا ما اعتبر النظام نفسه مستغنياً عن الحوزة فإنه لن يمرّ وقت طويل إلا ويجد نفسه بعيداً عن الشعب، ولسوف يفقد ما له من ثقة شعبية.

إنّ ثقة الشعب التاريخية بعلماء الدين هي كنز ثمين بالنسبة للنظام، فلابد له من الحفاظ على هذا الذخر الإلهي والعمل على رعاية حرمته:

«لو بقيت هذه الثقة التي يوليها الشعب لنظام الجمهورية الإسلامية، فلسوف نحرز الانتصار في الحرب، وفي المقاطعة الاقتصادية، وحرب الخليج الفارسي، وفي المعارك الإعلامية ومواجهة السياسات الاستكبارية، والصراع مع المنافقين في الداخل، ولسوف يتقدم الإسلام. وإذا ما انعدم الرأي العام والدعم الشعبي، فلسوف يعجز المسؤولون عن تدبير شؤون النظام.

إننا ـ نحن المسؤولين ـ لا نزعم بأننا أنجزنا شيئاً، فالذي يدبّر الأُمور ويسيّرها هو لطف الله وفضله الواسع بالدرجة الأُولى، ثم الدعم الشعبي العظيم في الدرجة الثانية. فلابد من الحفاظ على ذلك، وهو ما لا يتحقق إلا على يد المسؤولين، والعلماء، ومعلمي المجتمع، وأرباب المعرفة وعلماء الدين العظام»[1].

٤ـ الحفاظ على الوحدة الوطنية:

إنّ بامكان علماء الدين أن يكون لهم قسط فعال ومؤثر في الوفاق الاجتماعي. لقد سجّل تاريخ بلادنا أنه كانت توجد دائماً أرضية للاختلاف والتحزّب، ابتداءً من القضايا القومية والعرقية وحتى قضايا المياه والمراتع وسواها من عشرات القضايا الأُخرى، ودائماً ما كان قسم عظيم من الطاقات والامكانات الوطنية يذهب هدراً جرّاء هذه الصراعات.

وحيثما كان يوجد العلماء الواعون في أي مكان من البلاد، فإن هذه الخلافات كان ينعدم وجودها أو لا يتسع نطاقها واستمرارها بفضل حذقهم وحكمتهم.

---

(١) حديث في لقاء مع طلاب وعلماء المدرسة العلمية الطالبية ١٣٦٥/٤/٢٨هـ ش.

ولقد واجه وسيواجه النظام الإسلامي هو الآخر كغيره من الحكومات السابقة في بلادنا خلافات محلية لا تحصى، وهنا يستطيع علماء الدين الاضطلاع بدور أساسي في حل هذه الخلافات أو الحيلولة دون وقوعها بصفتهم محل ثقة الشعب الأصليين:

«إنّ المهم اليوم هو أن نسعى للحفاظ على وحدة هذا الشعب، وإنّ أدنى حركة تؤدي إلى الفرقة والشقاق بين الشعب هي حركة خاطئة؛ فلو كنا نحن القائمين بهذه الحركة لكنا نحن المرتكبين لهذا الخطأ، ولو كان الآخرون هم القائمون بها، ولم نستخدم نحن الأساليب الصحيحة والدقيقة للحيلولة دون وقوعها ـ مع العلم بأن استعمال القوة لا يفيد في كل الأحوال ـ لكننا نحن أيضاً المسؤولين عن ذلك، وينبغي القول: بأننا نحن الذين ارتكبنا هذا الخطأ ولم نتدارك وقوعه.

إنّ هناك حالات كثيرة تتطلب من علماء الدين التحلي بالصبر وسعة الصدر والحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن في مواجهة الجهل وعدم الإدراك وانعدام الوعي، وحتى في مواجهة المغرضين أحياناً، كما يتوجّب عليهم أن يحولوا دون وقوع الشقاق والنفاق والاختلاف»[1].

موقف الحوزة إزاء النظام

١ـ يجب على الحوزة تحاشي الشعور بأنها منفصلة عن النظام أو غريبة عنه، كما يجب عليها أن لا تقف موقف اللامبالاة من مشاكله وقضاياه، وأن لا تقتنع بمجرد الحضور الرسمي والمتكلّف، بل ولربما أقدمت على مقاطعته.

---

(١) حديث في لقاء مع علماء سبزوار ١٣٦١/٣/٣٠هـ ش.

وينبغي على الحوزة أيضاً أن لا تكـرر مواقفهـا مـع الأجهـزة الـسلطوية السابقة معتبرة ذلك حفاظاً على الحرمة والقداسة، وأنها لا تعير أهمية للسلطة ومظاهرها.

إنّ مثل هذا الموقف إزاء النظام الإسلامي يعدّ انحرافاً ومجانبةً للصواب، ومع أنه من الممكن أن ينخدع به العامة، إلا أنه لن يكون أُسـلوباً مُرضـياً لله بالتأكيد. ومثل هذا السلوك يحرم النظام من قابليات الحوزة ويجعلـه مهـدداً باستلاب هويته الدينية، كما أنه يحرم الحـوزة أيـضاً مـن ممارسـة النـشاط الاجتماعي ويجعلها محصورة في نطاق المحراب والتحصيل الدراسي:

«إنكم لو افترضتم أنّ باستطاعة الحوزة العلمية اليوم أن تقـف مـن نظـام الجمهورية الإسلامية نفس الموقف الذي وقفه العلماء من الأجهـزة الحاكمـة على مر الزمان؛ لكان ذلك خطأ من جهات عديدة.

إنّ تلك الأجهزة كانت أجهزة ظالمة، وأما نظام الجمهورية الإسلامية فهو نظام العدل الإسلامي. كما أنّ تلك السلطات كانـت سـلطات غاصـبة، وأمـا حكومة الجمهورية الإسلامية فهي حكومة الولاية والحق المطلق وتستند كافة مسؤولياتها إلى أمر إلهي.

إنّ هذا النظام لا يقارن مطلقاً بذلك النظام، وفضلاً عن كل ذلك، شئتم أم أبيتم، فإن نظام الجمهورية الإسلامية قائم على عنصر علماء الدين؛ لأن قائـده يجب أن يكون فقيهاً.

إنه ليس بمقدور الحوزات العلمية وعلماء الدين أن يقفوا موقف اللامبالاة إزاء النظام وشؤون البلاد ثم يقولون: إنّ المسؤولين الحكوميين يعرفـون كـل شيء عما يحدث ويدور، فما شأننا نحن بذلك؟ أو أن يتفـضّلوا قـائلين: لـن تبدر منّا كلمة ضد النظام، أي أن يتخذوا موقف من ليس مع النظام ولا ضده.

إنّ هذا ليس بالأمر الصحيح؛ لأنه يختلف تماماً عن تلك الأمور التي يقال فيها: لا لـه ولا عليه. كلا، فليس أمامكم من سبيل؛ لأن هـذا النظام هـو نظامكم، وينتمي إلى علماء الدين، بل وينتمي إلى الدين.

إنّ هذا النظام هو نظام الجمهورية الإسلامية، فلو اعتزلتموه بعيداً لصارت الجمهورية غير إسلامية. وطبعاً فإن هذا لن يحدث الآن مادام بعض المؤالفين موجودين، ولكن إذا ابتعد العلماء عن النظام فإنـه سيـصبح جمهوريـة غيـر إسلامية بالتدريج»[1].

٢ـ ينبغي أن لا تتحوّل الحوزات العلمية إلى مؤسـسة حكوميـة، ولا أن تلتحق بإحدى الدوائر الحكوميـة، ولا أن تعتمـد فـي نفقاتهـا علـى ميزانيـة الحكومة، ولا أن تكون خاضعة للحكومة فتديرها وتـشرف عليهـا وتـتحكم في منهج عملها.

ولقد استبعد سماحة القائد مراراً وتكراراً مثل هذه النظـرة، وأكّـد علـى ضرورة استقلال المؤسسة الحوزوية، وأشار إلى الأخطار الناجمة عن تحوّلها إلى مؤسسة حكومية:

«إنّ الحوزة العلمية هي جهاز علمي وديني، فلا ينبغي ولا يمكن لهـا أن تتحوّل إلى مؤسسة حكومية حتى ولو كانـت هـذه الحكومـة هـي حكومـة الجمهورية الإسلامية، هذا هو رأيي.

فإذا كانت الحوزة العلمية تنشد البقاء والتطور والرفعة وتحقيق ما يؤمـل منها من توقّعات فإنه ليس بإمكانها أن تصبح حتى عضواً في الحكومة، فهـذا هو رأيي، وإنني أشدّد عليه. وبالطبع فإن هناك أيضاً آراء مخالفة، ولكنني لـم ولن أقبل بها مع علمي ومعرفتي بها.

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١١/٣٠ هـ.ش.

على أنّ الأمر ليس كذلك في البلدان الأُخرى، حيث نجد أنّ الحوزات العلمية هناك تدخل في إطار المؤسسات الحكومية، أي أن لديهم دائرة بإسم دائرة الأوقاف أو الشؤون الدينية تدير عدداً من الأماكن والمؤسسات، ومنها المساجد وأئمة الجمعة، فيكتبون خطبة الجمعة ويطلبون من أئمة المساجد قراءتها.

إنهم يَمنحون رواتب شهرية لأئمة الجمعة في مقابل حلقات الدرس التي تُعقد في المساجد، وهذا هو ما نرفضه»[1].

لقد أعلن سماحة القائد مرّات متعددة عن مواقفه الانتقادية تجاه بعض الآراء التي تؤكد ضرورة تحوّل الحوزة إلى مؤسسة حكومية. فمن ناحية يعتبر سماحته مثل هذا الإجراء مناقضاً لتاريخ الحوزات العلمية الممتد على مدى ألف عام، وأوضح سماحته أنّ هذه المؤسسة التاريخية التي تأسست وتقدّمت انطلاقاً من هويتها المستقلة لا يمكن لها أن تتنكّر لهويتها وتتحوّل إلى مؤسسة حكومية.

وإذا ما كانت حوزات أهل السنة اليوم قد دخلت في إطار الأجهزة الحكومية واحتلت مكانة واضحة في الهيكلية المؤسساتية، فإن هذه الظاهرة تعتبر امتداداً تاريخياً لنظام تلك الحوزات؛ وهو ما لا يمكن تصوّره للحوزات الشيعية التي ظلت قروناً مديدة تحمل هويتها المستقلة. ولهذا فمن غير الممكن تجاهل ماضي وتاريخ هذه الحوزات وإلحاقها بالمؤسسات الحكومية.

وحتى لو قدّر لها أن تصبح مؤسسة حكومية جرّاء الاضطرار أو تحت وطأة الضغوط، فإن الروح الطبيعية للحوزة لن تتأقلم مع مثل هذه الظروف، وسوف تقوم بمواجهتها والدفاع عن نفسها إن عاجلاً أو آجلاً.

---

(١) المصدر السابق.

ومن ناحية أُخرى، فإن سماحة القائد أشار إلى الأخطار والمشاكل الناجمة عن مثل هذا الدمج والإدغام، وأوضح أنّ عملاً من هذا القبيل يمكن أن يهدد كيان الحوزة ويسلبها مواقفها التاريخية. ومع أنّ هذه الأخطار قد لا تبدو جادة في أيامنا هذه، إلا أنها لا يمكن أن تسفر فيما بعد عن مستقبل واثق ومطمئن:

«إنّ الموضوع السادس في باب تنظيم الحوزات هو: أننا نرى أنه من الواجب بذل الجهود والمساعي لكي تبقى الحوزات مستقلة، حتى في عهد الجمهورية الإسلامية، وهذا هو الواقع والحمد لله، إلاّ أن البعض هنا وهناك يتقوّلون بعض الأقاويل ويثيرون بعض الشبهات قائلين: إنّ انفصال حوزة قم العلمية أو التنظيمات الحوزوية والدينية عن المؤسسات والأجهزة الحكومية يعود إلى ذلك العهد الذي كانت فيه تلك الحكومات غير إسلامية أو حكومات مناهضة للإسلام، وأما الآن وقد أصبحت الحكومة حكومة دينية وإسلامية ـ والحمد لله ـ وصار بعض علماء الدين يحتلّون أماكن في المراكز الحساسة ومصادر القرار، فلا داعي حينئذ لفصل الحوزة عن الحكومة.

ولإزالة هذه الشبهة من الأذهان، فإننا نودّ القول: بأن الحوزة هي مؤسسة يعود تاريخها إلى ألف عام: وتستند إلى جذور قوية وراسخة للغاية. وهذه المؤسسة بما لها من تاريخ عريق وما تتميز به من قوة ورفعة وتجربة عظيمة وتأثير عميق لا يمكن إلحاقها بكيان غير كيانها الذاتي، إذ هذا أمر خطير يهدد مستقبل الحوزة.

فلابد للحوزة أن تكون مستقلة وأن تدير نفسها بنفسها، كما يجب أن تكون مستقلة أيضاً من الناحية المالية والإدارية، وهذا لا يتناقض مع التعاون بين الأجهزة المسؤولة في البلاد وبين الحوزة العلمية»[1].

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

٣ـ ليس باستطاعة الحوزة أن تقف موقف اللامبالاة من النظام الإسلامي، ولا أن تكون عضواً في هيكله المؤسساتي. فلابد للحوزة أن تكون داعمة ومساندة للنظام مع الحفاظ على هويتها المستقلة، وأن تمدّ له يد العون قولاً وعملاً، وأن لا تعتبر قضايا النظام منفصلة عن قضاياها، وأن تبدي اهتمامها به وحرصها عليه وتمنحه الوقت والفرصة، وأن تعبّئ عناصرها وقواها لحلّ مشاكله، وأن تعرب عن تضامنها مع النظام والحكومة وتذلل أمامه العقبات بكل ما أوتيت من قوة:

«على الحوزة العلمية أن تكون مستقلة، ولكن دون التخلي عن تضامنها ودعمها لنظام الجمهورية الإسلامية. إنكم عندما تقولون: بأن الحوزة العلمية أشد تأثيراً من القوات المسلحة، فهذا من الواضحات والبديهيات عندنا، ولكن لا ينبغي أن يتوقف هذا الدعم عند مجرد الأحاديث والخطب والإطراء لمسؤولي هذا النظام، بحيث لو اعتبر البعض ذلك واجباً عليهم فعلوه، أو غير واجب عليهم لم يفعلوه دون أن يطالبهم أحد بشيء.

إنّ الدعم بالمعنى الحقيقي للكلمة هو أن تمنح الحوزة للنظام غذاءه الفكري، وتوجّهه دينياً، وتعكف على تربية وبناء الإنسان من أجل إدارة شؤون هذا النظام العظيم.

إنّ الحوزة العلمية مؤسسة إنتاجية، وهي مصنع عظيم لصناعة وبناء الإنسان، لا يكف عن مزاولة رسالته الإنتاجية. فيجب على الحوزة أن تصدّر الكتب وتصنع الإنسان وتخرّج العالم والمتدين وتأتي بفكر وكلام جديد، فالكلام الجديد لم ينته بعد»[1].

لقد أكّد سماحة القائد في حديث آخر على مبدأين أساسيين، هما «استقلال الحوزة» و«التعاون مع النظام»، وأوضح قائلاً:

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ.ش.

«إنّ استقلال الحوزة لا يتنافى مع تعاونها مع الأجهزة المسؤولة في البلاد. وبالطبع فإن على كل جهاز أن يقدّم دعمه وتعاونه عندما يكون ذلك ضرورياً وممكناً ومناسباً.

وهذا لا يعني انعزال الحوزة عن الأجهزة الحكومية، أو انقطاع العناصر الحوزوية عما هو خارج الحوزة من أمور وعدم المشاركة فيها والشعور بالمسؤولية نحوها، إنه يعني أنّ المؤسسة الدينية الشيعية بشكل خاص ـ طبقاً لما نعرفه عن المؤسسات الدينية في المذاهب والأديان الأُخرى ـ كانت دائماً مستقلة ومعتمدة على نفسها، وهو نظام نابع من داخل الحوزات العلمية، وقد جاء بشكل طبيعي دون فرض أو إجبار إلا في حالات استثنائية نادرة، وهذا ما ينبغي استمراره والعناية به»[1].

وظائف الحوزة إزاء النظام

لقد كانت الحوزة توّاقة إلى حاكمية الإسلام منذ زمن بعيد، وكانت تتمزّق ألماً وحسرة بسبب غياب الشريعة والحكومة الإسلامية، كما كانت تحلم بحاكمية الدين، بينما كانت حقائق العار والفساد والانحراف تسلبها الراحة والطمأنينة على مرّ العصور المظلمة.

وأما اليوم، فقد تحققت هذه الرؤيا إلى حد كبير، حيث بسطت الحاكمية الدينية يدها على المجتمع، فأضحى يعيش في ظل الهوية الدينية. وبهذا يأتي دور الحوزات لكي تبرز فاعليتها وتكشف عن قوتها سعياً نحو ما يتناسب مع مقتضيات العصر من تطور وازدهار.

وقد يطول الحديث في هذا المقام، ولكننا نكتفي بالإشارة إلى النقاط التالية:

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ.ش.

١ـ عدم استعداد الحوزة:

إنّ تصاعد وتيرة النهضة وانتصارها المذهل قد فاجأ الحوزة، حيث عاش علماء الدين لسنوات متمادية لا تشغلهم سوى أُمورهم وقضاياهم التقليدية، بينما كان التيار الاجتماعي والثقافي الحديث لا يشغل إلاّ مساحة ضيّقة من الحوزة، حتى إنّ هذا التيار نفسه كان لا يتصوّر بأن النهضة ستؤتي أُكلها في هذا الزمن الوجيز وتجعل الحوزة تواجه هذا المدّ المتزايد من الحاجات والمتطلبات.

ولهذا فإن الحوزة لم تستطع تلبية حاجات النظام بما يتناسب مع انتصار الثورة، وهي ظاهرة تسببت في بعض الأضرار والعواقب غير المحمودة:

«إننا ـ نحن طلبة الحوزات العلمية ـ لم نكن قد أعددنا أنفسنا جيداً لمثل هذا العصر، والآن فإنهم يدفعون بعض الطلبة للعمل في الجهاز القضائي ويلقّنونهم بعض الدروس. إنهم لم تكن لديهم جميعاً الكفاءة والاستعداد اللازم، وهو ما يستوجب تحمّلهم [مسؤولية ذلك]»[(١)].

٢ـ تأثير الحوزة:

على الحوزة أن تعلم بأن لديها القدرة على القيام بنشاط فاعل ومؤثر في النظام، وأن تحظى أبحاثها ودراساتها وتحقيقاتها بانعكاسات سريعة وردود أفعال واضحة على هيكلية النظام. ففي الماضي لم يكن مشهوداً تماماً مدى تأثير الأبحاث العميقة لعلماء الدين في الحياة العملية للناس، وهو ما يختلف عن عصرنا هذا.

إنّ الأبحاث العميقة والدراسات الحوزوية الحديثة بإمكانها اليوم فتح سبل وآفاق جديدة أمام قضايا النظام ومشاكله؛ مما يضاعف من ضرورة

---

(١) حديث في لقاء مع جمع من علماء ومسؤولي محافظة سمنان ١٣٦٣/٥/٨هـ ش.

سرعة التناغم والتناسق بين المنهج الدراسي والبحثي في الحوزة ومتطلبات النظام، وأمام الحوزة طريقان في الظروف المعاصرة:

إما أن تواصل حياتها كما كانت في ظل العادات والتقاليد وفي نطاق الأبحاث والدراسات التقليدية التي لا تمت بصلة للمجتمع الديني والنظام الإسلامي، وهو للأسف المنهج الذي مازال سائداً تقريباً ومسيطراً على طريقة الدراسة والتحقيق في الحوزة، وعندئذ فإن الهوّة ستزداد اتّساعاً بين الحوزة والواقع، وستنتشر على نطاق أوسع تلك الشبهة الزاعمة بعدم كفاءة الدين على صعيد الفكر والعمل.

وإما أن تضع الحوزة نفسها في خدمة احتياجات النظام، فتلبّي حاجاته، وتكون ضمانته الفكرية والنظرية، وتمهّد السبل، وتخوض ساحات التجارب الجديدة، وهو ما سيسجل فصلاً جديداً ومرحلة طيّبة في تاريخ الحوزات؛ رغم ما يستصحبه من مشاق ومصاعب ومعضلات، وما يواكبه أحياناً من مشاكل وعثرات:

«إنّ علماء الشيعة والحوزة العلمية يعيشون اليوم وضعاً استثنائياً للغاية، وهذا الوضع هو أنّ باستطاعة دروسهم وأبحاثهم وتحقيقاتهم العلمية والفقهية أن تكون ذات تأثير في مصير المجتمع؛ أي أنّكم الآن في حوزة قم إذا فهمتم واكتشفتم شيئاً جديداً حول الإسلام فسرعان ما يكون لذلك صدى في حياة الجماهير.

ولكن الأمر لم يكن كذلك في العهود الماضية؛ فعندما لم يكن هناك مجتمع إسلامي ولا حكومة إسلامية، فإننا في الحوزات كنا ندرك أُموراً كثيرة، ولكن ذلك لم تكن له أدنى صلة بحياة الناس حيث لم يكن له سند ولا دعامة. وأما الآن فقد تغيّر كل شيء، وإذا ما أحرزت الحوزة العلمية

إنجازاً علمياً وفقهياً، فإن هذا الإنجاز سيكون موضع حاجة وفائدة، والذي يحتاج إليه هو النظام الإسلامي»[1].

إذاً فدائرة تأثير الحوزة في النظام الإسلامي هي دائرة واسعة وعميقة؛ وهو ما يضاعف من مسؤولية الحوزة ويزيد من جسامة مهمة العلماء في هذه المرحلة التاريخية، ويوفّر لهم مساحة واسعة للعمل ويتطلب منهم الجهد البالغ والسعي الدؤوب:

«إنّ دور علماء الدين في النظام الإسلامي أبرز من أي وقت آخر، كما أن واجبهم أهم وأعظم. لقد كان الدين غريباً في الحقيقة؛ ففي الماضي، وعندما كنا ننجح في إصدار مجلة تضمّ عدداً من المقالات في ألفي نسخة مثلاً، فإننا كنا نتصور بأننا أنجزنا عملاً عظيماً لا يفوقه شيء. وقد كان الذين يقومون بمثل هذا العمل يشعرون بالسرور والغبطة؛ لأنهم أدّوا واجبهم الديني والعلمي على أكمل وجه، أي أنه لم يكن بالإمكان عمل شيء أكثر من ذلك.

ولكن اليوم، فإن الذي يريد أن يقول شيئاً فإن كلامه يقاس بمقياس دولي. إنّ الإذاعة والتلفزيون يمكن الاعتماد عليها الآن في نقل الأفكار، وإذا ما فشلنا في إخضاع عقول المشككين وضيّقي الأُفق والجهلاء والمنكرين والأجانب أمام الفكر الديني الرفيع، فإننا سنكون مقصّرين؛ لأننا اصبحنا اليوم نملك الوسائل والإمكانيات. وإن مهمة علماء الدين لجسيمة بقدر عظم وبروز دورهم في هذه الثورة»[2].

يجب علينا أن لا نترك الفرصة تضيع سدى من أيدينا؛ لأنها فرصة نادرة بالنسبة للحوزة وعلماء الدين. فعلينا أن نعرف قيمتها ونستثمرها بكل ما نملك من طاقات وإمكانيات، وأن نؤمن بأن هذا الجهد هو جهد متواصل،

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء أردبيل ١٣٦٦/٤/٣٠هـ ش.

فكل خطوة تتبعها خطوات أُخرى، وكل مشروع أو فكر سيأتي معه باعتقادات وآراء مزدهرة ومونقة:

«إنه لمن الجفاء والجور أن ننشغل اليوم بغير العمل على الأحكام والمعارف واستخراج لآلئ الفكر الإسلامي الثمينة والقيّمة، وإذا ما عكف أحد علماء الدين أو أحد الفضلاء على العمل في هذا المجال وضرب صفحاً عن المتع واللذات والاسترخاء وقضى كل حياته في ذلك لما ذهب عمله هباءً وسُدى.

إنكم تتذكرون أننا كنا في الماضي نجد أنّ أحد العلماء قد انعزل عن الدنيا بأكملها في غرفته أو في مدرسته، وأكبَّ على كتابة حاشية أو شرح على أحد الكتب الفقهية كالشرائع أو العروة، وإذا به بعد عشر أو خمس عشرة سنة يخرج علينا بخمسة عشر مجلداً في الفقه الاستدلالي. فكم هو مؤثر مجهود هذا العالم إذا لم يوافه الأجل وإذا مدّ الله في عمره ولم يغادر دنيانا إلى جنة الخلد، وقُدّر له أن يتمّ ذلك العمل ويواصله؟ ثم ماذا؟ وإلى أي مدى كان مؤثراً عمل ذلك المحقق الذي قضى حياته في الجد والاجتهاد والسعي والاستنباط وهو يُضني بدنه ويتنفس دخان المصباح حسب التعبير المشهور؟

واليوم، فإن نفس هذا المحقق إذا أراد أن يعمل بما يتناسب مع هذا العصر، فعليه أن يتأكد ويثق بأن كل لحظة يقضيها من سنوات حياته الثمينة تمنح الحياة والتألّق للآلاف من الناس»[1].

إنّ باستطاعة العلماء بما لديهم من أذواق وتطلعات مختلفة في هذا الجو المبارك للنظام الإسلامي أن يشعروا بأنهم يمتلكون الكفاءة والقابلية، وأن يفخروا بعملهم، وأن لا يشعروا بالخجل والحياء من كونهم علماء، بل

---

(١) المصدر السابق.

من حقّهم أن يفتخروا بذلك ويشكروا الله عليه، ويؤمنوا بأنهم يـؤدّون عمـلاً مفيداً ويشغلون موقعاً مؤثراً في المجتمع، وأنّ تأثير عملهم هو أشـدّ اتّـساعاً وفائدةً من الأعمال العادية السائدة في المجتمع:

«فاليوم، لو كان ثمة محقق أو طالب حوزوي أو مـدرس أو مبلـغ لديـه القدرة على الكلام والبيان، حتى لو كان قارئاً للتعازي، فعليه أن يطمـئن بـأن كل ما يصدر منه يعادل أثره ألف مرة مما كان لـه في الماضي.

إنّ قارئ التعازي في تلك الأيام كان يذهب إلى مجلس للتعزية ليس بـه سوى بضعة أشخاص، ثم يقرأ تعزيته ويمضي إلى حال سبيله وكأن شيئاً لـم يكن ﴿لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[1].

وأما اليوم، فإن قارئ التعزية عندنا يتوجه إلى الجبهات ويزاول عمله بين المقاتلين ومقرّات التعبئة ويتحدث حول الإمام الحسين وعلي الأكبر، فيبعـث الصفاء في القلوب، ويجعل الآلاف من الشباب يتحوّلون إلى رصاصات نارية تنطلق إلى صدر أعداء الإسلام.

ومجمل القول هو: أنّ اليوم يـوم عظـيم، فعلـى المدرسـين والمعلمـين والدارسين والباحثين والمبلّغين والكتّاب والمفكرين والمثقفين وذوي الفنـون المختلفة أن يعرفوا قيمة هذا اليوم. إنّ البعض يحبّون التعمّـق فـي المعـارف الإسلامية، والبعض الآخر في الفقه، والبعض يفضلون الانشغال بقضايا أعمق، والبعض الآخر يفضل أُموراً أكثر يسراً وسهولة، وكـل هـؤلاء يُرجـى مـنهم النفع والفائدة.

إنّ أي عمل نقوم به اليوم لا يذهب هباءً منثوراً، فنحن اليوم نـشبه ذلـك المخلوق الذي إذا ذُبح وانتهت حياته فإنه يكون حلالاً ويُنتفع بكل ما فيه»[2].

---

(١) سورة الإنسان: ١.

(٢) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء أردبيل ١٣٦٦/٤/٣٠هـ ش.

٣ـ العمل بأمل وإخلاص داخل النظام:

يجب على العلماء أن لا ينظروا إلى النظام على أنه كيان غريب عنهم، فيتركونه ويتنحون عنه بعيداً بمجرد ملاحظة شيء من التعب والمشقة، أو يتخلون عنه ويضيقون ذرعاً بمجرد ملاحظة شيء من التساهل أو عدم الاكتراث والغفلة؛ لابد من تقبّل مصاعب العمل في النظام الإسلامي بصدر رحب وروح معنوية عالية، وأن يشعروا بالانتماء إلى النظام ويتجاوزوا المشاكل والعقبات في سبيل قوة الدين وحاكميته:

«لابد من تحمّل الصعاب؛ أي أنه يجب علينا، نحن الذين نشعر بالانتماء إلى النظام وانتماء النظام إلينا وأننا لسنا فيه أُجراء أو مجرد مرتزقين، يجب علينا أن نتحمّل مشاكله.

ففي بعض الأحيان يستدعي أحدهم شخصاً ويستأجره للعمل في منزله ويعطيه أجراً مقابل هذا العمل، فهذا الشخص يعمل من أجل المال، وهو يترك العمل بمجرد أن يلاقي بعض الأذى أو أن يضايقه زميله في العمل، ويقول إذا أردتم منّي الاستمرار في العمل فعليكم بإصلاح ذلك الزميل، فهذا الشخص هو أجير ومرتزق.

ولكن عندما يريد صاحب المنزل أن يعمل هو بنفسه في منزله، فإنه عندئذ لا يتذرع بذريعة أو حجة، وحتى إذا حدثت مشكلة فإنه يتفادها ويواصل مهمته.

على الذين يشعرون بالانتماء إلى هذا النظام ويعتبرونه إسلامياً أن يتحمّلوا مشاكله، حتى ولو لم يكن النظام الآن إسلامياً مئة بالمئة وليس هناك من يدّعي ذلك، ولكنه في طريق الأسلمة الكاملة، فمازال أمامنا الكثير؛ لكي يصبح النظام إسلامياً تماماً»[1].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومسؤولي محافظة سمنان ١٣٦٣/٥/٨هـ ش.

٤ـ التعامل دون طمع مع النظام:

ينبغي على الحوزة أن تعرب عن نيّتها في خدمة النظام والعمل من أجله، وأن تتحاشى التعامل العنيف معه، وأن لا تطلب لنفسها المزيد من الحرمة والقداسة، وأن لا تتعامل بكبرياء مع مسؤولي النظام ومدراء المجتمع.

إنّ مثل هذا الأسلوب يترك أثره على عقلية المجتمع ويصيبه بسوء الظن، فإقبال الناس على علماء الدين نابع من الثقة في تديّنهم وزهدهم وتجنّبهم للمناصب، وإنّ التصرفات المشوبة بالتحكّم والسلطة تسقط العلماء من أنظار الناس وتسلبهم الثقة بعلماء الدين:

«علينا ـ نحن العلماء ـ أن نعمل بصدق وإخلاص وتواضع من أجل تقدم هذا النظام، ويجب أن لا نتصور بأن جميع الأبواب مفتّحة أمامنا؛ لكوننا علماء دين ومعمّمين.كما يجب أن يتوقّع منّا الكثير، وسبب ذلك واضح، وهو أنّ هذا النظام نظام باستطاعته ضمان الإسلام وتأمينه. إننا نحن الذين قضينا حياتنا رافعين شعار (وا إسلاماه)، فيجب إذاً بسط يد المعونة لهذا النظام»[1].

ثم يواصل سماحة القائد حديثه قائلاً:

«لا تتصوروا أنّ عزّة وكرامة علماء الدين تتمثل في انحناء الجميع أمامهم والرضوخ لكل ما يقولون، فهذا لا يعتبر عزّة لهم، بل إنّ عزّة العلماء منوطة بقدرتهم على إثارة الحرمة المعنوية والاحترام القلبي في نفوس الناس»[2].

٥ـ تقوية النظام:

إنّ الحوزة هي مصدر تقوية ثقة الناس في النظام، وهذا لا يعني قيام العلماء بتبرير تصرفات المسؤولين، بل يعني أنه مادامت أركان مشروعية

---

(١) حديث في لقاء مع علماء محافظة كهكيلويه وبوير أحمد ١٣٦٤/٨/١٤هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

النظام قائمة وماثلة لإشراف الفقيه العادل، فإن من واجب الحوزة الإدلاء بشهادتها وإيلاء ثقتها للنظام في المحافل العامة والخاصة والاستفادة من الثقة التاريخية للشعب في المؤسسة العلمائية من أجل تقوية النظام:

«إنّ من واجبنا الحفاظ على حماس أبناء الشعب في السير على هذا الطريق، فكل عالم دين يقوم بحركة أو يتفوّه بكلام من شأنه إصابة الجماهير بالشك إزاء هذا الخط الثوري يكون قد خان الدين.

ما هو البديل عن الجمهورية الإسلامية بالنسبة لأُولئك الذين يثيرون الشبهات والشكوك حول نظام الجمهورية الإسلامية؟ وما هو بديلهم عن منصب القيادة وهذه التنظيمات التي تقوم بإدارة البلاد؟ فهل سيأتي سلمان الفارسي؟ وهل سيأتي أمير المؤمنين؟ أم سيعود أُولئك الفسقة والفجرة السابقون من جديد؟»[1].

أحياناً بعض الأفكار السطحية توسوس لبعض العلماء وتجعلهم يتخذون موقفاً مناهضاً للنظام أو المسؤولين ومدراء المجتمع وبالاصطدام معهم وجعلهم حديث المنابر ومحاور الخطب والكلمات. ومثل هذه الطريقة، وإن بدت شعبية في ظاهرها وأنعشت صدور بعض التجمّعات وجعلتهم يشعرون بالرضا والقناعة، إلا أنها لا يمكن أن تكون طريقة مسؤولة على الإطلاق.

إنّ مواقف العلماء الانتقادية والمناهضة للسلطات تعود إلى أنهم كانوا يعتبرون تلك السلطات سلطات غير مشروعة، ولم يكونوا يثقون بها من حيث المبدأ. ولكن الآن وقد أصبحت الحوزة أمام حكومة ونظام تعرف أُصوله ومبادئه وتشاهد جهوده المخلصة والصادقة، فكيف يمكن لها أن

---

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء سبزوار ١٣٦١/٣/٣٠هـ ش.

تكرر مواقفها السابقة حتى ولو كان ذلك يضفي عليها الوجاهة في الظاهر، ويضاعف حولها جموع المريدين والمعجبين؟!

لقد أشار سماحة القائد إلى هذه الملاحظة مراراً في توصياته لأئمة الجمعة، حيث يقول:

«وعلى هذا، فإن إمام الجمعة إذا ما أتى بكلام معارض للنظام في خطبته، فإنه في الحقيقة يكون قد ارتكب ما يخالف فلسفته. وإذا ما كانت هناك خطبة تثير التساؤل صراحة حول الجهاز الحكومي، فإن هذه الخطبة تكون خلافاً لفلسفة الخطيب الحقيقية، فينبغي اجتناب مثل هذا التصرف.

إنه من الممكن تذكير الحكومة، كما يذكّر رئيس الوزراء أحد وزرائه، أو كما يذكّر رئيس الجمهورية الوزراء والمسؤولين، أو كما يذكر المسؤولون معاونيهم أو نظراءهم في العمل والمسؤولية»[1].

٦ـ الحفاظ على الثقة بالنظام:

تمثّل الحوزة والنظام نسيجاً واحداً؛ فرفعة أحدهما هي رفعة للآخر، وفشل أحدهما هو ضعف وزوال للآخر. ولهذا فإن أعداء الحوزة والنظام يحاولون عن طريق الفصل بينهما جعل الحوزة تفقد ثقتها وحسن نيّتها بالنظام، ويتوسلون بأساليب متعددة لبثّ روح عدم الثقة بالنظام في الأوساط الحوزوية، وإبعاد الحوزة عن النظام وجعلها تنطوي على ذاتها وتنكفئ على نفسها، وبهذا يفرغون النظام من هويته الدينية ويسلبونه الثقة الشعبية:

«إنّ علاقة الحوزة العلمية بالنظام الإسلامي لا تنحصر في تدوين الأُصول الرئيسية وبنود القوانين الإسلامية، بل إنّ العلاقة بينهما هي علاقة منطقية وقائمة على التعاون في كافة الأبعاد. فالنظام الإسلامي يقدّر الحوزة العلمية

(١) حديث في الندوة الأولى لأئمة جمعة في محافظة طهران ١٣٦٢/١/٢٩هـ ش.

بصفتها ضمانة معنوية لـه، والحوزة العلمية تعتبر النظام الإسلامي فرصة ثمينة بصفته جواً مناسباً لرشدها وتكاملها، فكل واحد منهما يعتبر سنداً ودعامة للآخر. وهذا الفهم والشعور المتبادل يجب أن يزداد قوة وواقعية يوماً بعد آخر.

إنّ هناك دوافع تسعى لجعل الحوزة غير مبالية أو سيئة الظن بالنظام، وتحاول من جهة أخرى جعل النظام يشعر بالغربة وعدم الاكتراث بالحوزة. فعلى الحوزة وكذلك من هم في مواقع القرار في النظام أن يجابهوا مثل هذه الدوافع ويتحلّوا إزاءها باليقظة والحذر»[1].

٧ـ تحمّل المسؤولية:

يجب على الحوزة عدم التصرف بهوى وطمع إزاء المسؤوليات التنفيذية، وأن لا تظهر في سلوكياتها وأخلاقياتها بمظهر المتهافت على المناصب والمتهالك على الدنيا. وعليها أن تعتبر أنّ مهمتها الأساسية هي الهداية والإرشاد المعنوي للمجتمع، وتنظر إلى المناصب الدنيوية على أنها مجرد واجب وضرورة:

«إنّ هذه المسؤولية الحكومية التي تقع على عاتقنا ليست إلا واجباً شرعياً ومهمة ثورية. فعلينا أن نعرف قدرها، وإننا نفتخر بها إذا ما قمنا بأدائها على الوجه الأكمل.

إنّ القيمة الروحية للعلماء أهم من قيمتهم في المناصب التنفيذية، وهذه القيمة تعني أنهم يتحمّلون مسؤولية توجيه هذه المسيرة والحفاظ على استقامتها؛ فلو حدث خطأ أو انحراف في المسيرة العامة للمجتمع فَهُم الذين

---

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قم العلمية بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

يميّزونه، وعليهم أن يكتشفوا هذا الخطأ ويحافظوا على المسيرة من الانحراف»[1].

إنّ عالم الدين، وفي نفس الوقت الذي يتجنّب فيه المناصب، يجب عليه تحمّل المسؤولية في هذا النظام. ففي حالة الضرورة والحاجة التي تتطلب منه حضوراً في بعض الشؤون التنفيذية، ينبغي أن لا يدفعه الشعور بالقداسة وغير ذلك إلى العزلة والانزواء والتوقف والانحصار في نطاق الحياة الفردية:

«حيثما كنتم في الجمهورية الإسلامية، فعليكم أن تعتبروا أنّ هذا المكان هو مركز العالم، وأنّ كل الأعمال تعود إليكم.

لقد كانوا يسألونني دائماً قبل رحيل الإمام ، بعدة أشهر عما أنوي عمله بعد انتهاء فترة رئاسة الجمهورية، ولأنّي أحب النشاطات الثقافية بشكل كبير وكنت أُفكر في مزاولتها بعد انتهاء فترة رئاسة الجمهورية، فإنني كنت أجيب قائلاً: لو طلب منّي الإمام الذهاب إلى «زابل» لأكون رئيساً للقسم العقائدي ـ السياسي لفصيل من قوات الدرك أو حتى لأحد مخافر الشرطة هناك، فإنني سأصطحب أفراد عائلتي وأتوجّه إلى هناك فوراً. وأُقسم بالله إنني كنت أقول ذلك عن صدق ومن أعماق قلبي؛ أي أنّ «زابل» تصبح مركز العالم بالنسبة لي، وكنت سأعمل هناك بالقسم العقائدي ـ السياسي.

وفي رأيي، فإن على الإنسان أن يعمل ويجد ويكدح بمثل هذه الروح المعنوية، وفي هذه الحالة سيبارك الله في عملنا»[2].

---

(١) حديث في جمع من علماء ومسؤولي محافظة أردبيل ١٣٦٦/٤/٣٠هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع مسؤولي منظمة الإعلام الإسلامي ١٣٧٠/١٢/٥هـ ش.

٨ ـ التعرف على حاجات ومشاكل النظام:

يجب على مدراء النظام أن لا يعتبروا الحوزة كياناً غريباً وأجنبياً عليهم، وأن لا يتجاهلوا أمرها ويمتنعوا عن مدّها بالمعلومات الضرورية. كما يجب عليهم السعي لجعل الحوزة في مجاري الأحداث وإطلاعها على ما يستجد من قضايا وتطورات بقدر ما تسنح به الفرصة والظروف، وأن يرفعوا من مستوى معرفتها بمشاكل النظام الداخلية والخارجية.

ومن ناحيتها، يجب على الحوزة أن ترتقي بمستوى حسّها السياسي، وأن تقوّي ما لديها من قنوات المعرفة والاطلاع وتسعى للوقوف على حقائق الأمور.

إنّ الحوزة باستطاعتها عن طريق التبادل المعلوماتي القوي والمناسب أن تتعرف على حقائق النظام، وأن تتجنّب سوء الظن والانطباعات الخاطئة، وأن تعدّ نفسها لتلبية حاجات النظام وتوظّف طاقاتها وإمكانياتها في هذا السبيل:

«على علماء الدين والحوزات العلمية التعرّف على الوضع الحالي للنظام كما هو، وأن يكونوا على علم بالسلبيات والايجابيات، وأن يكتشفوا مواضع الحاجة، وأن يعرفوا توجّهات العدو وما الذي يستهدفه؛ كي يستطيعوا مواصلة القيام بدورهم الصحيح في بقاء هذا النظام.

إنه من غير الممكن للحوزة العلمية وعلماء الدين والمحافل الدينية والعلمية أن لا يكونوا على إطلاع بوضع النظام، ولا أن يستطيبوا مثل هذه الحالة أو أن يتحمّلوا البقاء عليها»[١].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١١/٣٠ هـ.ش.

٩ـ تفهّم الوضع الخاص للنظام:

إنّ الجمهورية الإسلامية تواجه وضعاً شاقّاً وعسيراً؛ فالقوى العالمية تسعى إلى إزالة تصور الحكومة الدينية من الأذهان وإظهار هذه التجربة على أنها مُرّة ومشؤومة في حياة الشعوب المسلمة.

ولذا فإنها تعمل بكل ما أُوتيت من قوة على تشويه صورة النظام وإظهاره بمظهر لا يليق به من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإنها توظّف كافة إمكانياتها المادية والدعائية من أجل إسقاط النظام أو تغيير هويته.

إنّ تفهّم هذا الوضع الخاص ـ المشار إليه آنفاً ـ سيعطي المجال للحوزة لكي تنظر بعمق وتفحّص إلى العلاقة القائمة بينها وبين النظام، وأن تتجنب السقوط في ورطة السذاجة والسطحية:

«إنّ الواجب المهم الآخر الذي يقع على عاتق العلماء اليوم هو تفهّم وضع الجمهورية الإسلامية وما يخطط له الأعداء. إنّ الأعداء ليسوا على استعداد لتحمّل الإسلام والجمهورية الإسلامية لحظة واحدة.

وما عليكم إلاّ ملاحظة ما يجري الآن في العالم؛ ففي الآونة الأخيرة عندما جرت الانتخابات في الجزائر كنت أستمع أحياناً إلى الإذاعات، وكنت أرى كيف أنّ الإسلام مظلوم أمام سطوة هذه القوى الطاغوتية والاستكبارية العالمية، فبمجرد الشعور بوجود الإسلام، فإنها تهبّ لمهاجمته غير مكترثة بشيء، فإذا لم نكن متيقّظين فإن العدو سينتصر.

من الذي قال بأن الباطل في العالم لن يستطيع أن يوجّه للحق ضربة، أو أنه يقضي عليه لفترة ما؟! فأي قانون ينص على ذلك؟ إنّ ما ينص عليه القانون الإلهي هو أنّ الحق ستكون له الغلبة على الباطل في نهاية المطاف، فإذا ما أقدم الحق على الكفاح والمقاومة تقهقر الباطل.. ولكن إذا تقاعدنا عن

الجهاد، وتقاعسنا عن السعي والعمل، وإذا لم نتمتع باليقظة والحذر، فإن الغلبة ستكون للأعداء»[1].

١٠ـ الحفاظ على وضع الحوزة داخل النظام:

لقد كان للعلماء ومازال دور أساسي في حدوث وبقاء النظام الإسلامي، فالنظام هو القشرة الخارجية والوجه الظاهري للمؤسسة العلمائية، وإنّ قوّته واقتداره تتوقف على كفاءة وقابلية هذه المؤسسة:

«إننا لو تحدثنا عن القاعدة والأساس والسطح، فإن الحوزات العلمية هي في الحقيقة القاعدة والأساس الأصلي لجميع النظام. فالطالب الذي يدرس في الحوزة اليوم يعلم أنه من المفترض أن يستفيد خمسون مليون شخص مما هو الآن عاكف على تعلّمه، ولا فرق في ذلك إذا ما أصبح باحثاً أو مدرساً أو مبلّغاً أو كاتباً، فهذا هو وضع الحوزة العلمية»[2].

كما أكّد سماحة القائد على نفس هذه النقطة في حديث آخر قائلاً:

«إنّ الحوزة هي في الواقع المدير الحقيقي والمعنوي لمجتمع ما، فإدارة المجتمع ليست فقط في مجرد تحصيل الضرائب وصرفها على مختلف الأمور في البلاد، ولا في مجرد المنتوجات واستخراج النفط والمعادن المختلفة وتصديرها للخارج والاستفادة من عائداتها، وما إلى ذلك من الأُمور، إنّ هذه هي الإدارة في شكلها الظاهري.

ولكن وراء هذه الصورة الظاهرية هنالك الباطن والأساس والقاعدة، وهذه القاعدة هي روح وفكر وعقل الجماهير، فإذا لم يَكن هناك جماهير وشعب وإيمان وعقيدة وحب للعلماء والدين، فإنه لن يبقى ثمة شيء لكي تديره الحكومة والسلطة التنفيذية»[3].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء محافظة بوشهر ١٣٧٠/١٠/١١هـ ش.

(٢) حديث في لقاء جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٦٦/٩/١١هـ ش.

(٣) حديث في لقاء مع مدرسي وأساتذة حوزة قم العلمية ١٣٦٦/٩/١٠هـ ش.

إنّ المحافظة على هذه المكانة الخطيرة تقع على عاتق الحوزة، ولن يكون باستطاعتها الحفاظ على إدارتها المعنوية أو القيام بدورها اللائق في النظام إلا إذا كانت لديها المعرفة الكافية بواجباتها الأساسية وكانت قادرة على التعبير عن اهتمامها اللازم تجاهها.

ومن بين هذه الواجبات تبدو ثمة نقطتان على جانب من الأهمية:

أ ـ الحفاظ على الخبرة الدينية:

يعود الفضل في مكانة الحوزة داخل النظام إلى الخبرة الدينية للعلماء؛ فمدراء النظام ينظرون إلى العلماء على أنهم شخصيات ذات خبرة دينية، ولهذا فإنهم يكنّون لهم الاحترام. وإذا ما حدث هناك فتور في حركة الدراسة والبحث داخل الحوزة، وظهر بعض الأشخاص من المستوى المتوسط أو تحت المتوسط على أنهم علماء ومتخصصون في الشؤون الدينية، فإن هذا الضعف والفتور العلمي سيكشف عن نفسه بلا شك بمرور الأيام؛ مما سيدفع بمدراء النظام إلى عدم إيلاء أهمية للحوزة والعلماء والتقليل من عظمتهم العلمية في أنظارهم:

«إذا ما كان تدخّل علماء الدين في القضايا الاجتماعية ـ والذي هو أمر واجب وضروري ـ سيؤدي إلى ضعف وفتور على نطاق الدراسة والبحث والفهم والتقدم والفقاهة، فإن ذلك سيكون أمراً خطيراً»[1].

ب ـ الاحتفاظ بحب الجماهير:

لن يكون باستطاعة علماء الدين الحفاظ على دورهم المحوري والفعال داخل النظام إلا إذا عاشوا دائماً في قلوب الجماهير، وتشرّبوا أنفاسهم، وكانوا شركاءهم في السرّاء والضرّاء، وأُمناء أسرارهم، ومرجع شكواهم:

(١) حديث في لقاء مع أعضاء قسم علماء الدين بالحزب الجمهوري الإسلامي ١٣٦٢/٥/٢٦ هـ ش.

«إذا ما كان تدخّلنا في الأعمال والمناصب سيؤدي إلى تبديل حُبّنا في قلوب الجماهير إلى شكوى واعتراض، فإن هذا نقض للغرض أيضاً.. علينا الآن أن نصبّ اهتمامنا على النشاط العلمي، وخدمة الجماهير، وما يقوّي علاقاتنا بالجماهير ـ لا ما يقطعها ـ وما يجعل الجماهير تعلق علينا آمالها، وما يجعلنا دائماً ملجأ وملاذاً لأبناء الشعب، وما يدفع بالحكومة والجيش والحرس واللجان الثورية إلى أن يخصّونا ببثّ ما في قلوبهم من شكوى واعتراض حتى ولو لم يكن باستطاعتنا تحقيق ما يريدون، لا أن يلجأوا إلى غيرنا ببث شكاواهم ضدّنا»[1].

ويشدد سماحة القائد على هذين الأصلين قائلاً:

«إذا ما أراد علماء الدين الحفاظ على دورهم بصفته محوراً لحركة الجماهير في الجمهورية الإسلامية، فما عليهم إلا ترسيخ مبدأين لديهم: الأول هو الخبرة في الدين، والثاني حب الجماهير لهم. فهذان أمران أساسيان، وإذا ما فقدناهما فإننا سنتحول إلى جسد بلا روح»[2].

مستقبل النظام

يتوقف مستقبل الجمهورية الإسلامية على مستقبل الحوزة، فقوة الحوزة وإدخال الإصلاحات عليها يؤدي إلى بقاء النظام واقتداره، ولكن الجمود على الطرق والنظم التقليدية والقديمة السائدة في الحوزة يفضي إلى ضعف النظام أو زواله.

وهذا الكلام، رغم ما يبدو فيه من مبالغة، ليس كلاماً جزافاً ولم يُطلق على عواهنه، فالحوزة قد استطاعت قيادة الحركة الثورية والوصول بها إلى

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الانتصار؛ بفضل ما أدخلته على نظمها من تغييرات وتطورات، وإنها بحاجة أيضاً إلى المزيد من التطور والتكامل حفاظاً على بقاء الحكومة واستمرارها.

وبهذا تجد الحوزة نفسها أمام وضع جديد لابد لها من مواكبته والتناغم معه من ناحية، ومن ناحية أُخرى فإن الشعور بالمسؤولية يتحرك بداخلها فتهبّ إلى القيام بواجباتها وتفعيل نشاطاتها وأداء رسالتها بأمانة.

ولقد أعطى سماحة القائد إرشادات وتحذيرات بهذا الصدد عندما قال:

«إنّ هذا النبع المبارك إذا لم يتفجر اليوم، فإن المجتمع الإسلامي سيفقد غداً كل شيء. ولكن إذا بقيت الحوزة تعمل بحيوية ونشاط وخلاّقية ووعي وجد وظلت قلعة للعلم والعمل بما يتناسب مع دورها وواجباتها، فإننا سيكون لدينا بعد عشرين عاماً جمهورية إسلامية راسخة وقوية وعارفة بواجباتها ومسيطرة على أُمورها ومجهزة أمام أعدائها وملاذاً لأصدقائها. فإذا لم يكن لدينا مثل هذه الحوزة اليوم فلن يكون لدينا مثل هذه الجمهورية غداً، وهو ما لا جدال فيه.

إنّ الماء عندما يتفجر من أحد الينابيع وينحدر إلى أحد الجداول، فإنكم إذا وجدتم أنّ هذا الجدول مملوء بالماء فإن هذا لا يعني أنّ الماء يتفجر الآن من ذلك الينبوع. فليس بعيداً أن يكون ذلك النبع قد جفّ منذ ساعة واحدة أو نصف يوم، ولكن الماء الذي نبع منه سابقاً مازال جارياً حتى الآن.

فلا ينبغي إذاً أن نشعر بالفرح بسبب أنّ هذا الماء ما زال جارياً، وإنما يجب أن ننظر ما إذا كان النبع يتفجر بالماء أم لا؛ فلو كان النبع مستمراً فإن هذا الماء سيظل جارياً على الدوام، وأما إذا كان ذلك النبع قد جفّ أو قلّ ماؤه ـ لا سمح الله ـ فإن هذا الجدول سيغور ماؤه بعد ساعة واحدة أو نصف يوم أو يوم رغم ما فيه الآن من ماء.

إنّ الحوزات العلمية إذا ما عملت اليوم بجد ونشاط، ورفعت من مستواها العلمي، واستطاعت تربية الكوادر الممتازة وعلماء الدين الأفذاذ، فستكون لدينا غداً جمهورية إسلامية حقيقية. وأما إذا كان العكس فإننا لا نعلم ماذا سيحدث في المستقبل، وعندئذ ـ لا قدّر الله ـ فإننا نتوقّع أحد أمرين: إما أنّ الخط الصحيح للثورة الإسلامية والنظام الجمهوري يفقد محتواه وينحرف تدريجاً، وإما أن يزول نظام الجمهورية الإسلامية من أساسه»[1].

السلوكيات المغرضة

إنّ أُسلوب تصفية الحسابات الذي سلكه بعض العلماء مع النظام، كان ومازال سلوكاً مثيراً للمتاعب والمشاكل منذ بداية انتصار الثورة وحتى الآن؛ فهم من ناحية يحرمون النظام من جزء كبير من طاقات الحوزة السياسية، ومن ناحية أُخرى فإنهم يثيرون قلق النظام جرّاء ما يعيشونه من وساوس وشكوك.

إنّ هؤلاء كانوا أساساً ممن آثروا الصمت في مرحلة النضال ضد الحكومة البهلوية المستبدة، وكانوا من المثبطين للعزائم، ولم يكن لهم حديث إلا عن التقية وضرورتها آنذاك! ومع ذلك فإنهم راحوا يستهدفون مدراء النظام بالنقد والتجريح بكل بساطة وراحة بال خلال العقدين المنصرمين، وأخذوا يظهرون النظام بصورة بغيضة ومنفّرة تحت مختلف العناوين.

إنّهم يخلقون من الحبة قبة، ويضخّمون الأُمور أمام هذا وذلك، ويعتبرون ذلك دليلاً على فشل النظام وعدم فاعليته:

(١) حديث في لقاء مع علماء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٧/٦/١٠هـ ش.

«إنّ مما يؤسف لـه الآن هو وجود مجموعة كانت تداهن نظام الشاه في الماضي وتتحمّله، ولكنها لا تتحمّل نظام الإسلام! لقد كانوا مستعدين لتحمّل اللاعبين مع الكلاب وأُولئك الفسقة الفجرة شاربي الخمر والكافرين بالله وكافة المقدسات، ولكنهم ليسوا على استعداد لتحمّل المجتهدين العدول الذين قد يخطؤون في بعض الأحوال. أفلا يعدّ هذا ذوقاً فاسداً وانحرافاً وفهماً سطحياً وتحليلاً خاطئاً للقضايا والأُمور؟!

لقد كانت كافة المحاكم تتعامل بالظلم والجور مع كافة أبناء الشعب ذات يوم. أفلَسنا نحن القائلين: «من حكم بالحق وهو لا يعلم فهو في النار»، فما بالنا بالقول القائل: «من حكم بالباطل وهو لا يعلم فهو في النار»، فإذا كان هذا القول صحيحاً من الإمام الصادق، إذاً فكل الأحكام التي صدرت بالباطل في عهد النظام الباطل تقود إلى النار.

لقد كانوا يتحمّلون كل هؤلاء، وأما الآن فقد تعالى صراخهم عندما صارت السلطة القضائية سلطة إسلامية! إننا لا نقول بأن سلطتنا القضائية مبرّأة من النقائص والعيوب. طبعاً لا؛ فالعيوب والنقائص موجودة، ولكن مبنى هذه السلطة هو إسلامي على كل حال، كما أنّ مسؤوليها هم من العلماء المسلمين، فضلاً عن أنّ قوانينها مستنبطة من القرآن والإسلام، إذاً فإطارها صحيح ولا غبار عليه.

ولكن إذا ما حدث وكانت هناك نقطة مبهمة في القانون، أو تجاوز القانون حالة من الحالات، أو حُكم ظلماً على أحد الأشخاص لا سمح الله ـ عمداً أو سهواً ـ فإننا نجدهم لا يكفّون عن التشهير، ويستغلون الفرص، ولا يتوقفون عن الزعيق والصراخ، ويتخذون من ذلك وسيلة للتخاصم مع النظام!

في تلك الأيام، كان المسؤولون من المحافظ إلى القائم مقام إلى رئيس الشرطة، أي من أعلى إلى أسفل، كانوا من الفاسدين والفسقة والمرتشين والذين يصبّون على رأس الشعب جام الأذى والسخط، فكل عملهم كان قائماً أساساً على الفساد. وفي مثل تلك الأوضاع، كان أُولئك يجلسون كالحجر في جنب الإنسان، وكأن شيئاً لم يكن، وكأن كل ما يحدث لا يمتّ لهم بصلة!

لقد كانوا في صمت مطبق؛ فهم يؤدّون الصلاة، ويؤمّون الجماعة أحياناً في المساجد، ويتسلّمون الوجوه والحقوق الشرعية، ويذهبون إلى منازل المريدين فيتناولون طعام العشاء والغداء، ولكن عندما كنا نسألهم: لماذا لا تحركون ساكناً، لماذا لا تتحدثون ولا تناضلون؟ فإنهم كانوا يقولون: إنّ لدينا مَلكاً شيعياً، وعندنا حكومة شيعية!

لقد كانوا يتحمّلون في تلك الأيام، أمّا اليوم فمع أنّ إطار هذا النظام قائم على أساس الإسلام، ومع أنه يوجد على رأس هذا النظام مجتهد عادل زكيّ تقي وزاهد، فإذا حدث أحياناً خطأ ما، فكأن التشيّع قد انتهى وكأن البلاد لم تعد شيعية!

إنهم لا يقومون بأي نشاط مفيد، ولا يقدّمون أية مساعدة، ولا يقومون بأي تعاون، ومع ذلك فَهُم يتذمّرون! فما هو السبب في ذلك؟ إنه هوى النفس والأغراض والأمراض عند البعض، والتحليل غير الصحيح والفهم الخاطئ عند البعض الآخر»[1].

إنّ تيار اللاّمبالاة داخل الحوزة يغض الطرف عن آلاف النقاط المشرقة في النظام ويمرّ عليها مرور الكرام، ولكنه يركز نظره ويصبّ كافة اهتماماته على نقطة واحدة أو بعض النقاط التي قد تكون سوداء أو حالكة، فيعلن

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء زنجان ١٣٦٤/٨/٢٩هـ ش.

شعوره باليأس والقنوط أمام الملأ، ويذهب إلى تناقلها من هنا إلى هناك بكل همة ونشاط وكأنّها تحفة ثمينة.

إن هذا التيار عاجز وغير قادر على تحليل الحقائق كما ينبغي، فهو يعرف مكانة النظام، ولكنه لا يدرك ما يكنّه نظام الكفر من حقد وخصومة لهذا النظام، ولا يدري شيئاً عن الطوفان الدعائي الجارف الذي يجتاحه، وهو ما يفضي بهذا التيار إلى اتخاذ موقف العزلة والصمت، وبالتالي إلى صبّ الزيت على الحطب وجعل النار المشتعلة تزداد تأجّجاً، وفي النهاية يجد نفسه وقد وقع في كمين دسائس أعداء الدين شاء أم أبى.

إنّ تيار اللامبالاة داخل الحوزة يتجنّب المقارنة بين اليوم والأمس، فيتناسى تلك الحركة الواسعة المناهضة للدين في النظام السابق، ثم يتخذ من بعض النسوة اللائي لا يحسنّ حجابهن دليلاً على فشل النظام، متجاهلاً آلاف الحالات من الفساد والفحشاء التي كانت علنية وشائعة في المرحلة البائدة، ومع ذلك فهو يتشبّث ببعض السلوكيات الخاطئة التي تمارس سراً أو جهراً في هذا الوقت، معتبراً إيّاها دليلاً مقنعاً على اتخاذ موقف مناهض للنظام أو اللجوء إلى الصمت والتجاهل والإعراض.

كما أنه يتناسى كذلك آلاف الحالات من السلب والنهب والإغارة على أموال الناس في تلك الحقبة، ولكنه يعتبر حالة أو عدة حالات مثيرة للشك في زمننا هذا دليلاً على عدم تمسك النظام بالقوانين الشرعية، وهلمّ جرّاً!

إنّ تيار اللامبالاة في الحوزة يعتبر أنّ الطريق الوحيد للحكومة هو الحكومة المعصومة المبرّأة من العيوب والنقائص، ولا يعتبر السعي في الحد من الأخطاء شيئاً مذكوراً ولا يعيره أدنى قيمة أو احترام، غافلاً عن أنّ كافة الحكومات في المجتمع البشري ـ وحتى حكومة الإمام المعصوم عليه السلام ـ

عادة ما تتعرض للتعامل مع شرذمة من المخطئين والمذنبين. وإلا فإن حكومة الإمام علي عليه السلام نفسها قد ابتليت ببعض الولاة والقادة البارزين الذين تلوثوا بالجريمة والفساد أحياناً، ووقعوا في الخطأ والقصور أحياناً أُخرى.

ولكن تيار اللامبالاة في الحوزة يغضّ الطرف عن مثل هذه الحقائق التاريخية الواضحة، ويطالب مدراء النظام ومسؤوليه التنفيذيين بحكومة مبرّأة من كافة النقائص والعيوب وحينما لا يجد مثل هذا، يتظاهر بأنه لا يتوقع شيئاً ولا يأملُ خيراً، وينأى بنفسه بعيداً عن الصفوف الأصلية للثورة.

إنّ هذا التيار ظل ساكتاً ولم ينبس ببنت شفة حتى الأمس القريب؛ فقد كان يفضل الصمت إزاء كافة المفاسد والانتهاكات التي كانت ترتكب في عهد النظام السابق دون إدانتها واستنكارها بالأدلة الشرعية والنقلية المختلفة. إنه لم يقل سوى آية: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]، وكان يدعو القائمين إلى القعود والقاعدين إلى السجود. فما له كان يعظم الدوريات الليلية في زقاقه ومنطقته ويمرّ من جوارها بخوف وخضوع، ثم نجده الآن وقد تحوّل إلى خبير بالحقوق والواجبات فيعتبر أنّ من واجبه مكافحة الخطأ والفساد، مشمّراً عن ساعديه في المحافل الخاصة والعامة يرتجز الخطب اللاذعة وقد رفع شعاراته وراياته!

إنّ تيار اللامبالاة في الحوزة يستغل حلم النظام وتسامحه ، ويتخذ من قربه من النظام سبيلاً إلى الوقاحة وسوء الأدب، ويتذرّع بها في التعامل بغطرسة وخيلاء، ويأمل أن يتصرف النظام معه بمذلّة وخضوع، ويكرر نفس السلوكيات القديمة والمتداولة التي كان يتّبعها العلماء مع الحكومات والأنظمة، ويستعيد الشتائم والهمزات واللمزات التي كانت سائدة في الماضي، ويحلو له استذكار ما كان في العهد البائد من لطائف ونكات،

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

متجاهلاً في بعض الأحيان هذه الحقيقة وهي أنّ النظام الإسلامي أيضاً، شأنه في ذلك شأن السلطات السابقة، لا ينقصه السوط والعصا، وباستطاعته استخدامها عندما يريد، ولكنه يتحلى بالحلم والصبر.

وهذا التسامح والتجاهل لا ينبغي أن يؤدي إلى الصلافة والإساءة وتطور الأوضاع بشكل لن يكون مطلوباً لأنصار هذا التيار، كما لن يكون حسناً ولائقاً بالنسبة للنظام:

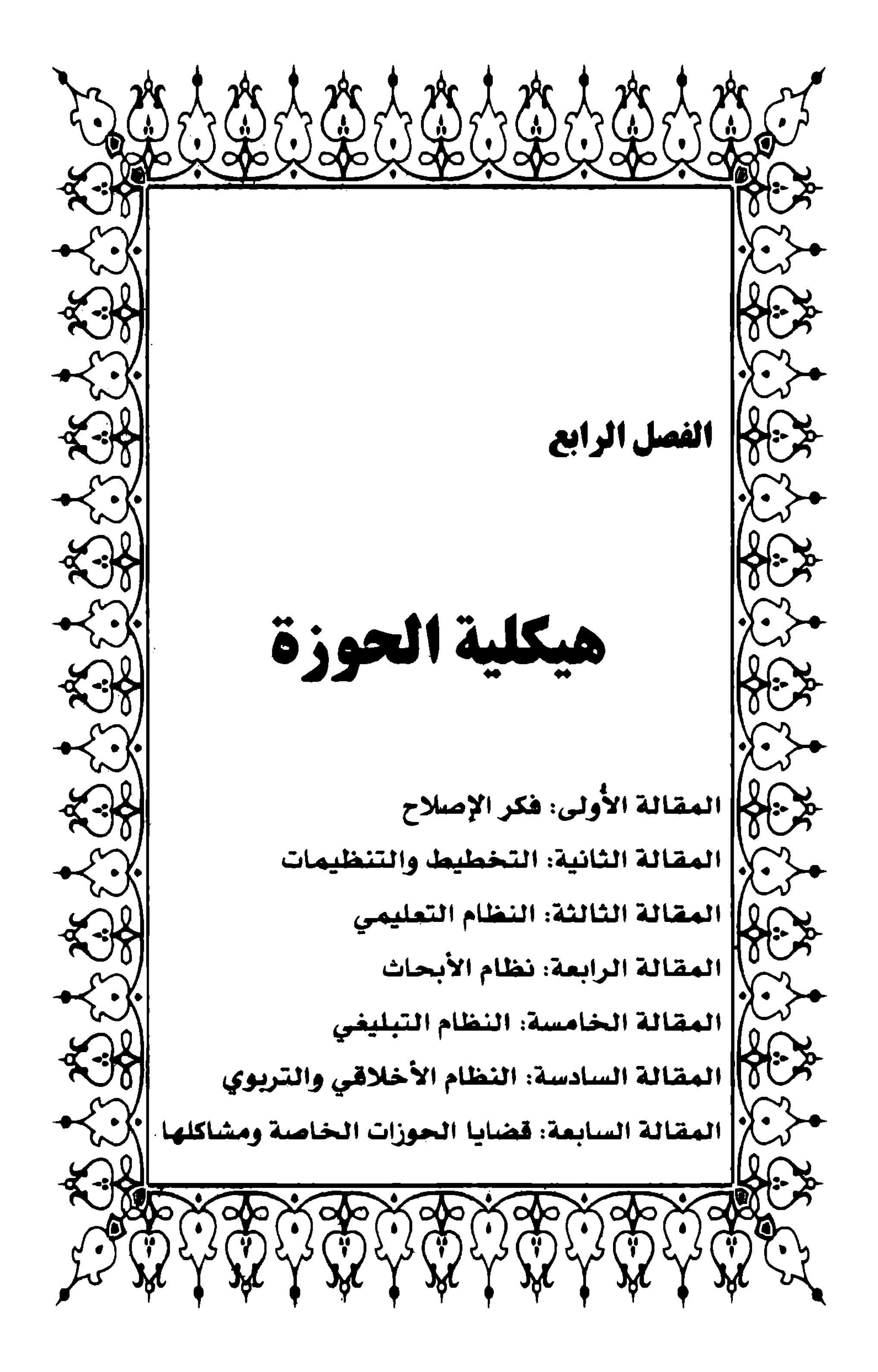
«إنّ البعض يتحدثون اليوم وكذلك يكتبون ويخطبون على المنابر ويبلّغون كما كانوا يفعلون قبل الثورة، وكأن ثورة لم تقم في هذا البلد، وكأنه لم يحدث إحياء للإسلام ولا اهتمام به، ولا إحياء للقرآن، وكأن الشريعة الإسلامية لم تصبح أساساً للنظام الإداري في البلاد، كأن كل هذا لم يحدث! إنهم غير مهتمين بالنظام، ولكنهم في غاية الحدة والدقة إزاء بعض المشاكل والنواقص!

إننا نعرف البعض ممن لم يتفوّهوا بكلمة واحدة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في مواجهة كل تلك المفاسد التي كانت شائعة في عهد الحكومة الطاغوتية! أما الآن، وقد أخذت جلّ الأمور أو معظمها تتجه نحو الصلاح والرشد والتقوى والحاكمية الدينية في عهد النظام الإسلامي، فإنهم باتوا يشعرون بالحساسية ويعبّرون عن احتجاجهم ومعارضتهم بمجرد حدوث مشكلة في مكان ما!

إننا لا نخشى المعارضة ـ فليعترضوا ـ ولكن هؤلاء الأشخاص ذوو قيمة متدنّية. إنّ الذين لا يتمتعون بالشعور بالمسؤولية للدفاع عن النظام الإسلامي هم على قدر من التدنّي والوضاعة»[1].

---

(١) حديث في لقاء مع فضلاء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٦٩/١/٤هـ ش.



الفصل الرابع

هيكلية الحوزة

المقالة الأولى: فكر الإصلاح

المقالة الثانية: التخطيط والتنظيمات

المقالة الثالثة: النظام التعليمي

المقالة الرابعة: نظام الأبحاث

المقالة الخامسة: النظام التبليغي

المقالة السادسة: النظام الأخلاقي والتربوي

المقالة السابعة: قضايا الحوزات الخاصة ومشاكلها

المقالة الأولى

فكر الإصلاح

- تاريخ الفكر الإصلاحي
- الشعور بواجب القيادة
- الخصائص الضرورية للتحول

تمتلك المؤسسة الحوزوية جذوراً في التاريخ القديم، وإنّ المساعي التي بذلها المخلصون والمضحّون من أبناء هذه المؤسسة تتلألأ على غرّة الحياة العلمية والمعنوية للبشر وتفصح عن مدى قوة الإنسان في النهوض والاعتلاء والتحليق في الآفاق. ومع كل ذلك، فإن هذه المؤسسة المباركة لم تكن منزّهة عن كل عيب ونقص، ولم تصل إلى الذروة من مدارج الرفعة والكمال.

وفي القرن الأخير على وجه الخصوص، حيث تضاعفت نسبة ما نتوقّعه من الحوزة، فإنه يبدو من الأهمية بمكان ضرورة إدخال تغييرات على نسيج الحوزة التقليدي العتيق؛ كي تستطيع تلبية الحاجات الداخلية والخارجية وتبرز قابليتها على العمل والنشاط.

وقد تحدث سماحة القائد مرات عديدة حول المحاور المهمة والأساسية لإصلاح الحوزة، ونبّه إلى ضرورة التأمل والتعمّق فيها، ومنها ما قاله سماحته:

«إنّ بعض هذه القضايا عبارة عن: جدولة المراحل الدراسية لطلبة الحوزة في قم، وأيضاً فروعها التخصصية وموادّها الدراسية، وتوفير الكتب الدراسية المناسبة أو إدخال تغييرات على الكتب الدراسية الحالية عند الإمكان، وتحديد مدارس للفروع المختلفة بحيث تدار طبقاً لبرامج دراسية معينة، وإنشاء مدارس خاصة لتخريج من يعملون في الوظائف الخاصة أو المناسبة لعلماء الدين، وتعيين وثائق وشهادات حوزوية خاصة للمراحل العلمية المختلفة، والتعرّف على القابليات البارزة في مجال البحث أو الدراسة وتوفير

الإمكانيات اللازمة من أجل تنشئتها وإعدادها، وحل المشاكل المتعلقة بالأوضاع المعيشية للطلبة.

وسنّ قوانين وأنظمة لكيفية الحياة العامة لهؤلاء الطلبة، وإنشاء دروس تهتم بالأخلاق، ونشر المعنويات والسلوك الروحي، وبثّ روح الزهد والعفاف والبساطة وغيرها في الحوزة، وإنشاء أقسام علمية ذات طموحات حديثة وتوجّهات خلّاقة ودعم كل ما يوجد منها الآن في الحوزة، وإنشاء مدارس خاصة لتخريج المبلّغين والمدرّسين للعمل داخل البلاد وخارجها»[1].

إنّ الكم الهائل من الأمور التي تحتاجها الحوزة كان ومازال على قدر كبير من الأهمية ؛ مما دفع سماحة القائد للتعبير عن قلقه؛ فقد صرّح سماحته في حديث له بالمدرسة الفيضية (عام ١٩٩١م) قائلاً:

«إنني عندما أفكر أحياناً بشؤون الحوزة العلمية، تنتابني حقيقةً حالة من الحيرة والاضطراب»[2].

ومن جهة أُخرى، فإن المعارضين للفكر الإصلاحي في الحوزة يستندون إلى ما للحوزة من تراث قيّم وعتيد، ويحتجّون بأن هذا النظام القديم والتقليدي هو نفسه الذي منحنا جميع تلك الشخصيات العلمية والمعنوية البارزة.

إنهم يعتقدون بأن هذا القالب هو الوحيد القادر على العطاء والخلّاقية! ولكن سماحة القائد أكّد خطأ هذا الاعتقاد عدة مرات في أحاديثه، ومن ذلك قوله:

---

(١) بيان إلى جماعة مدرسي الحوزة العلمية في قم بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ. ش.

(٢) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

«إنّه لا ينبغي لهم القول: بأن علماءنا العظام هكذا درسوا حتى وصلوا إلى هذه المنزلة الرفيعة، فعلماؤنا العظام لم تكن لديهم أدوات ووسائل. إنّ شخصية مثل ابن سينا لو كان قد درس بنفس هذه الإمكانيات الموجودة اليوم، لكان قد أتحف البشرية بما يجعل العالم مديناً له على مدى ألف سنة أُخرى.

إنّ هؤلاء لم تكن عندهم إمكانيات، وهكذا عاشوا، ولكن الإمكانيات متوفرة اليوم، وهناك تقدم وتطور ملحوظ. إنه لا ينبغي لنا أن نقتصر في الاستفادة من التقدم التقني على مجرد المصباح الكهربائي فحسب، بل يجب أن نستفيد أيضاً من الأدوات والوسائل التي تساعدنا على العمل»[1].

كما يقول سماحته في حديث آخر:

«إنّ الكتب الدراسية هي إحدى المشاكل التي تعاني منها حوزة قم العلمية والحوزات العلمية الأُخرى؛ فعندما نتحدث عن هذه الكتب نجدهم يقولون: إنّ ذلك العالم الكبير أو ذلك الفقيه قد درس هذه الكتب! وأما الذين هم أكثر ثورية فإنهم يقولون: إنّ الإمام درَس نفس هذه الكتب والدروس فأصبح إماماً! فهل أصبح الإمام ـ حقيقةً ـ إماماً لأنه قرأ نفس هذه الدروس؟

إنّ الأمر ليس هكذا، فالإمام كان يتمتع بذات خاصة وجوهر متميّز، وإنّ الذي تجدونه في عظمة الإمام ليس لأنه درَس هذه الكتب. ثم إنّ ستين أو سبعين سنة قد مرّت الآن على ذلك العصر الذي درس فيه الإمام الراحل ﵀ تلك الكتب»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث في جمع من علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

تاريخ الفكر الإصلاحي

يمثّل الفكر الإصلاحي في الحوزة حلماً قديماً، وقد أصبح هذا الأمر أكثر إلحاحاً وجدّية منذ ذلك العصر الذي أخذت فيه الأمة الإسلامية والثقافة الدينية تخوض الصراع في مواجهة قوة الغرب وسطوته. على أنّ آراءً إصلاحية قدمت حيال موضوعات مختلفة من قبيل: التنظيمات الحوزوية، ومؤسسة المرجعية، والمنهج الدراسي، والنظام التبليغي، وسواها من عشرات القضايا، ولكن هذه الطرق والأساليب لم تؤت ثمارها المرجوّة كما ينبغي.

ورغم حدوث بعض التغييرات فإنها لم تكن مساوقة لحجم متطلبات الزمان واقتضاء العصر، فضلاً عن أنّ الكثير من الحركات الإصلاحية قد توقفت عند بداية الطريق، بل إنها لم تتجاوز أول كلمة وأول فكرة في هذا المضمار.

وكمثال على ذلك ينقل سماحة القائد إحدى ذكرياته عن المرحوم العلامة الأميني وكذلك المرحوم السيد حسن التهامي أحد علماء بيرجند البارزين، فيقول:

«لقد كان يقول: عقدنا اجتماعاً مع المرحوم السيد أبي الحسن الأصفهاني، وتقرر في هذا الاجتماع أن يكون لطلبة الحوزة برنامج ونظام جديد، وأن يدرسوا بعض العلوم الحديثة، ويتعلموا إحدى اللغات الأجنبية، وأعلن سماحته عن موافقته على ذلك، وتقرر إعداد برنامج لهذا الغرض.

وعندما ذهبنا إليه لعقد الاجتماع الثاني جلسنا بانتظاره في الغرفة الخارجية، فأطل علينا قادماً من حجرته الخاصة ثم وقف عند الباب، فقمنا احتراماً له وإجلالاً، كان يرتدي جبة مفتوحة الأزرار، وخاطبنا قائلاً: إنني لا

أريد الجلوس، ولكنني فقط أردت إبداء ملاحظة لكم أيها السادة، وهي أنّ هذه الأموال وهذه الرواتب الشهرية التي أمنحها للطلاب ملك شخصي لي، فأنا أقترضها ثم أعيدها إلى أصحابها بعد تسلّم الحقوق الشرعية، وعلى هذا الأساس فإن الحقوق الشهرية التي أدفعها هي ملك لي ولست أرضى بأن ينفق أحد سهم الإمام وهذه الحقوق الشهرية ويدرس في الحوزة شيئاً آخر غير الفقه والأُصول، وعندما أنهى حديثه أغلق الباب وانصرف»[1].

وبهذا الشكل، فإن الفكر الإصلاحي رغم قدمه وعراقته إلا أنّ روح العصر لم تجاريه ولم تتناغم معه، مما عرقل الأفكار وأصابها بالعقم. لقد ضاعت الفرص بكل بساطة، بل إننا لم نستثمر وجود الإمام كما يجب وينبغي في هذا السبيل، ولم نستفد من تلك القوة الخلّاقة التي كان باستطاعتها القيام بدور فاعل في إدخال تغييرات واسعة على الحوزة.

وقد عبّر سماحة القائد عن أسفه في هذا المجال عندما قال:

«لقد أضعنا فرصة عظيمة خلال تلك السنوات العشر أو الاثنتي عشرة، وهي فرصة وجود الإمام؛ ففي زمان وجود الإمام، ومع أنه كان عازفاً نوعاً ما عن قضايا الحوزة ـ أي أنه لم يكن شديد الرغبة في التدخل في شؤون الحوزة ـ إلا أن عقله كان يموج بالأفكار، وكان علينا ـ نحن طلبة الحوزات والمهتمين بقضاياها ـ استثمار تلك الفرصة على نحوٍ ما، وهو ما لم يحدث. وربما كان كل منا مشغولاً بشكل أو بآخر، ولكن لا يجب أن تضيع هذه الفرصة أكثر مما ضاعت»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع هيئة تحرير مجلة «الحوزة» ١٣٧٠/١١/٢٨هـ ش.

الشعور بواجب القيادة

يعتبر إصلاح الحوزة من الآمال القديمة عند سماحة القائد؛ فلقد كان يفكر في ذلك منذ أمد بعيد، ووضعه في مقدمة أهدافه الأولى، وعبّر عن أمله هذا قولاً وعملاً في كافة المناسبات. ولم تكن هذه الرغبة وليدة الصدفة، وهو الذي نشأ وترعرع في الحوزة، ويعتبر نفسه ابناً لها، وقد أغدقت عليه عطفها، وكان ينشد الهدوء والاطمئنان تحت ظلالها الوارفة. ولقد كان سماحته يقول دائماً:

«إنّ حبّي العميق لقضايا الحوزة هو من نوع ذلك الحب الذي يشعر به الإنسان تجاه نفسه وما يختص به»[1].

إنّ هذا الحب هو الذي يقوّي عند سماحة القائد الرغبة في إصلاح الحوزة، والبحث عن طاقاتها وقابلياتها، ودعم قافلة فكرة التطوير والإصلاح بكل ما أُوتي من قوة وإحساس، ووضع المشاعل على طريق ركب الإصلاح بما لديه من نصائح وإرشادات:

«إنني أشعر بالمسؤولية الشخصية في هذا المجال، وما أشعر بأنه واجب عليّ سأقوم بتنفيذه إن شاء الله على نطاق خاص دون انتظار لتحقيق الظروف الخاصة. وإذا ما شعرت بأنه ثمة تكليفاً شرعياً ينبغي إنجازه فوراً في هذا المجال، فإنني لن أتمهّل في القيام به بقدر ما يخصّني بإذن الله. غير أنّ الواجبات والمسؤوليات الأساسية تبقى ملقاة على عاتقكم أنتم أيها السادة من فضلاء الحوزة والمدرّسين وكافة الطلبة وسماحة المراجع العظام»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

الخصائص اللازمة للتطور

لقد بيّن سماحة القائد الأصول والقواعد الكلية لحركة الإصلاح الحوزوي فضلاً عما قدّمه من إشارات جزئية وصريحة. ولابد أن تكون هذه الأصول في متناول المشاريع والمقترحات الإصلاحية، ومن ثم تقديم وجهات النظر المتخصصة:

١ـ الإصلاح لا التغيير:

إنّ الحوزة، بالرغم مما يعتريها من نقاط ضعف، تتمتع بمميزات إيجابية لا ينبغي تجاهلها أو محوها والقضاء عليها جرّاء التطرّف والعواطف المتأجّجة.

ولقد عبّر سماحة القائد دائماً عن اهتمامه الفائق بهذا الأمر بما يدفع أصحاب المشاريع والمقترحات إلى تجنّب فكرة التغيير ويدعوهم إلى ضرورة الالتزام بفكرة الإصلاح دون سواها:

«عندما يدور الحديث حول الحوزة وتنظيماتها وإعادة بنائها، يجب أن لا تنصرف الأذهان سريعاً إلى التفكير في أننا نريد تقويض كافة دعائم الحوزة. كلا، فالأمر ليس هكذا أبداً، بل ينبغي الاستفادة مما في حوزة قم العلمية من أصالة وتراث قيّم مع إعادة التنظيم والترتيب واجتناب التكرار»[١].

٢ـ التآلف والتضامن:

ليس لحركة إصلاح الحوزة قمة أو قاعدة، ولا ينبغي الإلقاء بها في خضمّ القلاقل والاضطرابات الفئوية وتأليب طبقة حوزوية ضد أُخرى. فالحوزة كيان واحد متماسك لا يمكن أن ينعم بالإصلاح إلا في ظل التعاون العام والشامل.

---

(١) المصدر السابق.

يقول سماحة القائد في حديث له أمام لفيف من ممثلي طلبة الحوزة العلمية:

«يجب أن لانفكر بأن على الطلبة العمل على غرار القوى الثورية حيث انطلقت الثورة أحياناً من القاعدة لتصل الى الرؤساء، ووجد الرؤساء أنفسهم أمام أمر واقع أنجزته القاعدة. فلا يتصور طلبة الحوزات أن باستطاعتهم القيام بثورة من القاعدة إلى القمة وتغيير الحوزة بالشكل الذي يريدون، حتى إذا ما تمّ لهم ذلك توجّهوا إلى المراجع والكبار قائلين: تفضلوا، ها هي الحوزة، فعليكم بإدارتها!

إنّ هذا أمر مستحيل وغير جائز؛ لأنه لا توجد هنا مواجهة في الحوزة بين الطبقة السفلى والطبقة العليا كتلك المواجهة بين العامل وصاحب رأس المال وبين الفلاح والمالك، بل إنّ الجميع في الحوزة يعتبرون كياناً واحداً لا يتجزّأ، ففيه المثل الأعلى ومن يشار اليهم بالبنان، وفيه من سيؤدي به المسير إلى نفس هذه المكانة في نهاية المطاف»[1].

٣ـ تجنّب العجلة والتسرّع:

إنّ مشروع إصلاح الحوزة لهو أمر خطير وعظيم، فيجب تجنّب الاستعجال وتعريض هذا الكيان الشامخ لسياسة «التجربة والخطأ» وإحداث كيان مزعزع ومتهالك على أنقاض هذا الصرح العتيد، وجعل هذا التراث الخالد في مهبّ العواصف والأنواء.

وفي نفس الوقت فإنه لا ينبغي القيام بحركة الإصلاح بتمهّل وبطء ولا حتى الحد من السرعة التي تسير على وتيرتها:

«لابد من اتخاذ خطوات سريعة في قم، ولابد من القيام بعمل واسع جداً وشامل وواعٍ وناضج وذي مضمون عميق، ولكن دون عجلة أو طيش»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث في جمع من طلبة العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

٤ ـ عامل الزمان:

إنّ حركة إصلاح الحوزة لن تؤتي أُكلها في يوم واحد ولن تترعرع وتثمر خلال لحظة واحدة، فعلى المخططين والمنظّرين أن يعلموا بأنه لابد من مرور الوقت حتى يخرج هذا النظام على أبهى صورة وأفضلها، مع تجنّب الضرر وإهدار الإمكانيات.

وقد ركّز سماحة القائد على هذه النقطة، وقال في حديث له لدى لقائه بأعضاء المجلس الأعلى للحوزة:

«إنني لا أتعجّب من أنكم تحتاجون إلى عامين أو ثلاثة على الأقل حتى يكون باستطاعتكم البدء بتنفيذ هذه القرارات؛ وذلك لأنه متى ما شرع الإنسان في أمر فإن الحاجة إلى إصلاحه ستظهر بالتدريج.

إنّ إقرار قانون للعمل به على مدى سنوات طويلة يحتاج إلى الكثير من الوقت، حتى إن البدء في تنفيذه يحتاج إلى سنتين أو ثلاث على أقل تقدير، وهذا لا يبعث على التعجب، بل هو الشيء الصحيح»[١].



(١) حديث في لقاء مع أعضاء المجلس الأعلى للحوزة ١٣٧٢/١٢/١٦هـ ش.

المقالة الثانية

التخطيط والتنظيم

- ضرورة التخطيط
- متطلبات التخطيط
- المتطلبات التنفيذية للتخطيط
- الأُصول العامة في التخطيط
- وجهات النظر التخطيطية
- هيكلية التنظيم
- الاستقلال عن الحكومة، ومساندة النظام

قضت الحوزة قروناً طويلة بشكلها البسيط الخالي من التعقيد، والعلماء كغيرهم من الفئات الاجتماعية الأخرى كانت لديهم مؤسسة صغيرة بفضل البساطة وعدم تعقيد المسؤوليات، وكان هذا الوضع متناسباً لظروف تلك الحقبة ومتطلبات ذلك العصر.

وكمثال على ذلك، فإننا نجد أن قمة الهرم الحوزوي ـ أي مؤسسة المرجعية ـ كانت غالباً ما تفتقد إلى التنظيمات البدائية والبسيطة حتى المرحلة الأخيرة. فقد كان المراجع يتابعون القضايا والأمور بأنفسهم، ويجيبون شخصياً عن الرسائل والاستفتاءات، وإضافة إلى العكوف على التدريس والبحث إلى آخر حياتهم، فإنهم كانوا يقضون حوائج الناس بأنفسهم دون الاعتماد على موظفين لهم لإدارة الأمور. وهكذا كانت الفئات الحوزوية الأخرى كالمدرسين والباحثين وسواهم دون اختلاف في أسلوب العمل والحياة.

وكان الحال كذلك أيضاً بالنسبة للعلاقات الداخلية في الحوزة، حيث كانت تسود البساطة والسهولة، فالعلاقات كانت قائمة على المعرفة الشخصية وما يتمتع به الشخص من مميزات وخصائص داخل المؤسسة. وكان التقدم العلمي والقيم الإنسانية وما إلى ذلك هي المعيار لتحديد قيمة الشخص ومنزلته بين طلبة الحوزة وفضلائها. ولم تكن هناك وثيقة أو شهادة دراسية سوى اعتماد شهادات الاجتهاد والرواية، فالمعرفة العميقة بين الأشخاص كانت هي ميزان كل شيء، ولم يكن هناك إحساس بضرورة وجود شهادة أو توثيق.

وهذه المؤسسة البسيطة ـ كما أشرنا ـ كانت متناسبة مع مهام الحوزة في تلك الأيام، ولم تكن ثمة مشكلة في الغالب، فالنسيج الطبيعي للمجتمع كان يقتضي ذلك، وكانت الحوزة هي الأخرى تعمل بما يتناسب مع مقتضيات مجتمعها وزمانها. ولكن عدم قابلية وكفاءة هذه المؤسسة البسيطة أخذ في الظهور خلال القرن الأخير؛ بسبب زيادة حجم المتطلبات وكثرة المراجعات المختلفة والتردد على العلماء وتعقيد البيئة الاجتماعية وغيرها. ولذا لم تعد تلك التنظيمات الصغيرة والضيّقة قادرة على استيعاب الحوزة بما لها من مسؤوليات جسام في العصر الحاضر، وهو الأمر الذي أخذ يلقي بظلاله الكثيفة على مجمل البناء الحوزوي، حتى إنه يمكن أن نطلق على الفترة الأخيرة مصطلح عدم الانتظام والترتيب في الحوزة:

«إنّ عيبنا الكبير هو أن البناء الحوزوي لا يتمتع بكيان منظم ومتّسق؛ أي أنكم تجلسون الآن في «دامغان» مثلاً، وتناقشون مع طلابكم أحد البحوث الإسلامية أو أنكم تبحثونه وحدكم منفردين، وذلك دون أن تعرفوا أن هناك عالماً آخر في «شاهرود» ـ التي تبعد قليلاً عنكم ـ قد جلس يحقق في نفس هذا الموضوع ويفكر حوله، أي أننا لا يعرف أحدنا شيئاً عن الآخر. فما بالنا إذا حدث نفس هذا الأمر في مدينتين متجاورتين أو حتى في المدينة الواحدة دون أن يعرف هذا شيئاً عن ذاك، مع أنّ العمل الجماعي والمشترك قد بات الآن أمراً سائداً في العالم»[1].

لقد سيطرت على الأذهان فكرة عدم الانضباط والتنظيم في الحوزة، وهو ما جاء إلى الوجود بتلك الجملة المشهورة التي تقول: (إنّ انضباط الحوزة هو في عدم انضباطها).

---

(١) حديث في لقاء مع علماء وفضلاء دامغان ١٣٦٧/٤/١٥هـ ش.

وقد انتقد سماحة القائد هذه الذهنية التقليدية، وأشار إليها قائلاً:

«إنّ الانضباط هو نقيض التسيّب، والضدان لا يجتمعان؛ فعدم انضباطنا هو في عدم انضباطنا، وتأخرنا هو في عدم الانضباط»[1].

إنّ الانضباط الفردي لم يكن قليلاً بالحوزات؛ فكم من المراجع والأساتذة والباحثين والطلاب الذين كانوا يستثمرون الفرص من خلال تنظيم أوقاتهم بعناية ودقة، ولكن الذي كان واضحاً في الحوزات هو انعدام «الانضباط الجماعي»؛ فالعلماء والحوزويون كان ينقصهم النظام والمؤسسة المناسبة، ولم تكن العلاقات الداخلية والخارجية قائمة على أساس تنظيمي متين، مما كان سبباً في عدم النشاط والاستفادة كما ينبغي:

«إنّ عدم الانضباط كان واحداً من أكبر عيوبنا في الحوزات؛ فعدم الانضباط كان هو الأساس في عمل الحوزات، ولا يعني هذا أنه لم يكن هناك انضباط على الإطلاق. كلا، فلقد كان هناك نوع من الانضباط على كل حال. فالأساتذة والطلاب كانوا يحضرون إلى الدروس في الساعة المحددة، أو أنهم كانوا يراجعون دروسهم بعد صلاتي المغرب والعشاء.

فهذا النوع من النظام كان موجوداً في الحوزات، وكان هناك أشخاص يستفيدون على أفضل وجه. ولهذا، فإنني لا أقصد هذا من الانضباط، ولكنني أقصد وجود نظام دراسي دقيق ومبرمج ومحسوب، فهذا هو النقص الذي كان ومازال سائداً في حوزاتنا»[2].

لقد استجدّت في الحوزة متطلبات بعد انتصار الثورة الإسلامية واستقرار دعائم حكومة دينية في البلاد، وذلك من قبيل: تلبية الحاجة الفكرية لمساحة

---

(١) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب المدارس العلمية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء وطلاب حوزة مشهد العلمية ١٣٧٦/٦/١٠هـ ش.

كبيرة وواسعة من المخاطبين، وسنّ خطط وقوانين دينية للحكومة، وتربية الكوادر الكفوءة التي تتناسب مع النظام، وعشرات القضايا الأساسية الأُخرى.

إنّ هذا الحدث كشف عن عدم كفاءة المؤسسة الحوزوية أكثر من ذي قبل، وجعل العثور على حل في هذا الصدد أمراً أكثر وضوحاً وإلحاحاً.

وحول أهمية إيجاد نظام مناسب للمؤسسة الحوزوية، يقول سماحة القائد:

«إنّ الحوزة نظام يتمتع بأهمية وحجم يفوق ـ في أحد أبعاده ـ أية جامعة أُخرى، ولكنها تفتقر إلى ما يجب أن تمتلكه أية مؤسسة علمية على هذا القدر من العظمة؛ أي أنّها تفتقر الى جهاز إداري واضح ومنظم ومتناسق.

لقد كتب لي أحد الطلبة رسالة يقول فيها: إننا في الحوزة لا ندري إلى من نتوجّه ومن نراجع! فنحن نؤدي الامتحانات في مكان، ونستلم الرواتب الشهرية في مكان آخر، ولكن عندما تكون لدينا مشكلة حول الدروس، أو عندما نريد الاعتراض على شيء ما، فكل من نقصده يقول لنا: هذا ليس من اختصاصي! فلا تستصغروا مثل هذا العيب»[1].

إنّ التخطيط المناسب سيكون أول خطوة ينبغي اتخاذها لدى التفكير في العثور على حل من أجل بناء الحوزة، وعلى هذا الصعيد فإننا سنواصل كلامنا بالحديث حول التخطيط وضرورته وموازينه.

ضرورة التخطيط

لم تكن الحوزة تمتلك برنامجاً واضحاً ومعيّناً تعتمد عليه في نتاجها الفكري والإنساني، ولهذا فإن الطالب كان في حيرة، لا يدري ماذا يدرس ولماذا يدرس، وما هو مستقبله الوظيفي، فكل شيء كان مبهماً بالنسبة له

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

وللآخرين، وكان يعمل ويتحرّق ويعدو وحده، حتى إذا زلّت قدمه لم يجد مُعيناً ولا مرشداً يأخذ بيده... وكان شديد المعاناة من مثل هذه الآلام:

«إنها لحقيقة أننا متخلفون عن التخطيط سنوات طويلة، إن لم نقل قروناً عديدة. لقد التحقنا بالحوزات العلمية بعيون مغلقة، وأمضينا فيها أعواماً مديدة بلا برنامج أو خطة محددة. وفي الواقع، فإنه كانت تحكمنا خطة تقليدية ذاتية»[1].

إنّ فرصاً ثمينة قد ضاعت ـ وللأسف ـ خلال هذا القرن الأخير، فلقد كان باستطاعة الحوزة منذ عقود مضت أن تتنبّأ بمتطلبات هذا العصر عن طريق وضع خطة دقيقة ومدوّنة، وأن تعد لها العدّة من الطاقات والنتاجات الفكرية. ولكن عشرات الأسباب قد وقفت حائلاً بين الحوزة وبين الاستعداد للمستقبل والتخطيط بما يتناسب مع ظروف العصر وتلبية حاجاتها وحاجات المجتمع على ما ينبغي:

«منذ خمسين أو ستين عاماً مضت، وعندما قامت الثقافة الأوربية بغزو هذا البلد، كان من الواجب علينا العمل على التخطيط لثقافتنا، ولكنهم حالوا بيننا وبين ذلك.

لقد حكى لنا المرحوم العلامة الأميني رحمه الله قائلاً: عندما كنا في النجف، ذهبنا مع جماعة إلى المرحوم آية الله العظمى السيد أبي الحسن الأصفهاني رحمه الله وناشدناه رسم خطة محددة المعالم شكلاً ومضموناً وتطبيقها في الحوزة. فقبل بذلك في البداية، ولكن البعض أوحوا إليه بأن هذه هي مقدمة هدم الحوزة!»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب العلوم الدينية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

وفي حديث لـه مع طلبة مدرسة حقّاني، قال سماحة القائد مشيراً إلى افتقار النظام الحوزوي للتخطيط:

«عليكم أن تشكروا الله كثيراً من أجل هذه النعمة الربّانية؛ ففي العصور الماضية لم تكن الحوزة العلمية توفر للطلبة مثل هذه الإمكانيات، إننا لم نشاهد أبداً مثل هذا الأمر. فلقد كان شيئاً شاذاً واستثنائياً أن يكون الطالب محظوظاً فيجد من الأساتذة من يرعاه ويهتم به ويجيب عن أسئلته علماً وعملاً وأخلاقاً، ولكنها فرصة ثمينة بالنسبة لكم الآن وأنتم تدرسون في مدرسة طبقاً لبرنامج منظم، وتجدون من تسألونه أي كتاب تدرسون، وأي كتاب لا تدرسون، ومن هم أفضل الأساتذة الذين تتلمذون على أيديهم.

ثم إنه لأمر استثنائي أن يلقي الأساتذة عليكم أسئلة حول دروسكم أو أن يكلفوكم بالبحث حول مسألة وأخرى. إنني على مدى كافة سنواتي الدراسية لم أصادف أبداً أُستاذاً قد كلّفني بالبحث والعمل حول مسألة ما، ولم يحدث ذلك سوى مرة واحدة، وكان ذلك عن طريق الصدفة في مشهد وفي زمان المرحوم السيد الميلاني رحمه الله»[1].

متطلبات التخطيط

لابدّ من مراعاة النقاط التالية لدى التخطيط الأُصولي والموضوعي للحوزة والمؤسسة العلمائية:

١ـ تحديد الأهداف المؤسساتية للحوزة:

قبل وضع أي مشروع تنظيمي للحوزة، لابدّ من أن تكون الأهداف النظرية والعملية لهذه المجموعة مشخّصة ودقيقة وواضحة:

---

(١) حديث في لقاء مع طلاب مدرستي الشهيدين وحقاني ١٣٧٣/٦/١٤هـ ش.

«دائماً ما تطرق الذهن فكرة في مثل هذه المجموعات، وهي أنه يجب علينا أولاً أن نعرف ماذا نريد من خرّيجي هذه المدرسة، وذلك حتى نعلم أي الأساتذة نختار وأي الدروس نتخيّر وأي البرامج نضع.

فأحياناً نبدأ من الأُستاذ والبرنامج، وأحياناً نبدأ من الهدف والعلة الغائية. ويبدو أنّ هذه الطريقة ستكون هي الأكثر حصافة والأفضل نتيجة والأقل إشكالات وأخطاء»[1].

إنّ الحديث السابق، وإن كان يدور حول مدرسة بعينها، ولكنه يصدق أيضاً على مجمل الحوزة العلمية. فمن أجل التخطيط المؤسساتي للحوزة، ينبغي علينا ـ أولاً ـ أن نرى ما هو الذي نتوقّعه من خريجي الحوزة ومنتجاتها، وما هو الفراغ الذي تريد مؤسسة الحوزة أن تملأه في المحيط الثقافي والاجتماعي؟ وإذا ما اتضح جواب هذه الأسئلة، نكون قد اتخذنا الخطوة الأُولى على طريق التخطيط للحوزة.

وبالتأكيد، فإن بيان هذه الأهداف لابد وأن يخرج عن نطاق الشمولية والإبهام ويدخل إلى دائرة الواقع والتفصيل، وأن يكون ثمة إيضاح وتدوين دقيق حول فلسفة وجود مؤسسة الحوزة والغاية من وراء المؤسسة العلمائية؛ وذلك حتى يتم تحقيق ووضع مقدمات التخطيط على هذا الأساس.

وقد أشار سماحة القائد إلى هذه النقطة المهمة في بقية حديثه السابق. وكما أسلفنا، فإن هذا الكلام ـ وإن أُطلق حول مدرسة خاصة ـ قابل للتعميم على مؤسسة الحوزة بأجمعها:

«إنني أعتقد بأنكم هنا لديكم شيء جديد وهدف متمايز من هذين الهدفين، وربما يكون قد تمّ تحديده أيضاً. فإذا لم يحدّد بعد، فيجب تحديده

---

(١) حديث في لقاء مع أساتذة ومسؤولي المعهد العالي للشهيد مطهري ١٣٧٢/٢/٢٠هـ.ش.

على وجه الدقة وتسجيله على الورق؛ أي أننا نكتب حقيقةً أن الهدف من هذا المكان هو تخريج أشخاص على هذه الصفة.

إنه من الممكن الحديث عن الكليات طبعاً دون الجزئيات؛ وذلك كما فعل الذي تصدّى لبناء هذا المكان، حيث قال هذا مكان لتدريس الفقه والأُصول والفلسفة والمعقول والمنقول، دون أن يعرف ما معنى المعقول أو المنقول، إلاّ أنه سمع بذلك أو أخبروه عنه. فيجب علينا أن نعرف كيف يُدرّس المعقول والمنقول في هذه المدرسة، وما هو الهدف من ذلك»[1].

وعلى هذا المنوال، فإن تعيين وتحديد الهدف هو الخطوة الأُولى للتخطيط. وبدون ذلك، فإن التخطيط والتنظيم سيبقى حلماً مجرّداً عن الواقع العملي، وسيكون مآل كافة الأفعال والأقوال إلى الفشل.

إنّ تنظيم الحوزة سيكون بوسعه التمتع ببناء راسخ وبرنامج قوي كلما تجنّب الأهداف الخرساء والمبهمة، وكلما كانت الحكمة من وجوده واضحة أمامه وبلا غموض، ومن ثم يستطيع وضع خطط قصيرة الأمد وطويلة الأمد من أجل التوصّل إلى أهدافه، مع التوفر على السبل الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف:

«إذا ما حدث هناك تنظيم، وتشكّل بدون هدف واضح، أو كان ثمة هدف ولكن بدون برنامج وتخطيط لتحقيق ذلك الهدف وأصبح التنظيم غير ذي فعالية، فإن هذا التنظيم سيتفكك ذاتياً وينمحي، وحتى لو ظل باقياً، فإنه سيبقى جسداً بلا روح، وهذه هي خصوصية التنظيم والتشكيل الإنساني.

فعليكم بتحديد الهدف وتشخيص ما تريدون عمله، وبإمكانكم استخراج الهدف من بيان الإمامﷺ[2]**، إنّ الإمام لم يقدّم اقتراحاً أو مشروعاً خاصاً في**

---

(١) المصدر السابق.

(٢) يقول الإمام الخميني قُدّس سرّه بهذا الصدد:

هذا البيان، ولكنه زاخر من بدايته إلى نهايته بالتوجيهات والإرشادات اللازمة والمعالم التي تضيء الطريق وتهدي الإنسان. فلابد أن يكون الهدف واضحاً في هذا البيان المبارك وأن يتمّ فهمه جيداً، ولقد لاحظت أنّ بعض السادة اشتغلوا عليه بصورة جيدة واستخرجوا منه نقاطاً وملاحظات، وبحثوه ودققوا فيه بعناية.

يجب علينا تحديد ما نودّ عمله في الحوزة، وانطلاقاً من هذا الهدف عليكم أن تضعوا البرنامج المناسب، ثم يأخذ كل جهاز بمزاولة عمله على أساس ذلك البرنامج.

(ليس ثمة شك في أن الحوزات العلمية والعلماء الملتزمين كانوا على مدى تاريخ الإسلام والتشيع أهم الحصون الراسخة للإسلام في قبال الهجمات والانحرافات والتحريفات.

لولا الفقهاء الأعزاء لما أمكن التعرّف على طبيعة العلوم التي يحملها الناس اليوم بإسم علوم القرآن والإسلام وأهل البيت عليهم السلام.

لقد سعى علماء الإسلام العظماء طوال حياتهم لترويج الاحكام الإلهية من حلال وحرام دون تحريف وتصريف.

إنّ جمع وحفظ علوم القرآن وآثار وأحاديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسنّة وسيرة المعصومين عليهم السلام وتدوينها وتصنيفها وتنقيحها في ظروف شحّة الامكانيات، وما كان يبذله سلاطين الجور والظلمة من طاقات في سبيل محو آثار الرسالة لم يكن بالعمل الهيّن، ونحن اليوم وبحمد الله نرى نتيجة تلك الجهود في الآثار والكتب المباركة مثل (الكتب الأربعة) وكتب أُخرى للمتقدمين والمتأخرين في الفقه والفلسفة، والرياضيات والنجوم، والاصول والكلام، والحديث والرجال، والتفسير والأدب، والعرفان واللغة، وشتى مجالات العلوم المتنوعة، إذا لم نطلق على هذه الجهود والمعاناة اسم الجهاد في سبيل الله، فماذا عسانا أن نسمّيها؟!

إنّ الحديث ليطول في البعد العلمي لخدمات الحوزة العلمية مما لا يسعه هذا المختصر، وبحمد الله فإن الحوزات غنية ومتجددة بلحاظ منابع وطرق البحث العلمي والاجتهاد، ولا أتصور وجود طريقة أنسب للتحقيق المعمق في جوانب العلوم الإسلامية غير تلك التي كان عليها السلف من العلماء.

ويشهد تاريخ ألف سنة من تحقيق وتتبع العلماء الواقعيين للإسلام على ادعائنا في نماء بذرة الإسلام المقدسة وغدوّها شجرة مثمرة). بيان ١٥ رجب ١٤٠٩هـ

إن كان بإمكانكم فاجعلوا كل طالب في حوزة قم يشعر بالمسؤولية، بحيث مثلما يركز ذهنه وفكره على برنامج الدروس والأبحاث اليومية منذ الصباح الباكر، يعرف ماذا يجب عليه عمله في سبيل تحقيق هذا الهدف، فإن ذلك سيكون إنجازاً عظيماً.

إنّ هذه هي الصورة النموذجية للعمل وهذا هو حدّه الأعلى. وحتى إذا لم يتم إنجاز هذا العمل فإنكم على الأقل ستعلمون ماذا يمكن أن يحدث في حوزة قم العلمية خلال السنوات العشر القادمة، ثم ما هو الفرق بين وضع الحوزة الآن ووضعها بعد مرور تلك السنوات العشر.

إنّ هذا في حدّ ذاته هو مواصلة لذلك الهدف، فعليكم بتحديد ذلك ووضع خطة بناءً على هذا الهدف»[1].

٢ـ تلبية الحاجات :

بعد تحديد الأهداف وبيان نطاق وظائف مؤسسة الحوزة تأتي الخطوة الثانية، وهي تقويم الحاجات ذات الأمد القصير أو الطويل داخل الحوزة وخارجها، وتحديد المتطلبات القادمة بصورة دقيقة حتى يكون من الممكن توظيف وتربية الطاقات اللازمة لرفع الحاجة طبقاً لتلك المتطلبات.

وللأسف فإن مؤسسة الحوزة لا تمتلك تصوراً واضحاً عن متطلباتها وحاجات المجتمع، فلم يتم حتى الآن إنجاز بحث علمي بهذا الصدد، وبالتالي فإن مؤسسة الحوزة لم تُقْدم مطلقاً على تخريج الطاقات البشرية وتوزيعها بشكل مناسب. ولهذا فإننا نجد بعض المناطق مكتضّة بالحوزويين، بينما نلاحظ بعض المناطق الأُخرى تكاد تخلو من الحوزويين والمبلّغين الذين يعلّمون الناس أبسط المسائل الدينية:

---

(١) حديث في لقاء مع ممثلي فضلاء وطلاب حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

«يجب علينا أن نعرف مثلاً كم من القضاة المجتهدين العادلين الذين يحتاجهم هذا البلد الإسلامي خلال الثلاثين عاماً القادمة؟ ويجب على الحوزة النهوض لتربية هذا العدد خلال هذه المدة، وذلك كما تفعل الجامعات التي تخرّج الأطباء، فإنها تقوم بتقدير عدد الأطباء الذين نحتاجهم خلال العشرين سنة القادمة مثلاً، ثم تأخذ في التخطيط حتى تستطيع أن تسدّ هذه الحاجة»[1].

وفي المقام العام لتحديد الحاجات، أشار سماحة القائد إلى خمس حاجات، هي التي سنواصل الحديث على أساسها في هذه المقالة:

أ، ب ـ حاجة النظام إلى فكر الحوزة، وطاقاتها البشرية:

مع استقرار دعائم الحكومة الدينية، أصبحت حاجات النظام تعد من مسؤوليات الحوزة والعلماء؛ ولذا فإن على الحوزة أن تأخذ باعتبارها هذه الحاجات، وأن تعد قائمة بها، ومن ثمة تعكف على إعداد البرامج والإنتاج الفكري وتخريج القوى العاملة.

ويحتاج النظام الإسلامي إلى العلماء ومؤسسة الحوزة من ناحيتين: فهو من الناحية الأولى يعتبر الحوزة مرجعه النهائي والأخير في تبيان العقيدة وعرض الأحكام الدينية، فيطلب منها العون ويعرب عن تضامنه معها. وأما من الناحية الأخرى، فإنه يعتمد على العلماء والحوزويين في قسم من إدارة النظام.

وقد تحدّث سماحة القائد بوضوح عن هاتين الحاجتين:

«أولاً: حاجة الحكومة الإسلامية، حيث إنه على امتداد التاريخ، ومنذ حكومة أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى عليهما السلام وحتى اليوم، لم تقم حكومة أُخرى بهذه الخصائص على أساس الأحكام والقوانين الدينية، ومن

---

(١) المصدر السابق.

أجل أن يعمل هذا النظام وهذه الحكومة الإلهية، فإنها تحتاج أولاً: إلى المعارف والأحكام الإسلامية.

وثانياً: إنها بحاجة في بعض المناصب إلى أشخاص يتولّون إدارة عدد من شؤون هذا النظام. والحوزات العلمية هي التي يقع على كاهلها توفير وتلبية كل من هاتين الحاجتين.

وطبعاً فإننا لا نقصد بهذا أنه من الضروري أن يتولى العلماء مسؤولية إدارة كافة الأمور أو المواقع المهمة. كلا، فإن لجميع المؤمنين والصالحين والمفكرين والباحثين موقعهم الخاص، وهناك أعمال مختلفة في هذا البلد يُسند القيام بها إلى الخبراء والمختصّين كلٌّ في مجاله. ولكن هناك بعض الأعمال الأُخرى أيضاً التي يجب أن يتولّاها علماء الدين ويتصدّون للقيام بها، وعلى الحوزة العلمية أن تتكفل بإعداد هؤلاء الأشخاص»[1].

إنّ على الحوزة، من أجل تلبية حاجات النظام، أن تنشط للعمل مع الحكومة في ارتباط فاعل ومتواصل، وتتلقّى منها المعلومات الضرورية في المجالات الثقافية والإنسانية التي تستطيع على أساسها إنجاز الأعمال العلمية والأبحاث المناسبة، وبهذا تمتلك نظرة واقعية لحاجات النظام العاجلة والضرورية والمُلحّة، ثم تقوم بتعبئة إمكاناتها المتوفرة لتلبية هذه المتطلبات.

ج ـ حاجة الشباب والمجتمع الثقافي:

يمثّل جيل الشباب ومجتمع المثقفين أو الدارسين شريحة اجتماعية خاصة تهدّدها العديد من الأخطار، وهذه الشريحة تتميز باستفسارات وتساؤلات من نوع خاص وتواجه أمواج الغزو المتعددة. وهذه الظروف تتطلب من الحوزة وعلماء الدين أن يحسبوا لهم حساباً خاصاً وأن يأخذوا حاجاتهم بنظر الاعتبار ويحاولوا تلبيتها وتحقيق ما يتطلّعون إليه:

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٤/٦/١٤هـ ش.

«إنّ الحاجة الثالثة لنشاطات الحوزة العلمية هي تطلعات المثقفين والشباب؛ فهم يمثلون فئة تقف في مهبّ الشبهات، وأول من يواجه الشبهات في كل مكان هم المثقفون والمفكرون الذين هم عادة من أوساط الشباب وأرباب الفكر والدارسين. الكثير من الناس غير معرضين للشبهات لأنّهم لا يبالون لهذه للشبهات، فهم يتحلّون بالإيمان الذي يديرون حياتهم على أساسه بشكل جيد، ولكن المثقفين والدارسين هم الذين يواجهون العالم ويتحدثون عن الدين والإسلام والمعارف الإسلامية، وكذلك حول أُصول الدين وفروعه وتاريخه، ويثيرون الشبهات باستمرار.

فلابد من وجود من يرد هذه الشبهات، وهي مسؤولية تقع على عاتق الحوزات العلمية»(١).

إنّ تلبية حاجات جيل المثقفين والشباب في المجتمع رهين بامتلاك الحوزة لثقافة إقامة الصلات والعلاقات مع هذه الشرائح الاجتماعية، وأن تفهم ما يقولون، وتشعر بما يسبّب لهم الألم والاضطراب وتقيم بينها وبينهم جسراً معنوياً.

إنّ هذين الجيلين يمثّلان البسيط والممتنع من بين الفئات الاجتماعية، فمن جهة نلاحظ أنّ الأنظار غالباً ما تتوجّه إليهم، وبالتالي فَهُم يبدون أمراً بسيطاً للوَهلة الأُولى. ولكننا نجدهم من جهة أُخرى يموجون في داخلهم بالقلق، بسبب ما يتمتعون به من أعمار ودراسات وقراءات، وهذا الباطن المتلاطم يبقى مختفياً وراء ظاهرهم الهادئ؛ مما يحول بيننا أحياناً وبين سبر أعماقهم الدفينة الهائجة.

إنّ مثل هذه المميزات تتطلب من علماء الدين بذل المزيد من البحث والتأمّل في متطلبات هاتين الفئتين (أي فئة الشباب، وفئة الدارسين

---

(١) المصدر السابق.

والمثقفين) والتسلّح بنظرة واقعية للنهوض بتحقيق أهداف الشريحتين المذكورتين.

د ـ حاجة المجتمعات المسلمة والداخلين حديثاً في الإسلام:

إنّ جماهير المجتمعات الإسلامية المختلفة وكذلك الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً أو المنشغلين بدراسته والبحث فيه يمثّلون مخاطَباً آخر للحوزات الدينية، فتلبية حاجات هذه المجموعات تعدّ أيضاً من واجبات الحوزة.

وقد أشار سماحة القائد إلى التوجّه العالمي للإسلام، وتحدث عن ضرورة الاهتمام بهذه الحاجة الواسعة:

«إنّ الحاجة الرابعة هي حاجة المجتمعات المسلمة والمعتنقين حديثاً للإسلام؛ فهناك الآن في كافة أنحاء العالم توجّه شديد نحو الإسلام، سواء من جانب أُولئك الذين كانوا مسلمين دون اعتبار الإسلام رسالة لحياتهم، مكتفين فقط بعدد من العبادات والطقوس والانزواء في المساجد، أو من جانب الذين لم يكونوا مسلمين من قبل.

إنّ الإسلام اليوم ينظر إليه على أنه رسالة حياة ونجاة من المعضلات الاجتماعية، وطريق للتخلص من مشاكل عالم القرن العشرين والحادي والعشرين الذي بات على مشارف الحلول، فهؤلاء يتوقون إلى الإسلام وينظرون إليه بهذه النظرة.

إنّ الإسلام ينتشر الآن بسرعة في البلدان الغربية، ومنها أمريكا والدول الأوربية الكبرى، وليس هذا مجرد ادعاء أطلقه من على المنبر نقلاً لخبر سمعته. كلا، فأنا أقول وبناءً على معلومات دقيقة: إنّ الكثيرين من سكان البلدان المسيحية والغربية قد اتّجهوا نحو الإسلام، فهؤلاء قد تعرّفوا على الإسلام في جامعاتهم، وهم يأتون إلينا طالبين الرأي والإرشاد حول القضايا

الإسلامية. فمن الذي يجب عليه أن يرشد هؤلاء؟ ومن الذي يجب عليه الذهاب للعيش مع هؤلاء وتعليمهم الدين والأخلاق؟ ومن الذي يجب عليه إرسال الكتب إليهم؟ ومن الذي يجب عليه توضيح المسائل الدينية لهم؟ إنّ الجواب عن كافة هذه الأسئلة يتعلق بالحوزات العلمية.

إنّ الكثير من المجتمعات غير المسلمة قد باتت تتطلع إلى الإسلام، ورغم أنهم لم يعتنقوا الإسلام بعد، إلا أنهم يريدون معرفة ما هو ذلك الإسلام الذي أتى بهذا الجهاز العظيم وأقام هذه الحكومة، ووقف في مواجهة القوى الكبرى وأصبح يدير العالم دون أن يخشى أحداً؟ وما هو ذلك الدين الذي دخل إلى معترك الحياة دون أن تنال منه الضرورات والضعف؟

فمن الذي يجب عليه إيضاح معالم هذا الدين؟ وهل نتخلّف عن أداء هذه المهمة حتى يقوم بها الجهلة أو الذين لا يعرفون شيئاً عن الإسلام، أو أُولئك الذين سمعوا عنه من خلال أقوال الآخرين؟!»[1].

هـ ـ الحاجات الداخلية للحوزة:

إنّ مؤسسة الحوزة لها حاجاتها الداخلية الخاصة كأية مؤسسة تعليمية ـ اجتماعية أُخرى، وإنّ دوام الحوزة وتكاملها منوط بإيلاء الأهمية الكافية لهذه الحاجات؛ حتى تمتلك أساساً متيناً لحياتها كمؤسسة:

«الحاجة الخامسة: هي حاجة الحوزة إلى المدرسين والباحثين والمؤلفين والفنانين في شتى ألوان الفنون العلمية المختلفة. وحالياً فإنه يتم توفير هذا الأمر في الحوزة ولله الحمد، فإن هناك الكثيرين من الباحثين والمدرسين والأخصائيين والكبار والمجتهدين المستعدين للعمل، ولكنكم إذا أخذتم بالاعتبار وضع الحوزة خلال العشرين سنة القادمة فستجدون أن هذا العدد

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٤/٦/١٤هـ ش.

قليل. وما عليكم إلا أن تدقّقوا النظر في السنوات العشرين القادمة وستكتشفون ما نحتاج إليه.

وعندئذ ستعلمون أن عدد الفضلاء الموجودين الآن في الحوزات العلمية عدد قليل.

إنّ هذا هو أحد أهم ما نحتاج إليه، فعلى الحوزات العلمية أن تشمّر عن سواعدها لتخريج الباحثين والخطباء والمبلغين؛ حتى يتمّ تلبية هذه الحاجة»[1].

وفي ضوء هذا الحديث الجامع لسماحة القائد نستطيع أن نكتشف مدى الحاجة الكبيرة والواسعة للحوزة، ومن ثم استنهاض الهمم العالية للمخططين؛ من أجل تلبية المتطلبات المذكورة، كما يجب عند دراسة هذه الأبعاد والمحاور الخمسة مراعاة الأمور التالية:

أولاً: التعرّف على نوع الحاجة.

ثانياً: تجنّب الإجمال والتعميم، والانصراف إلى العمل على الدقائق والجزئيات.

ثالثا: تقدير كميات وأبعاد الحاجات المطلوبة والمدة اللازمة لتوفير كل منها.

٣ـ دراسة الوضع الحالي:

وأما الخطوة الثالثة في التخطيط والبرمجة فهي معرفة الوضع الحالي للحوزة، فعلى القائمين بالتخطيط ـ مع الأخذ بنظر الاعتبار الهدف من وجود الحوزة، وبعد تقدير الحاجات ـ أن يدرسوا ما تمتلكه الحوزة الآن من كفاءات وما ينقصها من إمكانيات، وما هو المجال الذي ستعجز الحوزة فيه

(١) المصدر السابق.

عن توفير الحاجات المتوقّعة، أو ما هي الحقول التي يمكن أن تمنى فيها الحوزة بالعجز وعدم المقدرة.

ولهذه الخطوة، كسابقتيها، دقّتها ومعاييرها الخاصة؛ فوضع خطة ناجحة للحوزة لا يمكن أن يتمّ ما لم يدرس الوضع الحالي للحوزة بنظرة فاحصة وواقعية، ويوقف على ما ينقصها من إمكانيات بشكل دقيق.

ولقد أشار سماحة القائد ـ في حديثه حول سد الحاجات ـ إلى نوعين من النقص الذي تصاب به الحوزة:

أ ـ النقص الكمّي في الحوزة:

إنّ مؤسسة الحوزة لا تتمتع بالكفاءة في ملء الفراغ المهني بالنحو الذي يرجى منها؛ فالنقص ملحوظ وواضح في وجود عالم الدين، سواء في مجال الأعمال التقليدية أو الوظائف الحديثة في الكثير من الأحوال.

إنّ هناك تغطية واسعة لكافة المناطق على النحو المطلوب أو المناسب على الأقل، من قبل مؤسسات رجال الدين في المذاهب والأديان الأُخرى، ومنها المسيحية؛ فالمناطق الريفية والمراكز الصغيرة والكبيرة لا تخلو من قس أو راهب مسيحي، كما أنّ الكنائس والمعابد تستفيد من المبلّغين الدينيين لتلك الأديان بصورة دائمة ومستمرة من أجل إقامة المراسم والطقوس.

ولكن في مجتمعنا ـ وللأسف ـ نجد أنّ الأغلبية الساحقة من القرى وحتى النواحي محرومة من وجود عالم ديني فيها بشكل ثابت، مع أن تاريخ العلماء الشيعة يشهد بأن عدداً كبيراً من علماء الدين الفضلاء والدارسين كانوا يتوجّهون إلى التبليغ والإرشاد الديني في هذه المناطق. وأما المدن الصغيرة والمتوسطة وحتى عدد من المدن الكبرى فهي ليست أحسن حظاً

مما سبق من مناطق، فهناك ظروف مشابهة فيما يخصّ الأعمال والمسؤوليات الجديدة التي جاءت بعد إقامة النظام الإسلامي. وهذه المسؤوليات تبقى أحياناً شهوراً وسنوات في مختلف أنحاء البلاد دون أن يلتزم بها أحد، أو أنها تسند إلى أفراد غير لائقين؛ بسبب الحاجة والاضطرار.

وإنّ هذه الأوضاع في مجملها تشير إلى النقص في عدد العلماء، فضلاً عن إنها تدل على عدم توزيعهم بصورة حسنة ومناسبة إلى حدّ ما؛ فالحوزة لا تزيد من عناصرها وطاقاتها بما يتناسب مع ارتفاع عدد السكان وتنوّع الأعمال وتعقيدها، وهو ما يشير بالنتيجة إلى العجز أو التقصير في تلبية الحاجات:

«إنّ إحدى نقاط الضعف تتمثل في عدم الازدياد المناسب لعدد علماء الدين. صحيح أنّ عدد العلماء الآن وبالمقارنة مع ما مضى قد ارتفع إلى عشرة أضعاف أو حتى إلى مئة ضعف، ولكننا نفتقد مع ذلك الى الازدياد الكمّي المناسب، أي أن لدينا الكثير من المساجد والجامعات والقرى والمصانع والثكنات العسكرية والمناطق التي تفتقر إلى وجود علماء الدين.

وعلى هذا الأساس، فإن هذا العدد الهائل الذي تشاهدونه اليوم لا يعد كبيراً على النحو اللازم، وهذه نقطة ضعف واضحة لا يستطيع إنكارها أحد. ففي السابق، كان يوجد في بعض المدن الكبرى عشرة من المجتهدين الذين كان يكفي كل واحد منهم لرعاية مئتي طالب، وأما الآن فإنه لا يوجد في تلك المدن شخص واحد من هذا الطراز»[1].

ب ـ الضعف في المحتوى والكيفية:

يعود قسم آخر من نقاط الضعف إلى المقدرة العلمية والمعنوية للحوزة. وهنا يمكن الإشارة إلى العديد من هذه النقاط، حيث ركّز سماحة قائد الثورة على ثلاث نقاط بشكل خاص:

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

أولاً: عدم انتشار الفقه:

تعتبر الفقاهة وتلبية الحاجات العملية للمجتمع والحكومة الدينية من الواجبات الأساسية للحوزة. وللأسف، فإن الفقه الموجود في الحوزات لم يتطور ولم يتكامل بما يتناسب مع الحاجات الجديدة للمجتمع والنظام.

واليوم، فإن قسماً كبيراً من نقاط الضعف يتمثل في عدم تناسب الفقه الموجود الآن مع المجتمع الجديد والظروف الطارئة في الحكومة الدينية:

«إنّ الفقه ـ الذي هو علمنا الرئيسي ـ لم يطرق أبواب المجالات الجديدة، أو أنّ إنجازه كان ضئيلاً على هذا الصعيد. إنّ الكثير من المسائل توجد الآن بانتظار أن يوضحها الفقه ويجيب عنها، وهو ما لم يحدث... إنّ التوسّع والدخول إلى آفاق جديدة هو أمر ضروري بالنسبة للفقاهة، فما هو السبب الذي يجعل كبراءنا وفقهاءنا لا يستطيعون القيام بهذا العمل»؟[1].

ثانياً: عدم التطور في علم الكلام:

إنّ الدفاع عن الكيان العقائدي للمجتمع الإسلامي الشيعي يعد من الواجبات الرئيسية للحوزة. وطوال تاريخها، قامت الحوزة بدور مشهود في هذا المضمار، ولكن علم الكلام قد فَقَد الاهتمام اللازم به بمرور الأيام في العهود الأخيرة وتدنّت مكانته ومنزلته من جهة، ومن جهة أُخرى تزايدت الشبهات العقائدية الجديدة، وشقّت طريقها قادمةً إلى المجتمع الإسلامي من آفاق العالم:

«العيب الثاني: هو عدم التطور الكافي والضروري في علم الكلام؛ مما يعد كارثة حقيقية، والأنكى من ذلك هو ذهاب علم الكلام طيّ النسيان.

لقد كانت حوزة الإسلام وحوزة أهل البيت، حوزة كلامية بالدرجة الأولى، ثم فقهية، وكان كبار فقهائنا متكلمين. وأما اليوم فقد بات «الكلام»

(١) المصدر السابق.

منسوخاً في حوزاتنا العلمية، مع أنّ الغزو يأتي على أشدّه من باب المباحث الكلامية. وكما قلت: فإننا لم نكن متأخرين في الماضي، وكان هناك جواب لكل سؤال، ولكن الحوزة العلمية اليوم أصبحت لا تدري شيئاً عما يدور حولها في العالم من مباحث كلامية لا حصر لها»[1].

ثالثاً: الضعف في التبليغ:

تواجه الحوزة نقصاً كبيراً في تبليغ الدين؛ فمن ناحية يعتبر التبليغ أمراً مجهولاً بصفته علماً خاصاً وفنّاً قائماً بذاته، وهو بعيد عن كافة الأساليب الإعلامية الحديثة، ولا يعرف شيئاً عن كل ما يدخل ضمن التبليغ من علوم جديدة.

ومن ناحية أُخرى فإن التبليغ في الحوزة مازال كما كان في القرون الماضية، ولم يتجاوز الأُسلوب الشفهي والخطاب، وذلك أيضاً بطريقة قديمة وتقليدية. فالأساليب التبليغية الحديثة، ومنها التبليغ بطريقة الكتابة والصورة، ليست متوفرة في الحوزة، وحتى الآن لم تخطُ الحوزة على طريق التبليغ بالصوت والصورة خطوات أُولى:

«العيب الثالث: هو الضعف في حقل التبليغ؛ فالحوزة تتصف بعيب أساسي في مجال التبليغ، وهو أن التبليغ قد أصبح منفصلاً عن الحوزة، وليس في الحوزة قسم للتبليغ ولا دروس خاصة به.

إنّ التبليغ عمل وفن، ويمكن أن يكون علماً مستقلاً، بل إنه لكذلك، ويجب تدريسه في الحوزات. إنّ بعض المبلّغين يتمتع باللياقة والبعض الآخر يفتقر إليها، أو أنّ بعضهم يذهب للتبليغ دون أن يعرف شيئاً عن نفس التبليغ، فيتحدث إلى الناس بغير لسانهم، فالكلام الذي يجب قوله في الجامعة يقوله في القرى، وما يجب قوله في القرى يقوله في المصانع!

---

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

وذلك لأنه لا توجد في الحوزة مناهج علمية لتدريس التبليغ، كما أنّ الحوزة لا تهتم بتدريس المقدمات العلمية للتبليغ من قبيل علم النفس الاجتماعي. ومثل هذه الأمور لا يمكن إنجازها بين ليلة وضحاها، فإذا ما شرعتم اليوم بالعمل في هذا المجال واستطعتم إنتاج بعض الأعمال التي تعتمد على الصوت والصورة ـ وخصوصاً الصورة ـ فلربما لا تظهر إمكانيات الحوزة إلا بعد عشر سنوات قادمة، ولكنّ هذا هو ما ينقصنا حتى الآن، إننا لا نستفيد من الفنون، وليست لدينا كتب ومقالات ومجلات أيضاً»[1].

المتطلبات التنفيذية للتخطيط

إنّ كل خطة مهما بلغت من الدقّة والإتقان، يجب عليها أن تولي أهمية بالغة إلى متطلباتها في مرحلة التنفيذ، وإلا فإنها لن تعدو أن تكون مجرد كلمات جميلة ومنمّقة على الورق دون أن يكون لها وجود في عالم الواقع.

وكم من الأفكار الإصلاحية والبرامج المفيدة التي ذهبت طيّ النسيان وتخلّفت عن تحقيق أهدافها جرّاء الضعف في مرحلة التنفيذ والعمل؟

وفيما يلي نشير إشارة عابرة إلى بعض النقاط الأساسية:

١ـ نشر وتعميم روح الشعور بالمسؤولية:

توجد في أوساط الكبار والفضلاء وحتى الطلاب ظواهر من قبيل الحياء، والمجاملات، والهروب من المسؤولية وسواها إزاء قضايا الحوزة. فأحياناً يُنظر إلى المشاركة في التخطيط والتنفيذ أيضاً وكأنها صراع وعداء وتصفيات فئوية داخلية. ولهذا فإنهم يحرصون على تجنّب الوقوع في خضمّ تحمّل مثل هذه المسؤوليات؛ بغية الحفاظ على كرامتهم ووجاهتهم الحوزوية بين زملائهم!

---

(١) المصدر السابق.

كما أنّ البعض ينظرون إلى القضية من منظار آخر، ويفضلون لأنفسهم الابتعاد عن شؤون الحوزة؛ فهم لا يهتمّون إلا بالتدريس والدراسة، ويعتبرون النشاطات الأُخرى غير مساوقة لبرامجهم في مجال الدراسة والبحث، فيهربون بعيداً عنها.

إنّ أية خطة ناجحة في الحوزة لن تؤتي ثمارها إلا بالتخلص من مثل هذه الصفات والخصال، أو الحدّ منها على الأقل. إنّ قضايا الحوزة من السعة والتعقيد بمكان، بحيث لن يكون لها عاقبة محمودة إلاّ بالتحلي بالهمم العالية والشعور العام بالمسؤولية. وليس وجود عدد محدود في هذا المجال بكافٍ لتحقيق الأهداف المرجوّة، بل إنه من الممكن أيضاً أن يغلقوا أبواب السبل ويخلقوا المشاكل.

فعلى القائمين بمهمة التخطيط في الحوزة أن يبذلوا جهوداً واسعة من أجل بث روح الشعور بالمسؤولية وتحمّلها بين فئات العلماء المختلفة، وأن يتوسلوا بكافة الطرق والأساليب من أجل ترسيخ وتعميق هذه الثقافة.

وفي حديث مع المدرسين والفضلاء وطلبة الحوزات، بذل سماحة القائد العديد من المساعي بهذا الصدد، وحاول الدخول من منافذ مختلفة من أجل بث ونشر هذه الروح في أوساط الحوزات:

«على الفضلاء المعروفين والشخصيات البارزة وكل من يتمتع بالقبول والاحترام في الحوزة أن يتقدموا خطوة إلى الأمام، فالمسؤولية جسيمة. إنّ هذا هو تحمّل المسؤولية الذي كثيراً ما نثني عليه. عندما كنا نذهب إلى الإمام ﵀ في أيام حياته، كنا نقول لسماحته نحن والآخرون: لقد تعبنا، فاسمح لنا أن نقلل من حجم مسؤوليتنا، فكان يجيب: إنني أول من يشعر بالتعب من بينكم.

وحقاً كان يقول، فرجل في سنّ الثمانين تقريباً يتحمّل مثل هذه المسؤولية الجسيمة الملقاة على عاتقه، وقد نزل إلى الميدان كاشفاً عن صدره ومشمّراً عن ساعديه، لابد وأنه كان يشعر بالإرهاق الشديد»[١].

٢ـ الالتزام بالانضباط:

إنّ نظام الدراسة الحرة في الحوزة قد جاء معه بصفات إيجابية وأخرى سلبية إلى أوساط الحوزويين، ولم تكن هناك حتى الآن فرصة لدراسة كافة الأبعاد الإيجابية والسلبية لهذا النظام الحر والبعيد عن الضوابط والقوانين، وغالباً ما تتم الإشارة إلى صفة واحدة غير صحيحة.

إنّ النظام التقليدي للحوزة قائم على أساس حرية الطالب في اختيار الدروس منذ بداية الالتحاق بالحوزة وحتى نهاية حياته، فالطالب هو الذي يختار لنفسه المحيط الدراسي، ويختار الأساتذة، وبيده قرا ر الانتقال إلى درس أعلى، ويتخيّر عملاً ونشاطاً خاصاً من بين أعمال العلماء المختلفة.

وهذا النظام تسبّب في خلق نوع من عدم التمسك بالانضباط داخل الحوزة كمؤسسة، ولم يكن الأشخاص المنظّمون والمنضبطون قلّة في الحوزة، ولكن هذا الانضباط كان مجرد قرار ذاتي وشخصي.

وفي الوقت نفسه، فإن الانضباط النابع من المؤسسة، أو بتعبير آخر الانضباط النابع من أنظمة خارجة عن النطاق الفردي، لم يكن شيئاً متعارفاً.

إنّ وجود هذه الثقافة الخاصة والتاريخية يمثل إحدى المشاكل التنفيذية لكل برنامج في الحوزة، فمما لاشك فيه سيصطدم كل برنامج بالروح السائدة، وسيواجه بالتزاحم والمصادمات، وسينظر أي شخص حوزوي، سواء أكان طالباً مبتدئاً أو مدرساً أو فاضلاً بارزاً، إلى البرنامج على أنه مفروض عليه من الخارج، وسيتولّد لديه نوع من الصراع النفسي تجاهه.

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

ومن هذا المنطلق، فإن أي برنامج ناجح لابد لـه أن يعطي أهميـة لهـذه الظروف في مقام التنفـيذ دون تجنّب أو تجاهــل. ويبـدو أنّ ثمّـة نقطتـين تلعبان دوراً أساسياً في هذه القضية؛ فمن جهة ينبغي نـشر ثقافـة الانـضباط المؤسساتي والتنظيمي داخل الحوزة والتأكيد على مزاياه وفوائده، وذلك في حركة جماعية تدرك عمق المسؤولية وجسامتها، كما يجب اسـتخدام كافـة الوسائل والأساليب لبيان الانضباط والتوصية به.

وبعد بداية عمـل مجلـس التخطـيط بـالحوزة والإدارة المركزيـة، أكّـد سماحة القائد توصيته بهذه النقطة، فقال:

«إنّ الشرط الأساسي للتطور الصحيح والمتكامل في الحوزة، رهن النظام والانضباط والتمتع بمركزية حكيمة ونافذة ومطاعة. إنّ الضرر الوحيد للهـرج والمرج واتّباع الأذواق المختلفة بل والمتناقـضة أحيانـاً لـيس هـو اسـتمرار الحرمان من حركة صحيحة ومنطقية وتقدّمية فحسب، بـل إنـه أيـضاً يمهّـد الأرضية لنشأة تحول خاطئ وحركات ضارّة وغير منطقية.

إنّ حوزتنا العلمية اليوم، وبما تحمله على كاهلها من مـسؤوليات عظـام وما ستمنى به من خسائر هي ومخاطبوها جرّاء التباطؤ في الترميم والإصلاح، لا ينقصها المزيد من عدم التنسيق والسلوكيات الفردية.

فيجب على الطلبة والفضلاء الـشباب وكافـة العناصـر المـؤثرة داخـل المجموعة الحوزوية دعم ومساندة الإدارة الجديدة»[1].

ومن جهة أُخرى، فإن نجاح البرنامج الإصلاحي للحوزة سيكون منوطـاً بمدى اهتمامه بالعلاقات الكائنـة بـين مرحلـة التطـور والمرحلـة التقليديـة

---

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قـم العلميـة بمناسـبة تـشكيل مجلـس التخطـيط بـالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

للحوزة، وأن لا تحدث قطيعة تاريخية فيما بينهما؛ لأن القطيعة ستثير أزمة من ناحية، وستقلل من نجاح وفعالية البرنامج من ناحية ثانية.

وفي ضوء الاهتمام بالنقطة السابقة، فإن الحرية المطلقة نسبياً التي يتميّز بها نظام الدراسة والبحث والتبليغ كانت من أهم خصائص الحوزات ثقافياً وتاريخياً. وبلا شك، فإن ذلك الوضع لن يكون ميسوراً ولن يكون في صالح الحوزة وعلماء الدين في الظروف الحالية التي تحمل فيها الحوزة رسالة عظيمة، ولكن تجاوز ذلك النظام الحر إلى نظام قائم على التخطيط والبرمجة لا ينبغي أن يتم دون حيطة وحذر، كما لا تجب المغامرة بإدخال الحوزة في قوالب جافة وأُطر تفتقر إلى المرونة؛ لأن ذلك القالب سيكون غير لائق بمكانة الحوزة الشامخة، فضلاً عن أنه سيعجز عن احتواء ذلك النسيج القديم والتقليدي.

ولهذا ـ وبالحفاظ على الأهداف والنقاط الأُخرى السابقة فيما يخص متطلبات وأُصول التخطيط ـ فإن برنامج الحوزة لابد وأن يسلك داخل نظام المؤسسة بأقل حد ممكن من الجبر المؤسساتي وأكثر حد ممكن من الاختيار الفردي؛ وذلك حتى تترسّخ ثقافة البرمجة والانضباط المؤسساتي داخل الحوزة بمرور الأيام، وتصبح إمكانية السرعة المتزايدة في النظام العام أمراً سهلاً وميسوراً.

٣ـ إيضاح العيوب والآفات:

لن يؤتي برنامج تطوير الحوزة ثماره المرجوّة قبل أن تكون كافة الآفات والعيوب والنقائص التي تتصف بها المؤسسة الحوزوية في الحال الحاضر ملموسة وواضحة أمام جميع المنخرطين في سلك الحوزة، وإلّا فلن يتمّ اتخاذ أية خطوة على طريق الإصلاح، أو لن يكون ثمة حصاد وقطاف.

ومن هذا المنطلق، فإنه يجب على المصلحين والمهتّمين بقضايا الحوزة التحدث والكتابة عن المشاكل والمصائب التي يعاني منها النظام الحوزوي في اللحظة المعاصرة، وتوضيح أبعاد الوضع المتأزّم والمتعثّر الموجود في الوقت الحاضر أمام محفل العلماء، خصوصاً وأنّ بعض الأساتذة والمدرسين والفضلاء البارزين والفئات الحوزوية الأُخرى يعبّرون أحياناً عن ولائهم لماضي الحوزة بصفة خاصة ويتلون آيات الثناء حول ما يزخر به من مفاخر، معتبرين ذلك دليلاً على أحقية استمرار الأُسلوب القديم، في حين يغضّون الطرف عن مسؤوليات الحوزة ورسالتها الجديدة، ولا يولون الأهمية المطلوبة لما يثقل كاهل الحوزة من ألوان العيوب والنقائص. فلابد من أن نوضّح لهؤلاء بشكل منطقي وصريح ما هو مدى الحاجات والمتطلبات ومستوى النقائص والمعايب، حتى يقفوا هم أيضاً على طبيعة الآفات الحالية والمُلحّة، ويروّضوا أنفسهم على المشاركة والتضامن.

وفي حديثه مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية، اعتبر سماحة القائد أنّ «الإذعان بوجود الداء» هو الخطوة الأُولى في طريق الحركة الإصلاحية، فقال:

«أولاً: الإذعان بوجود الداء، فلا يأتينّ أحد ويقول: ما هذا الكلام ؟! لقد نشأ «الشيخ الأنصاري» و«الميرزا النائيني» و«الآخوند» و«الإمام» وسواهم من العظماء في نفس هذه الحوزات، وأراك تقول كلاماً جديداً!».

إنه لن يكون هناك علاج صحيح ما لم يذعن هؤلاء بوجود الداء، وهذا الأمر هو طوع أيديكم، ولاسيّما الفضلاء والشباب؛ فتحدثوا، وكرّروا، واكتبوا، وسوقوا الأدلة، وناقشوا أُولئك الذين يرفضون هذه الأشياء، وجادلوهم بالتي

هي أحسن، وبرهنوا على أنّ هذا الداء هو داء حقيقي، وأن هذا الكائن الحي يعاني من الألم. إنكم ما لم تشخّصوا الداء، فلن يكون هناك دواء»[1].

الأُصول العامة في التخطيط

هناك نقاط لابد من أخذها بالاعتبار لدى التخطيط والبرمجة لنظام الحوزة، وبدون ذلك فإن التخطيط لن يسير سيراً حسناً، بل ولربما تضاعفت المشاكل الكائنة في المؤسسة الحوزوية:

١ـ تطوير الحوزة التقليدية وليس القضاء عليها:

يجب أن تقوم خطة الحوزة على أساس تطور وتكامل المؤسسة العلمائية وليس تدمير وتخريب هويتها. وعلى القائمين بشأن التخطيط التأكيد على ارتباط الهوية الثقافية لمؤسسة الحوزة بتاريخها القديم الزاخر بالأمجاد والمفاخر، والحيلولة دون أدنى قطيعة بين الحوزة الحالية والحوزة القديمة.

وإلا فإن نفس تلك القطيعة الثقافية السائدة في تجمّعاتنا التعليمية الأُخرى ستلقي بظِلالها على الحوزات العلمية أيضاً. وكما أنه لا يوجد في جامعاتنا شعور بالتواصل العلمي والثقافي مع محمد بن زكريا الرازي وأمثال أبي ريحان البيروني، وابن سينا وغيرهم، بينما توجد هناك معرفة وصلة أقوى مع العلماء والفلاسفة والكتّاب الغربيين، فإن على الحوزة التحلي بالفطنة في مواجهة مثل هذه الأخطار عند الإقدام على التخطيط العلمي.

فحذار أيّها الحوزويون من الانبهار والشغف بالشخصيات الشهيرة، ومؤلفات العصر الحديث، بحيث تشعرون بالولاء لهذا العصر والجفاء لماضيكم الثقافي المشرق.

---

(١) حديث في لقاء مع فضلاء، ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

وقد بيّن سماحة القائد طبيعة العلاقة بين الحركة الإصلاحية الجديدة والحوزة التقليدية، قائلاً:

«في عصر العزلة و الانطواء، كانت لدينا خلال قرون طويلة حوزة علمية عظيمة وعتيدة وذات جذور أصيلة ضاربة في الأعماق، ولكننا الآن نعيش في عصر جديد. فما الذي يجب علينا عمله مع هذه الحوزة ونحن الآن في عصر التواجد في الساحة؟

ربما كان الجواب هو أن تلك الحوزة لم تعد تصلح لهذا العصر، وهذا بالطبع جواب خاطئ، وذلك لأن هذا البناء الشامخ قد ارتفع حجراً فحجراً على أيدي مهندسين غاية في المهارة على مدى سنوات طويلة حتى اكتسب هذه المتانة وحظي بهذا الجمال. وفي الحقيقة، فإن هذا الوقت هو وقت الاستفادة من تلك الحوزة...»[1].

٢ـ الاهتمام بالطموحات بعيدة الأمد:

يجب على المكلفين بالتخطيط العام لإصلاح الحوزة التطلّع إلى آفاق بعيدة، وأن يضعوا نصب أعينهم نماذج غير مرتقبة ولكنها ممكنة. كما ينبغي لهم التمتع بعزم ماضٍ وهمّة رفيعة واجتناب ضيق النظر ومحدودية الأُفق في البرمجة والتخطيط. ومع أنّ هذه الطموحات قد تبدو بعيدة ومستعصية إلا أنها ستخلق الحماس والاشتياق:

«يجب علينا الاهتمام بتلك الصورة المطلوبة للحوزة، حتى ولو بدت مثالية ونموذجية. فلتكن مثالية؛ لأنها لو لم تكن مثالية، فإن الحركة ستكون بطيئة ومتراخية، أي أنه لابد أن نأخذ دائماً بنظر الاعتبار شيئاً من المثاليات التي يستعصي تحقيقها على الواقع، فإننا إذا افتقدنا البطل والقدوة سنعجز عن بناء أنفسنا.

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

إنّ هذه أساساً هي فلسفة وجود الإمام في فكرنا الكلامي؛ فالإمام هو المَثَل الأعلى الذي يجب أن يشدّنا نحو الرفعة والعلو، كمثل تلك النسور التي تشاهد شيئاً فوقها، فتحلق دائماً طمعاً في الصعود ونيل ذلك الشيء. وقد لا نصل أبداً، ولكن ذلك المحور العزيز المنال لابد وأن يبقى حتى نقوم نحن بتلك الحركة في شوق وحماس.

إذاً فلابد من وجود المثاليات دائماً، حتى ولو كانت من ذلك النوع الذي يستعصي التوصّل إليه على نطاق الواقع؛ وذلك حتى نستطيع قطع نصف المسافة على أقل التقادير، على أمل الوصول إلى تلك القمة ذات يوم.

إنّ القمة ستكون أشد قرباً وأيسر منالاً إذا وصلنا إلى منتصف الطريق. ولهذا، فعليكم بتسجيل تلك المثاليات، فإن الإنسان ينال شيئاً من تلك المثاليات القريبة من الواقع بشكل ما، وينال قدراً من تلك البعيدة عن الواقع بشكل آخر»(١).

٣ـ تشخيص الأولويات وتقديمها على غيرها:

تواجه المؤسسة الحوزوية مئات المشاكل الكبيرة والصغيرة، فيجب أن تكون الأولويات واضحة في أي برنامج يطمح إلى النجاح. ولاشك أنه من المستحيل التغلّب على كافة المشاكل والمعوقات في خطة قصيرة الأمد، ولكنه من الممكن عن طريق تبويب وفهرسة قضايا الحوزة وتحديد أهميتها صرف القسم الأساسي من الإمكانيات البشرية والاقتصادية في القضايا الأهم، ومحاولة التغلب على المشاكل الأُخرى أيضاً طبق خطة متوالية ومتلاحقة.

يقول سماحة القائد في خطاب إلى جماعة المدرسين بمناسبة تأسيس مجلس التخطيط بالحوزة:

---

(١) حديث في لقاء مع هيئة تحرير مجلة الحوزة ١٣٧٠/١١/٢٨هـ ش.

«إنَّ الإدارة الموفّرة ستواجه العديد من المعضلات والمشاكل وستصادف الكثير من الأحداث المتوالية المتوقّع منها وغير المتوقّع، فيجدر بها والحال هذه أن يكون تشخيص الأولويات هو همّها الأول»[1].

٤ ـ استناد الخطة إلى الإحصائيات:

لا ينبغي للمبرمجين التعامل مع قضايا الحوزة بذهنية خيالية والتخطيط انطلاقاً من تصورات ذاتية ومن أجل أشخاص خياليين، بل يجب عليهم الأخذ بعين الاعتبار علم الإحصاء وفروعه في العلوم الأُخرى، والاستناد إلى الحقائق الناتجة عن طريق الإحصائيات العينية الواقعية والتحليلات الإحصائية الدقيقة.

وقد أشار سماحة القائد إلى نقطة الضعف هذه وطالب بالتغلب عليها، لدى لقائه بعلماء ومدرسي حوزة قم العلمية.

٥ـ فحص الخطة بشكل دائم:

يحتاج كل برنامج، حتى في أفضل حالاته النموذجية، على إشراف وفحص مستمر، فعلى القائمين بأمر التخطيط أن يأخذوا باعتبارهم أشكال الإشراف والتقويم داخل الخطة، وذلك من حيث طريقة التنفيذ، والنجاحات المتوقعة، والمشاكل المستجدّة، وما إلى ذلك.

وعلى مخططي نظام الحوزة أيضاً الاهتمام بهذا الأصل الأساسي، وتحديد مراحل من أجل تقويم الخطة وإكمالها:

«علينا أن نتحاشى الآن حالة اللاانُظم عن طريق خطة دقيقة ومتقنة أولاً، ومتجددة ثانياً. وعلى الإخوة واضعي المشاريع ومصممي البرامج أن يعلموا

---

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قم العلمية بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

بأن الخطة التي وضعوها اليوم لابد من إعادة النظر فيها في العام القادم، لا من أجل تشويهها وتخريبها، بل من أجل ضبطها وإكمالها.

يجب أن تكون هناك أجهزة للإشراف على التخطيط تقوم دائماً بفحص برامج هذه المدارس لترى ما هي عيوبها، وما هي مواضع الجذب والطرد بالنسبة للطالب، وما هي المواطن التي تبعده عن مواهبه وقابلياته، وما هي الموارد التي لا يستفيد منها الطالب على أفضل وجه وأحسنه»[1].

٦ـ العمل على تنمية القيم وتكاملها :

لقد كانت الحوزة طوال تاريخها المجيد ومازالت قرينة القيم، فعلى كل برنامج إصلاح إيلاء الأهمية الضرورية لهذه القيم والسعي إلى نشرها وتعميقها. ولا ينبغي مطلقاً أن يكون هناك أي برنامج أو اقتراح أو حركة تحول دون تكامل القيم، بل وتعمل أيضاً على إضعافها، أو تساعد بشكل طبيعي على تفريغها من مضمونها وجدواها.

وعلى هذا الأساس، يجب أن يكون إحصاء وتأكيد وتعميق القيم الخالدة في الحوزة من الأصول الجادة التي تحظى بالاهتمام في الخطة المطلوبة.

ولقد أشار سماحة القائد إلى جانب من هذه القيم:

«يجب على الطلبة دائماً أن يتذكّروا أنّ هناك قيماً ثابتة لا تزول، ومنها قيمة العلم والجهاد؛ فلا يستخفّوا بقيمة الجهاد. إنّ الطالب المجاهد والمثابر والتعبوي هو طالب على أهبة الاستعداد لإقتحام ساحات الخطر، ولن تكون للدنيا بأكملها قدرة على مواجهته إذا كان مسلّحاً بالعلم.

إنّ هذه القيم لا تزول، ولا يعدلها شيء آخر، فعلى نظام الحوزة تنمية هذه القيم وتطويرها»[2].

---

(١) حديث في لقاء مع مدرسي وطلاب المدارس العلمية ١٣٦٣/٦/٢٧هـ ش.

(٢) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

على المخططين لنظام الحوزة أن يضعوا برامجهم بالشكل الذين يُبقي على مثل هذه القيم سائدة على الدوام في أعمدة البناء الحوزوي، وأن يكون التقدم والفضيلة في الوسط الحوزوي هما العامل المساعد على العناية بهذه القيم وأمثالها من الفضائل والحفاظ عليها باستمرار.

ولقد تحدّث سماحة القائد في بقية كلامه المذكور حول فضيلة التديّن والتعبّد في الحوزات واعتبرها من امتيازات مؤسسة الحوزة على المراكز التعليمية المماثلة. ويتعلق الحفاظ على هذه الفضيلة ـ التي أصبحت في خطر إلى حدّ ما ـ بمدى ما يوليه المبرمجون لبرامجهم من دقّة وعناية:

«إنّ قيمة التديّن والتعبّد والذكر هي قيمة كبرى للغاية، لقد كنّا نفخر دائماً بأن كل من يدخل الحوزات العلمية يخرج منها مليئاً بالقيم المعنوية والدينية والعقائدية والسلوكية المتعددة حتى ولو لم يكن كذلك حين دخولها. فالحوزة تصنع المتدينين.

لقد عقدنا الأمل دائماً على الجامعات بأن تغيّر من أسلوبها بحيث يتخرّج منها متديّناً من لم يدخلها متديّناً، وهذا ما ينبغي أن يصل إلى ذروته في الحوزات العلمية»[١].

وجهات النظر التخطيطية

إنّ التخطيط لنظام واسع وزاخر بالمسؤوليات كنظام الحوزة بحاجة إلى محادثات ونقاشات تخصصية واسعة وشاملة؛ ولذا فإنه لا يمكن التعامل مع هذه المسألة بنظرة بسيطة وساذجة، أو الخروج ببرنامج عملي فاعل من خلال وجهات نظر سطحية وعابرة.

---

(١) المصدر السابق.

ولقد دعا سماحة القائد مراراً وتكراراً إلى ضرورة عقد جلسات خاصة لمناقشة شؤون الحوزة، واعتبرها تمهيداً للتوصّل إلى برنامج ناجح وموفق، ومن ذلك قول سماحته:

«لقد قلت في زيارتي السابقة: بأن عليكم عقد ندوة ـ بمعنى الكلمة ـ لكل مشكلة تريدون حلّها، وأن لا تكون ندوة يشارك فيها بضعة خطباء يتحدثون ثم يمضون إلى حال سبيلهم، فهذه ليست ندوة، بل إنها ملتقى للخطابة.

إنّ الندوة هي أن يتمّ اختيار موضوع يحتاج إلى تأمل عقلي، فيعكف المختصّون على التفكير فيه ودراسته وتحديد أبعاده، ثم يأتون لمناقشته والتعبير عن آرائهم حوله. وبعد ذلك يقوم المنظّمون للندوة بتسجيل وتجميع هذه الآراء ليصار إلى النتيجة المطلوبة.

وفي تلك المرّة، عقدت ندوة وكانت نتائجها طيّبة والحمد لله، إلاّ أنّها لم تتابع مع مضي مدة من الزمان. فعليكم بانتقاء أشخاص يتناسبون مع مثل هذا العمل، وعليكم بتقويم الآراء واختيار أفضلها والتوصّل إلى حلّ المشاكل.

قوموا باختيار مئة شخص أو خمسين شخصاً من أُولي الرأي والفكر، ووجّهوا الدعوة إلى من يتصدّون لهذا الأمر بالاجتماع على مدى يومين أو ثلاثة؛ من أجل التفكير والمناقشة والاستدلال؛ فالحوزة العلمية هي حوزة استدلال، ويمكنكم التباحث كما تتباحثون حول الدروس الحوزوية حتى تستفيدوا من النتائج»[1].

لقد عبّر سماحة القائد عن آرائه التخصصية في مناسبات مختلفة بصفته خبيراً محنكاً في شؤون الحوزة، وستلاحظون هذه الآراء في أبحاث مختلفة

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

من هذا الفصل (مؤسسة الحوزة) ومنها: مشاكل التعليم، والبحث والتحقيق، والتبليغ، والنظام التربوي للحوزة، وسواها.

ونشير في هذا القسم إلى آراء سماحته العامة والخاصة، والتي تتعلق بقضايا الحوزة المختلفة دون الاختصاص بقضية معيّنة منها:

١ـ ضرورة العمل الجماعي:

يعتبر النظام الحالي في الحوزة نظاماً فردياً في مجمله؛ ففي النظام التعليمي لا توجد هناك صلة وتعاون بين أساتذة الحوزة بعضهم ببعض، حيث يعتبرون ذلك نوعاً من الضعف وضآلة المنزلة أو أنهم لا يدركون فوائده وفضائله.

وأما على صعيد البحث والتحقيق، فإن الدراسات والأبحاث في هذا النظام تتمَ على أساس الأذواق والميول والتجارب الشخصية.

وأما الخبرة العلمية في هذا الموضوع، ودراسة مناهج وأدوات الآخرين، والتعرّف على خبرات ومشاكل الباحثين في نفس هذا الموضوع أو المواضيع المماثلة، فإنها تعتبر أساليب مجهولة.

وكذلك هو النظام التبليغي في الحوزة، فإنه ليس أوفر حظاً من غيره؛ فكل مبلّغ يعتلي منبر الخطابة انطلاقاً من قناعاته الخاصة وخبرته الشخصية، ويقضي أيامه على هذه الوتيرة دون إحساس بالحاجة الماسّة للعمل الجماعي في طريقة التبليغ ومواده، والمعارف التي يحتاج إليها المبلّغ، وهكذا.

وأما شؤون الحوزة الأُخرى فهي تعاني من مثل هذه المشكلة أيضاً.

وإذا ما أرادت مؤسسة الحوزة التخلّص مما فيها من عيوب ونقائص، فإنها تحتاج إلى نشر وتعميم ثقافة العمل الجماعي في أوساطها؛ من أجل أن

تنعم بما لها من فوائد شاملة ومستمرة، وإلا فإنها ستظل دائماً متعثّرة ومثقلة بتجاربها المفككة. فيجب أن يكون بمستطاع البرنامج الناجح تعميم فضيلة العمل الجماعي بالحوزة والتأسيس لثقافة العمل الجماعي في النظام التعليمي منذ ابتداء الدراسة، وترشيد نظام المباحثة الذي يعود بنتائج مثمرة للعمل الجماعي، ومطالبة الحوزويين بالعمل الجماعي من خلال تقديم المواضيع والأُطروحات والنتاجات المتناسبة مع مختلف المستويات الدراسية؛ وذلك حتى تنحسر تدريجاً أفكار العمل الفردي وتُبعث من جديد فكرة العمل الجماعي في الحوزة:

«إنّ أعمالنا ليست أعمالاً جماعية، ولقد قلت ذات مرّة: بأننا على هذا الصعيد نشبه أبا ذر ﷺ أي «يعيش وحده ويموت وحده».

إن نشاطاتنا كلها فردية؛ فنحن نحضر وحدنا دروس الأساتذة، ووحدنا نستذكر هذه الدروس. ورغم أنّ مباحثاتنا هي عمل ثنائي، إلا أنها فردية، أي خالية من المشاركة الفكرية، فـ «زيدٌ» يقرأ ذات يوم فيستمع إليه «عمرو» ويصبح تلميذه، و«عمرو» يقرأ في اليوم التالي فيستمع إليه «زيد» ويصير تلميذاً له، أي انه عمل فردي.

فالعمل الجماعي، والمساعي المشتركة، والإتيان بأدوات مناسبة، هي أعمال جديدة للعالم. وعندما أقول «جديدة» فإنها ليست جديدة تماماً، بل إنها قديمة تقريباً، في حين أننا مازلنا نجهلها حتى اليوم»[1].

٢ـ فتح المجال أمام الأفكار الجديدة:

إنّ التشبّث بالقوالب والأُطر يعتبر مشكلة الحوزة الأساسية في الأنظمة التعليمية والتحقيقية والتبليغية، وسواها. وتسبب إعادة النظر بالأشكال

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

والتقاليد نوعاً من الخوف والهلع وتصاعد الصرخات والشكاوى. فعلى المبرمجين التوفر على خطة أُصولية وعملية لإضفاء التغيير على هذه العادة واقتراح مناخات مساعدة للإبداع والخلّاقية والابتكار مع توفير ما يلزمها من أدوات متنوعة.

إنّ ظروف الزمان المتغيّرة والمتحوّلة تتطلب من الحوزة أن تستطيع التعامل بفعالية ونشاط مع حقائق العصر، مع الاحتفاظ في الوقت ذاته بالتقاليد والأصالة، وتجنّب التعصب المذموم في التشبّث بالأساليب والنصوص والوسائل، والعيش مع مجتمعها والمجتمعات الأُخرى من خلال علاقة ومبادلة معقولة ومناسبة.

وتحتاج هذه العلاقة الحصيفة إلى تمتع المجددين ومنتجي الثقافة الحديثة بالدعم والمساندة؛ حتى لا تظل الأفكار الجديدة حبيسة خزائن الأسرار ودفينة الذاكرة الشخصية. ومن خلال تمهيد الأرضية والمناخ لتقديم هذه الأفكار في صور مختلفة ومناسبة تتأتّى إمكانية نقدها وتنقيحها، وينفسح الطريق أمام مسيرة التكامل بفضل تهذيبها وتثقيفها وإصلاحها داخلياً:

«يجب فسح المجال في الحوزة أمام الأفكار الجديدة على شتى الأصعدة، وليس المقصود بالأفكار الجديدة هو الانحراف والالتقاط والخروج عن الأُصول، بل العناية والتقدير لكل ما يقدّم من كلام وفكر جديد قائم على أساس القواعد والمباني الفقهية.. وإذا ما فهم أحد شيئاً فعليه أن يكتبه وينشره حتى يعلم الجميع بأن انطباعاً جديداً من هذا النوع موجود في الحوزة.

ومجمل القول هو: ضرورة إيلاء الأهمية للشباب والمجددين والإبداعات والأفكار الحديثة»[1].

---

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج بالفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

إنّ على البرنامج العملي استثمار توقعات الاجتماعات والندوات، والمنابر الحرة والصحف والمجلات، والنشرات الجدارية، والاستفادة من الوسائل الصوتية والتصويرية لفِرَق العمل الداخلية، والإقدام على توظيف كل ذلك من أجل خلق جو من التحمّس والنشاط داخل الحوزة، وتبديل المجتمع الحوزوي إلى بيئة مفعمة بالحيوية والتفتح والازدهار.

وليست هذه الأدوات المتنوّعة مجرد أرضية لتقديم الأفكار الجديدة بشأن الطرق والأساليب فحسب، بل بشأن المحتوى والمضمون أيضاً، كما أنها تعتبر سلّماً للتطور العلمي والإبداع والخلاّقية في الفنون العلمية الحوزوية المختلفة.

ويشير سماحة القائد إلى إحدى وسائل نشر الأفكار الجديدة داخل الحوزة وما يستتبع ذلك من نتائج، فيقول:

«خامساً: إيجاد بيئة مفتوحة للنمو الفكري، فلابد من الإقدام على هذا الإجراء في الحوزة والاستفادة من الأمور التي تضفي حيوية على المؤسسة الحوزوية، وذلك من قبيل تأسيس مجموعات لمناقشة المباحث الفقهية الجديدة مثلاً، على أن تتألف كل مجموعة من سبعة أو ثمانية أو عشرة من الطلاب الفضلاء، وأن تكون هناك محورية لكل مجموعة، وأن تعقد كل مجموعة سلسلة من الاجتماعات لإلقاء الأحاديث في المجال الفقهي حتى يستطيع كل شخص تقديم ما لديه من مواضيع وأفكار جديدة حول المسائل الفقهية صغيرها وكبيرها من باب الطهارة إلى باب الديات.

فإذا وجدت المجموعة أنّ أركان المسألة صحيحة ـ لا أن يكون نفس الكلام صحيحاً ـ وأنها تستند إلى بحث واستدلال حوزوي وعلمي، قاموا بتسجيلها في قائمة خاصة حتى يأتي دور صاحبها لمناقشتها بحرية أمام المجموعة والخروج بنتائج مفيدة بعد الرد على الإشكالات والاعتراضات.

إنّ من الممكن أن يكون بعض الحضور في مثل هذه الاجتماعات أوسع علماً من المتحدث، وهذا لا غضاضة فيه؛ فطرح القضايا يحرك الأذهان ويولّد الأفكار، ولا ينبغي أن نتخذ موقفاً سلبياً إزاء كل من يتقدم بفكرة أو فتوى فقهية جديدة ـ حتى ولو كانت خاطئة ـ ثم نقول يا لها من فتوى خرقاء قدّمها ذلك الشخص حول تلك المسألة!

إنّ وجهات النظر الفقهية لابد من تقديمها على كل حال، ولابد من مناقشتها وفتح المجال أمام الأفكار الفقهية الجديدة. وبالطبع ينبغي أن يتمّ ذلك وفق قاعدة وقانون محدد، دون أن يتحدث كل شخص كما يحلو له.

كما يجب تشكيل مجموعات مماثلة فيما يخص علم الكلام، حيث تُطرح الأفكار والأبحاث الكلامية الجديدة بعد الإعلان عنها ودعوة الطلبة للحضور.

إنّ فضاء الحوزة يجب أن يتّسع لاستقبال الآراء الكلامية الجديدة، وأن يتمّ تطبيق القاعدة التي تقول «ربّ حامل فقه إلى مَنْ هو أفقه منه». فمن الممكن أن يكون هذا الرأي الجديد رأياً خاطئاً من حيث المبدأ، ولكنه سيفتح أُفقاً جديداً أمام الحاضرين، وبهذا ينفسح المجال لعرض أفكار جديدة»[1].

إنّ تمتّع مثل هذه المنابر الحرة بالرسمية والشرعية في أوساط الحوزة، وكذلك إبداع قوالب ووسائل جديدة، سيكون بوسعه إعادة روح الشجاعة والإبداع والخلّاقية إلى الحوزات، وتحرير النظام الحوزوي من قيود حب القديم وعبادة الماضي، وبثّ أنفاس طازجة من جديد في هذا الفضاء العلمي وإحياء مفاخر الفكر الإسلامي من أمثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي وابن إدريس وغيرهم.

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

ولكن تحقيق هذا الإنجاز المهم يتوقف على درج المخططين لهذه الفكرة العظيمة في برامجهم الإصلاحية بكل عزم وشجاعة، والابتعاد عن المخاوف السائدة، وتمهيد الأرضية اللازمة لنشر روح الإبداع والخلّاقية في الحوزة من جهة، وخلق مجالات لتبادل نتاجات الحوزويين الفكرية من جهة أخرى، وإدراك أنّ ثمة علاقة لا تقبل الانفصام بين هذين الجانبين.

إنه من المستحيل تعليق الآمال على حوزة فاعلة وخلّاقة دون التفكير في طريقة لعرض وتقديم الأفكار الجديدة، أو فكّ الحصارات وتخطّي الحواجز الفولاذية القاسية الماثلة على طريق دعاة التجديد وأنصاره.

إنّ المساندة الشفهية والتحريرية للإبداع والتجديد في الحوزة لم تكن بلا جدوى أو فائدة، ولكنها لا تبدو طريقة حل موضوعية للمشاكل. ولا يمكن عقد الأمل على تحقيق هذه الأهداف إلا بإيجاد المناخات المساعدة على تقديم الأفكار الجديدة، واشتغال مجددي الحوزة بعرض أفكارهم ومحاولة تهذيبها وإصلاحها بالاستفادة من نقد الكبار والمخاطبين ووجهات نظرهم، وإيجاد مجالات للتأمل في الأفكار الجديدة التي تتضمّنها أعمالهم، والسعي إلى بسط وتوسيع فضاء التجديد على مستوى الحوزة.

٣ـ الاستفادة من الوسائل والأساليب العلمية:

تتمتع المؤسسات التعليمية والتحقيقية والإعلامية العالمية بتحوّلات وتطورات ملحوظة، ولكن الحوزات الدينية مازالت متأخرة عن هذا الركب السريع، ومازالت أساليبها ووسائلها في التعليم والبحث والتبليغ داخلية وقاصرة، دون الاطلاع المطلوب على تجارب المراكز والمؤسسات الأخرى.

وهذه الظروف تحول دون حصول المؤسسة الحوزوية على الكفاءة اللازمة من جهة، وترسخ النموذج القديم والمتهرّئ والمتهافت داخل البناء الحوزوي.

إنّ الذين يميلون إلى مثل هذه القوالب ويساعدون على بقائها، غالباً ما يشعرون بأنهم عادوا إلى أصالة القرون الإسلامية الأُولى، وأنهم يشاهدون تلك الحوزات والمدارس مرة أُخرى.

ومع أنّ هذا الشعور يمكن أن يكون مبهراً لعلماء الآثار ومحبّي التاريخ، إلا أنه يجعل أرباب العلم والثقافة الحديثة وكذلك أجيال الباحثين وأنصار التطور والتجديد يصابون بالمرارة ويرغبون في الابتعاد، ويخلق لديهم نوعاً من سوء الظن إزاء الحوزة والحوزويين، ويبذر بذور الشك فيما يتمتعون به من كفاءات وقابليات مخزونة.

إنّ الارتباط بالأساليب والوسائل الحديثة لابد من أخذه بنظر الاعتبار لدى صياغة برنامج حوزوي موفق، فيتم تقويم فاعلية هذا الارتباط وطرق استخدامه والاهتمام به في شؤون الحوزة المختلفة. وهذا التخطيط ينبغي أن يكون قائماً على أساس الحقائق الموجودة في الحوزة من جهة، ودراسة دور الوسائل والأساليب الحديثة في الانتقال بالحوزة من وضعها الحالي إلى الوضع المطلوب من جهة أُخرى:

«إنّ هذا الكيان الذي تنعقد عليه آمال العالم بمعنى من المعاني، والذي يعتبر سند البلاد ورجاءها في الحاضر والمستقبل، لابد له أن يكون مواكباً لظروف وإمكانيات وتطورات العصر؛ فيقوم بتدريس نفس هذه الدروس والعلوم، ويحتفظ بنفس هذا السلوك الأخلاقي والمعنوي، ولكنه يستفيد في الوقت ذاته مما هو سائد في العالم من وسائل.

فليس من اللائق أن يعتمد العالم كله على الكمبيوتر وتنخفض السرعة من الساعة والدقيقة إلى الثانية الواحدة، ويحسب حساب لكل لحظة من الوقت وذرة من الطاقة، وتتيح الجامعات والمراكز التحقيقية في العالم كافة

الإمكانيات لطلابها وباحثيها الكبار والشباب، ثم نظل نحن متمسكين بالعمل بنفس تلك الطرق القديمة التي كان يستخدمها أسلافنا الكبار قدس سرهم بسبب أنهم كانوا لا يملكون سواها، فهل هذا أمر ممكن ومقبول؟!»[1].

إنّ التأكيد على القيم الخالدة للحوزة، بكل ما فيه من أحقّية وأصالة، والذي أشير إليه مرّات ومرّات، لا يجب أن يحرم هذه المؤسسة التي ينوء كاهلها بالمسؤوليات من استخدام الطرق والأساليب الفاعلة. كما أنه لا ينبغي التفكير بأنه لا يمكن الحفاظ على المثل والنتاجات النوعية للحوزة إلا في ظل تلك الأساليب والأدوات العتيقة، وأنّ العدول عنها يفضي إلى ضياع كافة التراث الحوزوي.

فمع ما يتميز به مثل هذا الشعور بالخطر من قيمة وأهمية، إلا أنه لا ينبغي أن يكون بهذه الطريقة التي تمثل حاجزاً أمام أية محاولة للتجديد والكمال في الأساليب والوسائل، والحيلولة دون دخول أي نوع من أنواع البضائع والأدوات الحديثة.

إنّ سبيل الحفاظ على القيم يتمثل في المعرفة الدقيقة والعميقة لكلا هذين المنهجين والمزج بينهما وتطبيقهما بصورة علمية وتخصصية؛ فمن جهة يجب على واضعي البرامج الوقوف على الحقائق النموذجية لنظام الحوزة وفحصها بشكل دقيق وعميق وإعداد قائمة بكافة أبعادها، ومن جهة أُخرى فإنه يجب عليهم إخضاع النظم التعليمية والتحقيقية والتبليغية الأُخرى لدراسة معمّقة وتقويم ما لها من محاسن وعيوب، ثم التوصّل إلى نتيجة نهائية لتحديد مستوى ونتائج استخدامها في النظام الحوزوي والمؤسسة العلمائية:

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ. ش.

«إنّ الحوزة العلمية تنطوي على تراث نفيس من الأساليب والتجارب والذخائر العلمية، ولكي نستفيد من هذا التراث العلمي والفني ونضاعفه، فلابد لنا من استخدام طاقة الإبداع والخلّاقية.

إنّ السلف الصالح أيضاً لم يستطيعوا الوصول بالمعارف الدينية إلى مستواها الحالي إلا باستثمار ما كان عندهم من خلّاقية وإبداع، فعلى الحوزة أن تمهّد لأبنائها السبيل من أجل التطور العلمي والفني.. وهو ما ينطبق أيضاً على الهيكلية والمناهج التعليمية والدراسية.

ولاشك أنّ هذه المقولة تنطوي أيضاً على فوائد قيّمة يمكن اعتبارها من مزايا النظام الحوزوي، وهو ما يجب الحفاظ عليه في كل تحوّل هيكلي للحوزة. إلاّ أنّ كلمة الحق هذه لا ينبغي أن تنسينا كلمة حق أُخرى، وهي أنه إذا كانت الحوزة تبحث عن التطور فلا مناص لها من استخدام الأساليب والطرق السائدة في المجالات العلمية، وأن لا تحرم نفسها من الإمكانيات التي تساعد على تفوق البشرية في اكتساب العلوم.

فليس من اللائق بطلاب العلوم الدينية أن لا يكون لديهم سبيل للتجديد في الأساليب الناقصة والقاصرة، وذلك في عالم مليء بكل جديد من الوسائل والأدوات المتطورة التي تمنح طلاب العلوم المختلفة فرصة اكتساب آخر ما تفتّق عنه العقل البشري بكل يسر وسهولة»[1].

٤ـ الاهتمام بشباب الحوزة:

يحتل جيل الشباب الحوزوي مكانة خاصة في قضية التغيير والإصلاح في المؤسسة الحوزوية؛ فهو من ناحيةٍ الجيل الذي يتوق إلى التغيير وينسجم معه، وهو من ناحية أُخرى ذلك الجيل الذي سوف تُطبّق عليه

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قم العلمية بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

البرامج الإصلاحية، والذي يجدر به إظهار أكبر قدر من التنسيق والتعاون مع موضوع الإصلاح داخل الحوزة.

وهاتان الملاحظتان توجبان إعطاء أهمية لهذا الجيل فيما يتعلق بخطة التغيير. وهناك تأكيدات كثيرة في أحاديث قائد الثورة على مكانة ومنزلة الطلبة الشباب في الحوزة؛ فسماحته كثيراً ما عبّر من مساندته لفظياً ومعنوياً ومادياً لهذا الجيل، وأكّد على ضرورة الاهتمام به.

وفيما يلي جانب من أبرز وجهات نظر سماحته في هذا السياق:

أ ـ الاستفادة من الطاقات الشابة:

تمثل مرحلة الشباب أفضل سنوات العمر للتعلّم والبحث والتبليغ والإبداع والخلّاقية وغيرها، وهذه الثروة الإلهية هي رأس المال الباقي للفرد والمجتمعات؛ فمن جهة يجب على كل شخص تقدير هذه الطاقة والسعي للإستفادة منها على الوجه الأكمل. ومن جهة أُخرى فإنه كان ينبغي للمؤسسات والمراكز العلمية أن تعرف قدر هذه الطاقات الضخمة وتمهّد الأرضية لتفتّحها وازدهارها:

«لقد قمتم باستثمار هذه الثروة وحققتم أرباحاً منها، وأما الآخرون فقد تقاعسوا عن الانتفاع بها، فأضاعوها أو قضوا عليها قضاءً مبرماً. وقد لا يصح أن نقول بأنهم التهموها، بل يجب أن نقول بأنهم قامروا بها وخسروها، وهؤلاء هم الذين قضوا سنوات شبابهم عاطلين مع ما لديهم من قابليات، بينما كنتم أنتم منهمكين في الدراسة والبحث.

إذاً فدور الاستفادة من الطاقات لهذا الموضوع يمثل فائدة وفلسفة في حدّ ذاته، أي أنكم إذا لم تريدوا القيام بأي عمل آخر، فإن أية فائدة لم تكن لتترتب على ذلك، وهذا مثل ما لو أنكم تستطيعون الاستفادة الآن، فلماذا لا تستفيدوا؟ إنّ هذا هو واجبكم وعليكم القيام به.

وهذا الأمر نفسه يمكن أن يكون وجهاً منطقياً يعبّر عن المصداق الكامل للشكر الإلهي: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1]، فما هو وجه استخدام لام التأكيد ونون التوكيد الثقيلة في هذه الآية؟

إنه تعبير عن كيفية الشكر الإلهي، وهذا لا يعني أن يقتصر الإنسان على شكر الله في قلبه فحسب على أن منحه طاقة الشباب؛ فهذا لا يعد شكراً في حدّ ذاته. وكذا لو نطقنا به باللسان أيضاً، فلو أنكم شكرتم أحداً على دعوته لكم إلى منزله، وقلتم له: شكراً لك على الدعوة، ولكنكم لم تذهبوا إلى منزله للاستفادة من تلك النعمة التي أعدّها لكم، فهل يكون ذلك شكراً؟ إنّ مجرد الشكر باللسان لا يعدو أن يكون سخرية واستهزاءً على وجه التقريب»[2].

ومع أنّ المخاطبين بهذا الكلام السابق هم جيل الشباب بالحوزة، فإن قسطاً مهما وعظيماً من هذه المسؤولية يقع بلا شك على كاهل مؤسسة الحوزة كما سبقت الإشارة إليه، وذلك حتى تكون إمكانية الاستفادة من جيل الشباب الحوزوي وإفادته أيضاً أمراً يسيراً من خلال إعداد برنامج مناسب وصحيح.

ومع أنّ انعدام التخطيط أو ضعفه في الحوزة ليس عذراً أو حجة معقولة للبطالة أو ندرة العمل، إلا أنّ القسم الأعظم من إهدار الطاقات والفرص الشبابية بشكل عام يعود إلى مؤسسة الحوزة وما بها من تخطيط.

ومن أجل هذا، فإن على مبرمجي الحوزة إيلاء أهمية خاصة لهذه القابليات والطاقات الكامنة في الشباب الحوزوي، وأن يعلموا بأن الحيلولة

---

(١) سورة إبراهيم: ٧.

(٢) حديث في لقاء مع طلاب مؤسسة «في طريق الحق» ١٣٦٣/٦/٧هـ ش.

دون ازدهارها وتألّقها يعتبر إتلافاً للهبات التي منحها الله للحوزة، كما عليهم أن يعتبروا أنفسهم مسؤولين إزاء هذه الحالة.

ب ـ مميزات جيل الشباب الحوزوي:

يعتبر طلبة الحوزة الشباب مزيجاً من الخصائص العامة لجيل الشباب إضافة إلى ما يتميّزون به هم أنفسهم من صفات خاصة؛ وهذا ما نلاحظه من نظرة ثاقبة يلقيها سماحة القائد على هذه المميزات:

«إنّ شباب الحوزة شباب نبلاء؛ فهم يتمتعون بإبداع الشباب وجرأته وخلّاقيته وتحرّره من أكثر القيود ـ وهي صفات بارزة في روح الشباب ـ وكلها صفات إيجابية، إلا أنّ الالتزام بالدين والتمسك بالأحكام يعد صفة مميزة في شباب الحوزة تتكامل بها الخصائص السابقة.

فتلك الخصوصيات، إذا ما اقتصر عليها الشباب، فإنها قد تفضي إلى الجرأة المذمومة، وإلى بعض الأحداث التي شاهدناها على مرّ الزمان في الجامعات وغيرها، بل وربما أدّت إلى الانحراف في بعض الأوقات. ولكن إذا ما امتزجت هذه الخصوصيات مع التديّن وتوقير الكبار ـ وهي سنّة في الحوزة العلمية، حيث يحترم الصغير الكبير، ويحترم الطالب الأساتذة، وتسود فضيلة احترام السابقين في العلم والتقدم في الدراسة والتحصيل ـ فإنها ستوجد شباباً نبلاء صالحين في الحوزة، وهذا الشباب لا ينبغي أن يتحوّل إلى شيخوخة»[1].

إنّ التمازج المناسب بين هذه الخصال في شباب الحوزة يخلق الالتزام والشعور بالمسؤولية. فعلى المبرمجين أن يحسبوا حساباً لهذه المجموعة من الامتيازات في الشباب الحوزوي ويجعلوها أصلاً في برنامجهم وشؤونهم المختلفة.

---

(١) حديث في لقاء مع ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٩/١١/٤هـ ش.

إنّ عناصر التجديد، والإبداع والجرأة، والتمرّد على الأشكال القديمة، وسواها، تعتبر عناصر قيّمة في شباب الحوزة يمكن استغلالها في مرحلة التغيير والإصلاح، والاعتماد عليها كضمانة عظيمة لوضع برنامج التغيير وما يتطلبه من مراحل تنفيذية.

ج ـ الحفاظ على الروح الشابّة:

يتميّز جيل الشباب بخصائص الحيوية والنشاط والإبداع والخلّاقية والأمل بالمستقبل وغيرها من عشرات الخصال الممتازة والفريدة، فلا ينبغي أن تبهت هذه الخصال أو تضعف في أوساط شباب الحوزة وتحل محلّها ظلال اليأس والقنوط.

إنّ على كل برنامج صحيح وعملي في الحوزة أن يكون باستطاعته جعل نور الأمل في قلوب الشباب الحوزوي أكثر سطوعاً وأشد إشراقاً، وأن يزرع في نفوسهم الثقة بمستقبل زاهر ومفيد لهم ولمجتمعهم، وأن يخلق فيهم حماس وحيوية العمل والدراسة والبحث.

وفي كلمة: أن يحافظ على روح الشباب حية ونابضة فيهم ، ويستفيد منها لإضفاء المزيد من الفائدة على المؤسسة الحوزوية:

«إنّ شبابنا إذا ما بَدَوا شباباً من حيث الظاهر والعمر، ولكن تمكّنت منهم روح الشيخوخة والكسل والضجر والتقاعس واليأس، فسيكون هذا أمراً سيئاً للغاية. إنّ طالب الحوزة لابد أن يكون منشأً للأمل والحماس والنشاط والحركة»[1].

ومن هذا المنطلق، فإن الحفاظ على روح النشاط والحيوية والخلّاقية في جيل الشباب الحوزوي يعتبر من أهم الأمور التي يجب أن يفكر بها المبرمجون بصورة جادة، وأن يستخدموا في سبيل ذلك كافة الأساليب

(١) المصدر السابق.

والأشكال المختلفة، وأن يعلموا بأن استثمار جيل الشباب لا يكون إلا بالحفاظ على هذه الروح المعنوية، ويبذلوا مساعيهم للبلوغ بها إلى مدارج الكمال.

د ـ الاهتمام بالقضايا الفكرية والروحية لشباب الحوزة:

يجب أن تضع البرمجة الحوزوية الصحيحة في حسابها ما يعانيه الطلبة الشباب من قلق فكري واضطراب نفسي، باذلةً جهودها للقضاء على هذه المعاناة، وأن تعبّئ الأدوات المناسبة لتلبية كل حاجة في أوانها، وأن تدعم هذا الجيل فكرياً ومعنوياً عن طريق الاستفادة من الأساليب المختلفة كعقد اجتماعات للتشاور، والأسئلة والأجوبة، والأساتذة المرشدين، وسواها من عشرات الوسائل الأخرى، وأن لا تدع التساؤل والاضطراب يتحوّل لديهم إلى جرح لا يندمل فيؤلم هؤلاء الشباب على امتداد الحياة، ولربما أيضاً يصيب المجتمع بالأذى والضرر.

إنّ الطلبة الشباب لابد أن يكون لهم سند واضح ومرجع معيّن للجواب عما يجول في أذهانهم من تساؤلات عقائدية وأخلاقية واجتماعية وسياسية وغيرها، حتى يكونوا بمنأى عن السقوط في وادي الحيرة أو الضلال. فالطلبة الشباب كغيرهم من الفئات الشابة في البلاد، وفي عصر هجوم الإثارات والتساؤلات، يكونون عرضة للشك وربما الابتعاد عن الدين أكثر من غيرهم، ولكن مع فارق واحد هو أنّ حريتهم واضطراب سلوكهم لا يبقى مقتصراً على دائرة حياتهم الشخصية، بل يمتد أثره ليلقي بظلال الانحراف والتخبّط الكثيفة على الآلاف من غيرهم.

إنّ وجود تصوّر حتى ولو كان مبهماً حول هذه المخاطر، يستوجب تأملاً عميقاً وتخطيطاً دقيقاً لتلبية حاجات هذا الجيل، ومد يد العون للطلبة الشباب عند الأزمات، والأخذ بأيديهم حتى لا يسقطوا في مهاوي الضلال:

«إنّ تلك المجموعة التي تتألّم جرّاء مشاكل الطلبة وقضايا الحوزات ومصير الحوزة، ستفقد الكثير إذا لم تستطع الحفاظ على إيمان الدارسين في الحوزات ورعاية هذه البراعم حتى تصبح أشجاراً مثمرة، فكيف يمكن الحفاظ على هذا الإيمان؟.

في أواخر أيام رئاستي للجمهورية، قمت بزيارة إلى قم، وكانت هذه آخر زيارة لي إلى قم، أو إحدى زياراتي الأخيرة للمدينة، وقد عقدت اجتماعاً في تلك الزيارة للإجابة عن الأسئلة. وكان السبب في عقد هذا الاجتماع هو أن أحد الطلبة سألني قائلاً: إنكم حينما تقومون بزيارة إلى الجامعات تخصصون وقتاً للإجابة عن الأسئلة، فهل حوزة بهذه العظمة أقل شأناً من تلك الجامعات؟

فأجبته قائلاً: هذا كلام صحيح، وكانت هذه الفكرة لطالب حوزوي مبتدئ في الأهواز ـ في نهايات الحرب ـ وقد ظلت في ذهني حتى تحققت لدى مجيئي إلى قم. فاحتشد جمع غفير من الطلبة وطرحوا العديد من الأسئلة، وقد وجدت أن هناك قضايا في الحوزة لا يدركها المرء إلا بالمعايشة»[1].

إنّ التساؤلات والاضطرابات الفكرية والروحية للطلبة الشباب ربما لا تظهر في المحيط الداخلي للحوزة، وربما يؤقلم الطالب نفسه مع السلوك السائد في الحوزة مادام يعيش في البيئة الحوزوية، ويتصرف طبقاً لما تفرضه عليه من سلوكيات نفسية وفكرية، ولكن تلك التساؤلات والاضطرابات أو عوامل القلق ستكون باعثاً على الخطر إذا لم يتمّ التغلب عليها في الوقت المناسب؛ فعندما يخرج ذلك الطالب الشاب إلى المجتمع العام ويبدأ في

---

(١) حديث في لقاء مع هيئة تحرير مجلة الحوزة ١٣٧٠/١١/٢٨هـ ش.

الاحتكاك معه ويسهم بنصيبه في تحمّل المسؤوليات الكبيرة والصغيرة، حينئذ ستستيقظ الهواجس المتربّصة، وستعبّر عن وجودها عندما تشتد سخونة المرحلة وحرارة الأحداث، مخلّفة وراءها من عواقب وخيمة:

«يجب علينا أن ننشئ هذا الطالب الحوزوي الذي عقدت عليه الحكومة والبلاد آمالها ونقيمه كالبنيان المرصوص؛ وذلك كي لا يفشل في أداء مهامه المستقبلية، سواء أكان مدرّساً أو مرجعاً أو مبلّغاً أو مبعوثاً إلى الخارج أو مسؤولاً في الحكومة، حتى لا يكون مصاباً بتلك الأشياء التي عادة ما تقال حول الفراغات والعقد العاطفية.

إنّ أبناءكم إذا عوملوا معاملة سيئة في مرحلة الطفولة فإن ذلك سيؤدي إلى إصابتهم بالعقد النفسية والاضطرابات العصبية؛ وهو ما ستظهر آثاره في الكبر عندما يصبحون تجاراً أو علماء أو سياسيين، وذلك على غرار تلك الزاوية الصغيرة التي تتسع فيها المسافة بين الخطوط كلما امتدت هذه الخطوط، فهذا الأمر ينبغي أخذه بالاعتبار تماماً فيما يتعلق بالطالب الشاب.

إنه الآن في مرحلة التشكّل والبناء وإن كان يحضر دروس البحث الخارج منذ خمس سنوات، وإنه نطفة لذلك الكائن العظيم الذي سيسدّ فراغاً في العالم ذات يوم، فلعله يصير مرجعاً دينياً، أو مدرساً، أو قائداً، أو أي شيء آخر»[1].

هـ ـ الاستفادة من آراء طلبة الحوزة الشباب:

يعتبر الإبداع والتحرّك عند جيل الشباب إكسيراً نادراً لا ينبغي تجاهله أو الاستغناء عنه. فمع التأكيد على الانتفاع بالآراء النيّرة لكبار الحوزة، لا يمكن التغافل عن نقطة أُخرى هي أنه لدى الحديث عن موضوع التغيير

---

(١) المصدر السابق.

والإصلاح، فإن الجيل المعنيّ بذلك أكثر من الآخرين؛ والذي يعاني من النقائص بشدة ولا يدّخر جهداً في التغلب عليها والعثور على حلّ لعلاجها، هذا الجيل يستحق أن يكون في صدارة من نتشاور معهم ونستطلع رأيهم ونتعرّف على أفكارهم ونهتم بما لديهم من اقتراحات.

إنّ سنّة احترام الكبار في الحوزة ـ والتي هي من السنن الحسنة والإيجابية في النظام الحوزوي، والتي يجب أن تبقى وتنتشر وتتعمّق ـ قد أدّت في بعض الأحيان ـ وللأسف ـ إلى تجاهل آراء ووجهات نظر الفضلاء والطلاب الشباب.

فهؤلاء الشباب لم يحظوا بالأهمية اللازمة في نظام الشورى والإدارة ولم تؤخذ آراؤهم واقتراحاتهم مأخذ الجد. ورغم أنّ شعلة النبوغ وشرارة العبقرية والمهارة والذكاء كانت ومازالت متوقّدة في صدور هذا الجيل، فإن هذه الشعلة لم تزد عن أنها أحرقت قلوب الشباب، من دون أن تسطع بالنور والضياء.

إنّ سماحة القائد كثيراً ما أولى عنايته البالغة وتقديره الفائق لقابليات وإبداعات جيل الشباب في الحوزة، ولم يدّخر جهداً من قول أو عمل في الثناء عليهم وإضاءة أنوار الأمل في نفوسهم. ولكن هذه الفضيلة والمنقبة ينبغي لها أن تكون أكثر شمولاً واتّساعاً، وأن تُرى واضحة في الانعكاسات البعيدة والقريبة لمحور الولاية:

«يجب أن نكون على علم بقضايا الحوزة وما الذي ينبغي اتخاذه بشأنها في الوقت الحاضر. هناك استطلاعات للرأي، وهناك بعض من طلبة حوزة مشهد يترددون علينا أحياناً ويكتبون رسائل إلينا ويتحدثون بكلام جيد وجديد. وإنّ المرء ليجد أنّ مثل هذه الآراء كافية في الحقيقة لمن يريد أن

يقوم بإنجازٍ ما في الحوزة، حتى ولو كان الشخص نفسه لا يتمتع بأي إبداع، فإنه يمكن الاستفادة منها.

إنني أقول بأن هؤلاء الشباب ربما لا يخطر ببالهم أننا نستفيد كثيراً مما يبدونه من وجهات نظر، ولربما فكّروا بأن آراءهم لا تحظى بالعناية، مع أن حقيقة الأمر هي أنني شخصياً أستفيد من هذه الآراء وأجد فيها ما هو مفيد»[1].

و ـ بث روح السعي والجِد في شباب الحوزة:

يجب أن يكون برنامج التغيير والإصلاح في الحوزة قادراً على التخلّص من ظاهرة الخمول أو حتى التخلّف في الدراسة والبحث وما إلى ذلك بين شباب الحوزة، وأن يبثّ فيهم روح العمل والنشاط ويعمل على ترسيخها.

ويحتاج هذا الأمر المهم إلى تمهيدات ووسائل مختلفة؛ فهو يحتاج من ناحية إلى قنوات إعلامية مناسبة تعمل على ازدياد تألّق النشاط والازدهار العلمي وإضفاء حلّة التجديد على حلاوة مذاق الدراسة والبحث. وأما من ناحية أُخرى فلابد من توسيع نطاق النشاطات والأبحاث، وخلق الشوق إلى العمل والرغبة في السعي والجد، واستقطاب السلائق والأذواق المختلفة، وذلك بالمزج بين المتطلبات الاجتماعية العامة والحاجات الحوزوية الخاصة:

«ثالثاً: إيقاظ روح العمل في شباب الحوزة، وأقصد بهم الفضلاء الشباب الذين باتوا يشكّلون طبقة عظيمة في الحوزة والحمد لله، فلابد من إيقاظ روح العمل فيهم، وعلى المعنيين بهذا الخطاب أن يوقظوا فيهم روح العمل»[2].

ز ـ التعاطف مع شباب الحوزة:

يجب على المدراء ومصممي برامج الإصلاح والتغيير في الحوزة إيلاء عناية فائقة للطاقة الفعلية والكامنة في هذه الفئة، وأن يحولوا بين جيل

(١) حديث في لقاء مع هيئة تحرير مجلة الحوزة ١٣٧٠/١١/٢٨هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

شباب الحوزة وبين الإحباط أو الانصراف بعيداً عن عجلة التطور والإصلاح. إنّ لشباب الحوزة دوراً مصيرياً في نجاح أو فشل تيار إصلاح الحوزة؛ فالتآلف والتعاطف معهم يمكن أن يسير قُدُماً ببرنامج التغيير وأن يعجِّل بتنفيذه. وأما اليأس والإحباط فسيهدد حركة البناء والإصلاح في الحوزة بالخطر، وسيؤول بها إلى الفشل.

إنّ هذا الجيل يمثل الكفّة الراجحة في تيار الحوزة، فلو بدا منه التناقض مع شخص أو برنامج ما، أو ظهر منه التراخي في الشعور بالتعاون، فإن مكانة ذلك الشخص ووضعه سيكون عرضة للتزعزع، وإنّ ذلك البرنامج لن يكلل بالنجاح. وكما أنّ الطلبة الشباب هم الذين يدفعون بالأشخاص أو البرامج إلى النجاح، مَثَلُهم في ذلك كالسيل الجارف، فإنهم أيضاً يشكّلون حاجزاً أمام نفوذهم وتيارهم مَثلُهم في ذلك كالسدّ الفولاذي.

ولهذا، فإن الحفاظ على مكانة المدراء وكذلك نجاح البرامج سيكون منوطاً بما فيها من جاذبية على صعيد التوافق الفكري والتعاطف مع هذا الجيل، وبما تنطوي عليه من جهود على طريق الحفاظ على أمل هذا الجيل وثقته بنفسه وبالبرامج ذاتها:

«إنني أوصيكم أيها السادة المحترمون ـ وأنتم من الفضلاء والبارزين والحمد لله ـ بهؤلاء الطلبة الشباب. إنّ هؤلاء الطلبة الشباب في غاية الأهمية؛ ومع أنّ الطلبة ليسوا هم المحور الإداري للحوزة، إلا أنهم في الحقيقة محور الآمال والطاقات الفعلية والكامنة في الحوزة العلمية.

إنّ الطلبة إذا ما أصيبوا بالإحباط، فإنكم ستفقدون كل شيء، وسيفقد المراجع أيضاً كل شيء. إنّ هذه نقطة مهمة، فاسعو بأن لا يصاب الطلبة باليأس والفاقة»[1].

(١) حديث في لقاء مع ممثلي طلاب وفضلاء حوزة قم العلمية ١٣٦٨/٩/٧هـ ش.

٥ـ إيجاد التخصصات في الحوزة:

لقد قطعت مؤسسة الحوزة ثلاث مراحل تاريخية مميزة؛ ففي المرحلة الأولى كان التيار الحوزوي العام متّجهاً نحو الشمولية في العلوم والفنون الإسلامية المختلفة، وحتى إنّ بعض العلوم ذات الصلة، كالأدب العربي والمنطق والفلسفة، كانت تمثل قسماً من المناهج الدراسية والتحقيقية الأصلية في بعض الأحيان. كما كان خريجو الحوزة فقهاء ومتكلمين وأُدباء وعلماء بالرجال وأُصوليين ومحدثين وذوي معارف وفضائل أُخرى متعددة.

وفي تلك المرحلة كان مثل هذا التسلط والتمكن أمراً ميسوراً؛ بسبب الأبعاد المحدودة لكل علم من العلوم؛ فكان بمستطاع علماء فضلاء من أمثال الشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطوسي وسواهم من كبار علماء تلك المرحلة أن يتعلّموا ويُعلّموا العلوم والفنون المختلفة، وأن يقوموا بالأبحاث ويؤلّفوا المصنفات القيّمة.

ولكن بمرور الأيام، لم يعد استمرار هذه الطريقة أمراً ممكناً؛ وذلك بسبب اتّساع وتطور العلوم الإسلامية وما يرتبط بها من علوم؛ فلقد تمّ اكتشاف أعماق وأغوار بعيدة في كل علم من العلوم، وطرأ انفتاح على آفاق وذرى جديدة، مما جعل سبر هذه الأغوار والصعود إلى تلك الآفاق العالية لمختلف العلوم الإسلامية أمراً عسيراً على الدارسيين والباحثين. فالذين كانوا يتوقعون إمكان ذلك كان عليهم أن يظلوا دائرين في فلك تلك العلوم دون أن يصيبوا حظاً من التقدم العلمي المناسب أو الإبداع والتجديد.

ومن هذه النقطة، تبدأ المرحلة الثانية من المراحل الحوزوية؛ فبدلاً من أن تصبّ الحوزة اهتمامها على العلوم التي تحتاجها كلٌّ على حدة، وبدلاً من أن تتجه نحو التخصص في كل واحد من تلك العلوم ـ على غرار ما حدث

في العلوم الحديثة مما كان لـه أثر ملحوظ ـ فإنها اتجهت نحـو التخـصص في علم واحد فقط هو «الفقه» وأولته كل اهتمامها. ومن هنا فصاعداً، أصبح الدور الأساسي للمؤسسة الحوزويـة هـو «تخـريج الفقهـاء» وباتـت العلـوم والأعمال الأُخرى مجرد حاشية وشعاع لعلم الفقه.

على أنّ هذا التطور عاد بنفع على الفقه إلى حدّ مـا، فظهـر العديـد مـن الفقهاء الضالعين والمتعمّقين خلال القرون المختلفة، وبرز فقهاء عظام علـى هذا النطاق من أمثال الوحيد البهبهاني، والميرزا القمي، وصـاحب الريـاض، وصاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري، وسواهم ممن ساهموا بدور فعال فـي تطور علم الفقه. ولكن العلوم الإسلامية الأُخرى في الحوزة أُصيبت بالضعف والهزال؛ فصار المتكلمون والمؤرخون والأُدباء وعلماء الأخـلاق وأصـحاب العلوم والفنون المختلفة الأُخرى يعدّون بالأصابع، وحتى هذا العدد المعدود لم يعد لـه مكان أو احترام مناسب في مجمل البناء الحوزوي.

لقد كان مجموع النظام الدراسي والتحقيق في خدمة الفقـه، وأمـا بـاقي العلوم وأصحابها فكانوا يعيشون على حاشيته كالمتطفلين، وكان يُنظر إلـيهم على أنهم ضيوف غير مرغوب فيهم.

ويصف الشهيد المطهري هذه المرحلة بمرحلة تحويل الحوزة إلى كلية للفقه؛ فمؤسسة الحوزة العظيمة والواسعة النطـاق التـي كانــت تعـد جامعـة إسلامية كبرى، تحوّلت إلـى مجـرد مؤســسة فقهيـة، وأصـبحت نـشاطاتها محدودة ولا تتجاوز هذا المستوى الضئيل.

وأما المرحلة الثالثة التي مرّت بها مؤسسة الحوزة، فـيمكن التـأريخ لهـا من العقود القليلة الماضية، حيث اتضحت المكانة العامـة والـشاملة للحـوزة أكثر من ذي قبل عندما أخذ بالاعتبار اتجاه المتطلبات الجديدة.

لقد توصّل كبار وفضلاء الحوزة من جديد إلى فكرة أنّ مجرد المظهر الفقهي للحوزة والمؤسسة العلمائية لا يمكن أن يكون وحده كافياً لتحمّل رسالة الحوزة. وعلى هذا النطاق تمّ بذل جهود، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي؛ بغية أن يكون الوضع الجديد للحوزة متناسباً مع الظروف الجديدة والعمل على ظهور اتجاهات متعددة تواكب المسؤوليات المختلفة.

ومع أنّ هذه المرحلة مازالت فتيّة ولم تصل أفكارها ومشاريعها بعد إلى ما يرجى لها من خصب ونضج، إلاّ أنها تفصح بلا شك عن الضرورة المُلحّة للمؤسسة الحوزوية في العصر الحاضر، وهي حركة أخذت براعمها تنمو وتتفتح من بين أطلال القرون الماضية مع مئات الأعوام من التأخير، ومازالت تتطلب الكثير من المعونة والإمدادات الفكرية والمعنوية.

ولقد قام سماحة القائد بمساندة هذه الفكرة منذ عهد بعيد، واعتبرها أحد البرامج التأسيسية للحوزة المطلوبة:

«إنّ هذه نشاطات يجب إدراجها في سلك الإجراءات الجديدة، ولابد من مزاولتها في الحوزة. وهذه الإجراءات تشمل التخصص في العلوم والأقسام الدراسية، وما إلى ذلك»[1].

ومن هذا المنظار، أشار سماحة القائد إلى أربعة اتجاهات أصلية تَمُتُّ لها رسالة الحوزات بالصلة الوثيقة، واعتبرها من الطراز الأول من حيث الأهمية:

«إنّ هناك أربعة تخصصات بحاجة إلى فنّان ومتخصص ومتبحّر يكون أوحدياً وفذّاً في مجاله، ويأتي الفقهاء الكبار بالدرجة الأُولى.

على الحوزة أن تنهض لتخريج الفقهاء الكبار حتى يكون هناك مراجع تقليد وعلماء عظام تنهل الجماهير في المحافظات والمدن وفي كل مكان مما

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

لديهم من علوم ومعارف. وبناءً على هذا، فإن على الحوزة بالدرجة الأُولى أن تشمّر عن ساعديها لإعداد وتخريج مثل هؤلاء الأشخاص.

وأما بالدرجة الثانية، وهي لا تقل أهمية عن سابقتها، فإنه ينبغي أن يكون هناك باحثون وأساتذة متخصصون في الحوزات من أجل التطوير العلمي وكتابة الأبحاث الجديدة؛ فثمة فارق بين ذلك المرجع أو ذلك العالم الكبير الذي ينشغل بنشاطات ثانوية وشعبية وسياسية، وبين ذلك الباحث الذي تنصبّ نشاطاته كلها على التطور العلمي في الحوزة، حتى إذا واجهنا مشكلة علمية أحلناها إليه لدراستها وتحليلها تحليلاً منهجياً وتزويد الحوزة العلمية بما توصّل به من نتائج.

وأما النوع الآخر من التخصص فهو التبليغ؛ والمبلّغ يختلف عن الخطيب المنبري، فالخطابة نوع من التبليغ، وأما المبلّغ فيقصد به المتحدث والكاتب والفنان، وليس مدعاة للعجب أن ننتظر من الحوزة أن تخرّج لنا فنّانين؛ فما المانع من ذلك؟

إنّ الحوزات العلمية إذا ما تحركت بشكل جيد يمكنها إنشاء قسم لترشيد الأذواق والقرائح الفنية، وذلك ضمن نشاطات قسم التبليغ.

وعلى ذلك، فإن القسم الثالث هم المبلّغون الذين يشملون أنواع الخطباء والكتّاب؛ أي الخطباء في المحافل العامة، والخطباء في المحافل الأجنبية والدولية، والمُلمّين باللغات المختلفة، والخطباء في مختلف البلدان والمتحدثين مع الأجانب والمواطنين. وأما الكتّاب فهم: مؤلفو الكتب والكراسات، ومؤلفو الكتب الفنية.

ويبقى القسم الرابع، وهو الذي سيفرض نفسه قهراً على مثل هذا النظام المعنيّ بتربية الشخصيات البارزة، وهم العلماء الذين يتناسبون مع الإقامة في

المناطق المختلفة، أي أنهم علماء من الدرجة الثانية ممّن لديهم حظ وافر من العلم واللباقة والمعرفة والعلاقات العامة وما إلى ذلك من الأُمور، ولكننا نجدهم منتشرين في كل مكان يدبّرون شؤون الجماهير ويستضيء المواطنون بنورهم كالشموع»[1].

وفي حديث آخر اعتبر سماحة القائد أنّ تصنيف طاقات الحوزة على أساس الأهداف والوظائف المذكورة يعدّ واجباً مُلحّاً وأساسياً، ورغم التأكيد على ما في هذا الأمر من تعقيدات ومصاعب، فإن سماحته دعا إلى عدم التمهّل في القيام به. وهذا التقسيم التدريجي والتصنيف على أساس الأهداف يمكن أن يجعل الفضاء المستقبلي للحوزة متناسباً مع ما يُنتظر منها من دور ورسالة:

«تاسعاً: التقسيم التدريجي للطلاب طبقاً للأهداف. إنّ الإحصاءات التي بحوزتي تشير إلى وجود ثلاثة إلى أربعة وعشرين ألف طالب في الحوزة، فإذا ما تحدّثنا بناءً على هذه الإحصاءات، فإننا نجد أنّ الفضلاء الكبار والعلماء يشكّلون نحو سبعة أو ثمانية آلاف من هذا العدد، وهم لا يدخلون في هذا التقسيم؛ لأنهم قطعوا المراحل العلمية ووصلوا إلى المدارج العلمية الرفيعة. وأما القسم الآخر فيضمّ أُولئك الذين لم يهتّموا بالدراسة في شبابهم ولم يعد لديهم الآن الوقت لاستئناف الدراسة.

فلو فرضنا أنّ حوزة قم العلمية تضمّ خمسة عشر ألف طالب، فلنتخر منهم نحو ألف طالب؛ ليكونوا فقهاء ومجتهدين كباراً في المستقبل طبقاً للقاعدة السابقة، وبالطبع فإن هذا العمل يجب أن يتمّ في وقته. فلنأخذ بحسباننا مثلاً دورة تمتد على مدى عشرين عاماً، مع العلم بأن هذه الدورة

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧٢/٦/٢١هـ ش.

سينضمّ إليها البعض كل عام وسيغادرها البعض الآخر أيضاً كل عام، ولكن ليكن متوسط زمنها عشرين عاماً تقريباً. وهؤلاء الأشخاص لابد أن تكون لديهم القابلية والرغبة لدراسة الفقه دون توقف أو انصراف عن الدراسة، وحينئذ يتم تنظيمهم والعمل معهم عملاً دؤوباً وتخصصياً في مجال الفقاهة. ولسوف يتخرج من بين هؤلاء المدرسّون والمؤلّفون الكبار في الفقه، وسيبرز من بينهم أيضاً مراجع التقليد.

إنكم لو نظرتم إلى الماضي قبل عشرين أو أربعين عاماً ولحد الآن لوجدتم أنه ليس قليلاً أن يكون لدينا ألف فقيه من النخبة والبارزين الكبار الذين يستطيعون القيام بتغطية شاملة للعالم الإسلامي اليوم على صعيد الفقاهة العلمية، وكذلك ألف مجتهد في علم الكلام لتلبية حاجة العالم الإسلامي، فابحثوا عمن لديهم الشوق والرغبة، ونظموا لهم دروساً خاصة، وارسلوهم إلى الخارج أو امنحوهم منحاً دراسية في الجامعة إذا كان ذلك ضرورياً.

فإذا انتقلنا إلى المرحلة التالية، فسنجد أنه من الواجب علينا اعداد خمسة آلاف عالم متوسط المستوى لتغطية حاجة المدن، ومن بينهم المجتهدون والقريبون من الاجتهاد والمجتهدون جزئياً وتأمين ما يحتاجون إليه، وبالطبع فإن هؤلاء ستكون لهم دورة دراسية معيّنة.

كما يجب أيضاً اختيار خمسة آلاف شخص ليكونوا مبلّغين وخطباء وكتّاباً ومتحدّثين علماء وفضلاء، واختيار ثلاثة آلاف آخرين للتبليغ في خارج البلاد بحيث يغطّون كافة بلدان العالم، فمجموع هؤلاء جميعاً سيكون خمسة عشر ألفاً. وبالطبع فإن مثل هذا العمل لن يتم إنجازه غداً، فلو بدأنا اليوم في العمل فلربما كان من الممكن لنا الحصول على مثل هذا التصنيف بعد مرور خمس سنوات. ولكن يجب على الحوزة تحقيق هذا الهدف،

وستتأخر حتى لوضيّعنا يوماً واحداً من دون البدء بهذا العمل. إنني أعلم بأن هذا عمل معقد وصعب، ولكن إذا قررت ولكن الحوزة القيام به ـ وليس شخص واحد فقط ـ فإنها ستستطيع إنجازه»[1].

وعلى هذا الأساس، فإن قضية التخصص في الحوزة تعتبر ضرورة عاجلة وملحّة بالنسبة لهذه المؤسسة العظيمة والأساسية. إنّ الاحتفاظ بالشكل القديم وقصر الحوزة على مجرد الدراسة الفقهية سيلحق بها وبالكيان العلمائي الكثير من الأضرار؛ فهو من جهة سيؤدي إلى ضياع الإمكانيات والقابليات؛ لأن الذين ليست لديهم رغبة أو إمكانية لدراسة الفقه ولا يطمحون إلى الاجتهاد سيجدون أنفسهم واقعين في ربقة تلك الدروس، وسيقضون عمرهم بلا جدوى، وستضيع حياتهم وإمكانياتهم هدراً دون أن يستفيدوا منها هم والمجتمع بالشكل المطلوب.

ومن جهة أُخرى، فإن المراجعات الكثيرة والحاجات الشديدة إلى مؤسسة الحوزة ستظل بلا مجيب، وهو ما سيترك آثاراً سلبية على الثقة الاجتماعية في إمكانيات الحوزة.

٦ـ تربية المواهب المتألّقة:

ينبغي على القائمين بشأن البرمجة في مؤسسة الحوزة إيلاء أهمية خاصة للمواهب البارزة في الحوزات العلمية ورعايتهم رعاية متميزة، والنظر إليهم بعين الاهتمام في الشؤون الدراسية المختلفة وسائر أمور البحث والتحقيق والمعيشة والحياة.

إنّ المواهب المتألقّة من بين مجموعة الدارسين والباحثين تعتبر كنوزاً قيّمة ودرراً مكنونة في الحوزة، وإن تطور وارتقاء مستوى هذه المؤسسة

---

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العليمة ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

منوط بعدد هذه المواهب، وأيضاً بتفعيلها وبثّ روح الدفء والحماس في نفوس أهلها.

وهذا الاهتمام يتطلب من مثل هذه المؤسسات تخصيص ميزانية دقيقة ومحسوبة لتشجيع وإعداد هذه المواهب. فعلى المعنيين بشأن التخطيط إعداد دراسات خاصة حول مثل هؤلاء الأشخاص من أجل تفعيل هذه المواهب والاستفادة منها في أقرب وقت لتحقيق أهداف الحوزة العلمية.

إنّ القابليات المتألّقة والمواهب النابغة ليست بالقليلة في الحوزات العلمية، إلاّ أنها لا تتمتع بالدعم اللازم ـ وللأسف ـ في نظام الحوزة الحالي. وإذا تمّ تنشيط أصحاب هذه المواهب، وسارت الأُمور على ما ينبغي، وتوفّر لهم أساتذة مخلصون، فإنهم سيكونون قد فازوا بإمداد غيبي كبير وحظ عظيم لم يكن بالحسبان، وهو ما لا يكون من نصيبهم في أغلب الأحيان.

فالنتيجة، أنّ الحوزة إذا تخلّت عن دعمها وترشيدها لمثل هذه العناصر النادرة، فإنهم سيصبحون كالآخرين بلا متاع علمي يذكر، اللهم إلا القليل من الدراسة والتفقّه.

وهذه الظروف ستُفضي في النهاية إلى أحد أمرين: إما أن تصاب هذه المواهب بالإحباط جرّاء الإهمال والفشل فتبحث عن طريق للهرب من الحوزة، أو تصبح في عداد متعددي الحِرَف، كما حدث بالنسبة للكثيرين منهم في العقد الأخير ممن واجهوا مثل هذا المصير وابتعدوا عن ساحة الحوزة، وإما أن يقضي هؤلاء حياتهم كالآخرين بلا تطلّعات إلّا النزر اليسير من الطموحات، فتنطفئ شعلة عبقريتهم رويداً رويداً، ويخفت نور نبوغهم كالشموع الذاوية.

إنّ هذين الأمرين يمثّلان إلى حدّ كبير مصير أغلب العناصر النابغة والذكية في الحوزات العلمية، وهما نهايتان جرّتا الكثير من الضرر على المؤسسة الحوزوية وتسبّبتا في ذهاب ذخائر الحوزة النفيسة أدراج الرياح. وهذه الضرورة المُلحّة تتطلب بذل عناية خاصة بالعناصر المستعدّة والمواهب المتألّقة ضمن خطة حكيمة من قِبَل الحوزة، وأن تلقى هذه المواهب الدعم اللازم من جانب المبرمجين والإداريين في الحوزة حتى تكون في مكانها الدراسي والتحقيقي والعملي المناسب:

«يجب علينا حصر وجمع المواهب المتألّقة في الحوزة، وهو من الأُمور الشائعة الآن في العالم، ولا يمكن لنا أن نقول: بأن الدروس موجودة، وأنّ هذا هو منهجنا؛ فمن أراد الحضور للدراسة فليحضر وإلا فلا!

إنّ علينا مراعاة أضعف المأمومين، فهل هذا ممكن؟! إنّ علينا أيضاً مراعاة أقوى المأمومين، وأن نخصص لهم دروساً تتناسب مع قدراتهم، ولابد من التعرّف على المواهب والقابليات وتصنيفها»[1].

هيكلية التنظيم

تحتاج الحوزة إلى تنظيمات منسجمة تستطيع وضع الخطط الناجحة مضافاً الى ما تستلزمه من وسائل وأساليب علمية، وإجراء نقاشات تخصصية حول هذه الخطط والبرامج، ومن ثم الصيرورة إلى تدوين برنامج أُصولي وعملي وواقعي للحوزة العلمية، هذا أولاً.

وثانياً: تخصيص الطاقات والقوى العاملة من أجل تنفيذ هذه الخطط؛ حتى تستطيع السير بها قُدُماً بكفاءة ودراية.

---

(١) حديث في جمع من طلاب العلوم الدينية بالمدرسة الفيضية ١٣٧٠/١٢/١هـ ش.

ومنذ عدة سنوات، عرض سماحة القائد أصولاً عامة لمشروع التنظيمات الحوزوية، ويقوم هذا المشروع على ثلاث ركائز هي: إدارة الحوزة، ومجلس البرمجة والتخطيط، ومعاونيات الإدارة.

١ـ إدارة الحوزة:

ظلت الحوزة العلمية تعمل لسنوات طويلة تحت إشراف مجلس للإدارة ينهض بأعباء الأمور التنفيذية فضلاً عن التخطيط والبرمجة.

وقد أشار سماحة قائد الثورة إلى النقاط الآتية وقدّم إرشادات فيما يتعلق بإدارة الحوزة:

أ ـ إدارة واحدة وليس مجلساً للإدارة:

أكّد سماحته على وحدة الإدارة في الحوزة، مع الأخذ بنظر الاعتبار المشاكل الناجمة عند اتخاذ القرار من قِبَل مجلس إداري، ومن ذلك قول سماحته:

«إنني أقول: بأن الحوزة لا تدار من خلال مجلس للإدارة، ولكنها تحتاج إلى مدير واحد؛ ففي قمة الهرم لابد من وجود مجلس أعلى للتخطيط في الحوزة، وهذا المجلس يتألف من خمسة عشر أو اثني عشر شخصاً من الفضلاء من الطراز الأول في الحوزة، فيجتمعون مرة كل أسبوعين؛ من أجل تبادل وجهات النظر حول التخطيط وشؤون الحوزة بشكل عام دون الدخول في القضايا الجزئية التنفيذية، وهذه المجموعة تختار لها مديراً»[(١)].

كما أشار سماحته في حديث آخر إلى التجارب غير العملية لمجالس الإدارة في الأمور التنفيذية، ودافع عن فكرة وجود مدير واحد على صعيد التنفيذ ومجلس متعدد الأعضاء للشورى على صعيد التخطيط ووضع البرامج الضخمة:

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

«إنّ هؤلاء يقومون بالتخطيط، بينما يقوم المدير بالتنفيذ، فلا يصح أن تكون هناك شراكة في التنفيذ، حتى لا يكونوا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا﴾[1].

إنّ القرارات ستبقى مجمّدة بلا تنفيذ إذا كان هناك عدد من الأشخاص ـ ذوو أذواق مختلفة ـ يريدون التدخّل، أو حتى التشاور وضم رأي أحدهم إلى الآخر والعمل من هذا المنطلق. لقد شاهدنا وتم تجربة أنّ مثل هذا الأسلوب ليس مجدياً ولا عملياً في شؤون البلاد والسلطة والحكومة.

ولهذا فقد لاحظتم أنّ الإمام في أواخر حياته المباركة كان يحدد بحزم طرفاً من الأطراف لدى الاشتراك والتوازي والتداخل، وتوصّل إلى ضرورة وجود إدارة واحدة للأخذ بزمام الأمور. كما أننا لم نجرّب كثيراً العمل الجماعي في الحوزة العلمية في قم وسواها من حوزاتنا العلمية، ولهذا فإن العمل المشترك والجماعي ليس أمراً عملياً»[2].

ب ـ صلاحيات الإدارة:

لقد دافع سماحة القائد عن وجود إدارة مبسوطة اليد في الحوزة واعتبرها أمراً ضرورياً. ويجب على المدير الحركة بصلاحية تامة في نطاق ما اتخذه المجلس من قرارات وبرامج، ويدبّر الأمور بإرادة واحدة، ويكون باستطاعته اتخاذ القرارات التنفيذية بالسرعة اللازمة والتقدم بالأوضاع نحو التغلب على المعضلات:

«ومن هذا المورد نستنتج أنّ مدير الحوزة لابد وأن يكون قادراً على حسن الاختيار والإبداع والإقدام بسرعة مناسبة والحديث القاطع، وأن يكون

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٢.

(٢) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ ش.

مختاراً في حدود هذه الإدارة، وهذا ما يستوجب وجود مدير واحد وإدارة واحدة.

على مجلس الشورى والتخطيط أن يحدد للمدير الإطار العام ومنهج العمل ثم يدعه لتحمّل مسؤولية الإدارة الجسيمة؛ أي تحقيق ما قرره المجلس وما اتخذه من إجراءات في نطاق المنهج العام للعمل، والسعي إلى أداء هذه الأمانة بحرية واختيار.

إنّ العمل التنفيذي والإداري سيسير سيراً بطيئاً ولعله سيتوقف تماماً إذا تورط بالعمل الجماعي، ووقع في مشكلة اختلاط المسؤوليات»[1].

ج ـ شروط مدير الحوزة:

لقد أكّد سماحة القائد على ثلاث نقاط فيما يتعلق بالشروط التي يجب توفّرها في مدير الحوزة:

أولاً: أن يكون من فضلاء الحوزة ومشهوراً بالعلم والفضل في الأوساط الحوزوية.

ثانياً: أن يكون من داخل الحوزة وليس من الشخصيات العلمية التي ابتعدت عن الحوزة واشتغلت بأعمال أُخرى.

وثالثاً: أن يوقف جهوده الأساسية على إدارة الحوزة معتبراً ذلك عمله الأصلي:

«إنّ ثمة شروطاً ينبغي توفّرها في هذا المدير؛ فأولاً: يجب أن يكون من فضلاء الحوزة، وأن يحظى بالقبول لدى الطلبة والفضلاء؛ لأنه إذا كان من خارج الحوزة وليست له منقبة من فضل وعلم، فإنه سيوجد المشاكل.

---

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قم العلمية بمناسبة تشكيل مجس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

وسيقال طبعاً: بأن فضلاءنا مشغولون بالدرس والتحقيق. نعم، وأنا أعرف ذلك، ولكني أقول عليهم التخلي عن هذه الدروس في سبيل رضا الله تعالى، وتحمّل هذه المسؤولية في دورات متتابعة تستغرق كل منها ثلاث سنوات.

إنني، وبعد رحيل الإمام، وضعت الكثير من هذه المسؤوليات المهمة في البلاد على عاتق بعض الأشخاص لدورات محددة تستغرق كل منها عامين أو ثلاثة. وإنني أناشدكم أنتم الفضلاء الذين تقومون بتدريس البحث الخارج لخمسين أو مئة طالب ـ أو أكثر أو أقل ـ وأهيب بكم أن تعطلوا هذه الدروس لمدة ثلاث سنوات لوجه الله تعالى. فما هي الكارثة التي ستحل بالعمل إذا ما توقفت هذه الدروس؟ فانهضوا لتحمّل هذه المسؤولية وقبول هذه الإدارة»[1].

د ـ واجبات الإدارة:

على مدير الحوزة التفكير بالأمور الموضوعية بعيدة المدى، وتمهيد الأرضية اللازمة لتطبيقها. ومن جهة أُخرى، فإن عليه أن يكون مؤمناً بالنشاطات التعبوية والجهادية في الحوزة، وأن يتخذ من إدارة الحوزة مجالاً للجهود السريعة والشاملة.

على مدير الحوزة أن لا يعتبر نفسه مجرد مدير لإحدى الدوائر أو الوزارات، وأنّ عمله ينحصر في تنظيم البلاغات وتنفيذها، وأنّ دوره يتمثل في تطبيق القرارات أو العمل على توقيع القوانين اللازمة؛ فقسم عظيم من شؤون الحوزة بحاجة إلى حركة تعبوية وجهود جبارة تستطيع استثمار القابليات الضخمة والمبعثرة في المؤسسة العلمائية وإطلاق الطاقات الكبيرة الكامنة، ومن ثم الاستفادة منها في إقامة أنظمة منسجمة ووضع برامج ناجحة.

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

إنّ منهج إدارة الحوزة هو الذي يتمكن من بثّ الحماس على هذا الطريق العظيم، واستقطاب جموع الطلاب والفضلاء الموهوبين وأصحاب المشاريع وذوي الآراء الحكيمة والانتفاع باقتراحاتهم ووجهات نظرهم، وإشراكهم في بناء وصناعة الحوزة على أفضل وجه من خلال إيجاد الشعور بالتميز وقوة الشخصية في شباب الحوزة، وعقد العلاقات الفكرية والعاطفية الوثيقة بينهم وبين كبار أساتذة ومحققي الحوزة البارزين والاستفادة من أفكارهم ومواقفهم الداعمة. وبصفة عامة، بذل الجهود العامة في سبيل إصلاح الحوزة والوصول بها إلى الكمال:

«إنّ بإمكان الإدارة القيام بنمطين من العمل: الأول: الأعمال القانونية الإدارية من قبيل الامتحانات والتوظيف والرواتب وكيفية إجرائها.

والثاني: الإنجازات الكبرى والعظيمة التي ربما لا تندرج تحت قانون أو قرار خاص، ولكنها تجسّد حركة جهادية وتعبوية، واستخدام الطاقات والعناصر المختلفة وطريقة إنجاز الأمور وتدبيرها»[1].

وفي حديث آخر أشار سماحة القائد بإيجاز واختصار إلى جوانب أخرى من واجبات إدارة الحوزة، حيث نعرض في البداية عرضاً موجزاً لعناوين هذه المحاور، ثم نأتي بنص كلام سماحته على النحو التالي:

أولاً: اختيار المعاونين من ذوي الخبرة واللياقة:

إنّ بوسع أي برنامج متين أو مدير قوي التعبير عن كفاءته وفاعليته فيما لو استفاد الجهاز الإداري من الطاقات اللائقة والخبيرة والمجربة والنشطة وأعطاها فرصة المشاركة في التخطيط والتنفيذ. وإلا فإن أي برنامج مهما بلغ من القوة، وكل مدير مهما تمتع بالحنكة والكفاءة، سيواجه العقبات

---

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

والمشاكل جرّاء ضعف المعاونين والزملاء، وستذهب نقاط القوة هباءً بلا جدوى، بينما تصبح نقاط الضعف أكثر بروزاً وتأثيراً يوماً بعد آخر.

ثانياً: الأولوية في تصنيف المسائل:

على مدير الحوزة الإشراف شخصياً على ترتيب القضايا والأُمور الأساسية بصورة منطقية وأن يكون ذلك تحت إشرافه وفي كفالته الشخصية، وأن يقوم بتصنيفها وتحديد الأهم من المهم، وتقديم ما هو أهم على المهم، وإضفاء مسحة من الإقدام والتعجيل على تيار إصلاح الحوزة.

فإدارة الحوزة معرضة لخطر الانهماك في الأُمور اليومية والعادية، والانشغال عما هو الأهم والمهم من القضايا، وضياع الوقت سدى جرّاء الدخول في دوامة المسائل الصغيرة ومتاهة القضايا التافهة التي لا نهاية لها، ولن يتم التغلب على هذا الخطر والخلاص منه إلا في ضوء الاهتمام بالأولويات ومراعاتها.

ثالثاً: استناد أي إجراء إلى خطة منظمة:

إنّ كل قضية من قضايا الحوزة تستتبع جملة من النتائج والتداعيات التي لابد من بحثها ودراستها قبل القيام بأي إجراء؛ فعلى إدارة الحوزة تجنب القيام بإجراءات فجّة وغير محسوبة في زحمة التعجّل اللاهث أو المشاعر الجيّاشة والأحاسيس العاطفية، وإلاّ لكانت نهايتها الوقوع في ربقة العواقب السيئة والوخيمة؛ فأولاً: ستنتهك حرمة إدارة الحوزة وستفقد مكانتها اللائقة، وستنعدم الثقة في إمكانية اتخاذ هذه الإدارة إجراءات أساسية ومبرمجة لدى فشل مثل تلك الإجراءات المتعجّلة.

وثانياً: فإن قرارات الإدارة وإقداماتها ستجلب على الحوزة المزيد من الأضرار، وستضاعف من مشاكلها المعاصرة، وستجعل العمل من أجل إصلاح البناء الحوزوي أشد صعوبة وعسراً.

وقد أشار سماحة القائد إلى الملاحظات المذكورة إشارة موجزة، فقال:

«يجب على المدير المحترم الاستعانة بأسلوب عمله الصحيح والقوي واختيار معاونين من ذوي اللياقة والخبرة، والوقوف على الأمور الأصلية الأساسية وتقديمها على غيرها من الأمور الجزئية والثانوية، والإقدام على كل عمل وفقاً لتخطيط وحساب دقيق سابق ويتناسب مع الشؤون الادارية الأخرى، وذلك من أجل القيام بدوره البالغ الأهمية، وأداء واجبه المتأخر على أحسن وجه وأفضله»[1].

٢ـ مجلس التخطيط والبرمجة:

سيكون هذا المجلس مسؤولاً عن تحديد وإمضاء السياسات العامة والمشاريع الكبرى، وضمان ثقة فئات الحوزة وطبقاتها المختلفة فيما تتخذه إدارة الحوزة من قرارات:

«ينبغي أن يكون هناك على رأس الأمور مجلس أعلى للتخطيط الحوزوي، ويتكون هذا المجلس من خمسة عشر أو اثني عشر شخصاً من فضلاء الحوزة من الطراز الأول، حيث يجتمعون مرة كل أسبوعين من أجل التشاور وتبادل وجهات النظر حول قضايا الحوزة ووضع السياسات اللازمة دون الدخول في التفاصيل التنفيذية، وهذه المجموعة تختار لها مديراً»[2].

إنّ هذا الكلام في غاية الوضوح حول شروط مجلس التخطيط وإطار عمله ووظائفه؛ فمن جهة يشارك في هذا المجلس كبار الحوزة ويدلون بدلوهم حول قضايا الحوزة الكبرى والأساسية، وهو ما سيكون ترسيخاً للثقة في الحوزة وإضفاءً للهيبة عليها.

(١) بيان إلى جماعة المدرسين بحوزة قم العلمية بمناسبة تشكيل مجلس التخطيط بالحوزة ١٣٧١/٨/٢٤هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

ومن جهة أُخرى فإنهم سيجعلون التنظيمات الإدارية مبسوطة اليد ومعتمدة على نفسها في إدارة الأُمور، وذلك نتيجة لعدم تدخّلهم في الجزئيات والشؤون التنفيذية.

وفي بقية حديثه، أشار سماحة القائد إلى ضرورة أن يكون أعضاء المجلس المذكور من ذوي «الأفكار النيّرة»، حيث يقول:

«يجب اختيار عشرة أو خمسة عشر شخصاً من ذوي الأفكار النيّرة، ولا يُشترط أن يستنفد هؤلاء وقتاً طويلاً للعمل، بل يكفيهم الاجتماع مرة كل أسبوع أو أسبوعين حسب الضرورة وطبيعة العمل، فيجتمعون حينئذ للتخطيط ورسم الخطوط الأصلية. ولهم أن ينتخبوا أميناً عاماً نشطاً من أجل تنسيق البرامج، ثم ينتخبوا مديراً قوياً ويدعموه بشدة»[1].

٣ـ المعاونيات والتنظيمات الإدارية:

في حديثه مع علماء ومدرّسي حوزة قم العلمية عام ١٣٧٠ هـ.ش، حدد سماحة القائد الأُطر العامة لتنظيمات الحوزة، واقترح الأقسام التالية:

أ ـ مكتب التخطيط والبرمجة:

ويقوم هذا المكتب بدور العقل المفكر والخلّاق للنظام الإداري، ويعكف على التجديد والتطوير طبقاً لمقتضيات الزمان والمكان، ويتولّى مسؤولية تدوين البرامج والقرارات والمشاريع الفاعلة والمفيدة:

«قبل المعاونيات، يجب أن يكون هناك مكتب للتخطيط والبرمجة لا يكف عن العمل في وضع وتقديم المشاريع الحوزوية، فيجتمع أعضاء هذا المكتب باستمرار لوضع المشاريع فيما يخصّ القرارات والتعليمات والأشكال والأعمال وهيئة الحوزة وقضاياها العامة»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ب ـ قسم شؤون التبليغ واعداد الكوادر العاملة:

لابد للحوزة من تلبية حاجات التبليغ داخل وخارج البلاد؛ ففي داخل البلاد أُضيفت مراكز تبليغية جديدة إلى المراكز التقليدية كالمساجد والحسينيات والمواكب الدينية وسواها. وهذه المراكز الجديدة تمثلت في المدارس والجامعات، أي المراكز التعليمية، كما تمثّلت في المراكز العسكرية من قبيل الجيش والحرس الثوري وغيرهما، وكذلك في المؤسسات الإدارية وغيرها.

وهذه المعاونية يجب أن تتحمّل مسؤولية اختيار وتدريب المبلّغين وإعدادهم للعمل في المراكز المذكورة؛ وذلك بغية تلبية الحاجات الاجتماعية في هذا المجال وفقاً لمعيار مناسب:

«إنّ إحدى هذه المعاونيات هي معاونية التبليغ والكوادر، ويتحدد نشاط هذه المعاونية في إعداد المبلّغين لداخل البلاد وخارجها وكذلك توفير المبلغين الأصليين والموسميين للمناطق المختلفة في الداخل. ويُفترض على كل صنف من هذين الصنفين الالتحاق بصفوف دراسية ودورات قصيرة الأمد إضافة إلى صف دراسي ودورة تدريبية خاصة.

وباعتقادي، فإن إمامة الجمعة مثلاً ليست بالأمر الذي يتوقف على مجرد العلم والبيان وغيرهما دون الحاجة إلى شيء آخر. إنّ إمامة الجمعة تتطلب شيئاً آخر أيضاً، فالذين يتمتعون بالخبرة في هذا المجال متمرسون في هذا العمل ويعرفون ما الذي تحتاجه إمامة الجمعة، فعليهم أن يعدّوا منهجاً دراسياً لذلك من أجل دورة تعليمية من أربع أو خمس أو عشر جلسات يحضر فيها الراغبون بأن يصبحوا أئمة للجمعة ويدرسون هذه المناهج استعداداً للعمل.

ثم تقوم الأمانة العامة لأئمة الجمعة بدور اختيار هؤلاء الأئمة حسب المستويات المختلفة، وهذه الأعمال كلها تقع على عاتق الحوزة.

إنّ على الحوزة أن تصبّ اهتمامها على قضية استقرار علماء الدين في المناطق المختلفة وتوفير المدارس للمراكز التعليمية والثقافية التي تقوم بتخريج المعلمين، ففي كافة أنحاء البلاد الآن توجد تجمعات كالجيش والحرس الثوري والجامعات وجامعات تربية المعلمين وتربية المدرسين، وكلها بحاجة إلى معلمين من علماء الدين في الحوزة»[1].

ج .قسم شؤون التعليم:

يهتم هذا القسم بإعداد المناهج الدراسية وتنظيمها والتنسيق بينها، وتقديم صورة معينة للمدارس التخصصية في الحوزة، وإعداد النصوص الدراسية المناسبة، واقتراح مشاريع للبحث والتحقيق أثناء الدراسة وفي نهايتها عند التخرج:

«وأما القسم الآخرة في الحوزة العلمية فهو شؤون التعليم، ويهتم هذا القسم بإدارة مدارس المراحل الأولى والمدارس التخصصية، وإعداد المناهج الدراسية والنصوص التعليمية، وتقديم شهادات التخرج، ومطالبة الطلاب بتقديم اطروحات التخرج، على أن يكون ذلك وفق برنامج محدد»[2].

د ـ قسم شؤون البحث والتحقيق:

يهتم هذا القسم بتربية وإعداد الباحثين والمحققين الحوزويين، والمساعدة في تعيين واقتراح مواضيع رسائل التحقيق والإشراف على انجازها وإتمامها، والعمل على اصدار المجالات المختصة في مجال البحث والتحقيق:

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

(٢) المصدر السابق.

«إنّ عمل شؤون البحث والتحقيق، هو تربية الباحث، والتمهيد لكتابة الرسائل والمؤلفات التحقيقية، والعمل على اصدار المجلات العلمية في الحوزة»[1].

هـ ـ قسم شؤون التربية:

وقد أكّد سماحة القائد على ثلاث نقاط أساسية بهذا الصدد:

أولاً: تأسيس مكاتب مشاورات تربوية وأخلاقية للحوزويين، حيث إنّ تأسيس وانتشار مثل هذه المكاتب سيكون بإمكانه الحيلولة دون الأمراض الأخلاقية وعوامل القلق والاضطراب والمشاكل أثناء فترة الدراسة أو العمل على التخلص منها والقضاء عليها.

ثانياً: سيكون بمستطاع هذه المعاونية أن تساعد على سمو المحيط الروحي والمعنوي في الحوزة من خلال إعطاء الدروس التربوية والأخلاقية.

ثالثاً: اكتشاف المواهب البارزة والعمل على تفتّحها وازدهارها:

«ومن هذه المعاونيات، المعاونية التربوية التي تضطلع بمسؤولية تأسيس مكاتب للمشاورات الأخلاقية والتربوية، وتقديم دروس وبرامج تربوية، واكتشاف المواهب المتفتحة وترشيدها، فهناك العديد من المواهب والقابليات المتألّقة بين طلابنا وفضلائنا»[2].

و ـ قسم شؤون المدن:

تمثّل حوزات المدن مصدراً غنياً لإمداد الحوزات المركزية بالطاقات، وإنّ تقوية هذه الحوزات سيساعد على إمكانية تقديم حوزات المدن خدماتها للضواحي والمناطق المحيطة، كما سيجعل من تقوية وتدعيم الحوزات المركزية أمراً ميسوراً:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

«ومن هذه المعاونيات أيضاً معاونية شؤون حوزات المدن»[1].

ز ـ قسم شؤون القبول والإحصاء:

يجب على تنظيمات الحوزة تحرّي الدقّة الكافية إزاء المتقدمين بطلبات الالتحاق بالحوزة، ولاسيّما في هذه المرحلة الحساسة التي تواجه فيها المؤسسة الحوزوية أخطار العناصر الأجنبية التي اكتشفت قوة الحوزة واقتدارها، ويُخشى أن تقوم بالتغلغل في الكيان الحوزوي طمعاً في زرع العملاء ودسّ المأجورين، ومن هنا فإن الدقّة في قبول الراغبين للالتحاق بالحوزة ومراعاة الجوانب المختلفة تعدّ أمراً ضرورياً ولازماً:

«كيف يتم القبول في الحوزة؟ بشهادة اثنين من الأساتذة، فمن أين يعرفان هذا الطالب؟ في بداية الثورة كان البعض يأتون بشهادة توثيق من إمام الجماعة في المنطقة التي يقطنون بها، ثم يذهبون مثلاً للالتحاق ببعض المؤسسات كالحرس الثوري واللجان الثورية، وفيما بعد نكتشف بأن هذا الشخص من المنافقين، وعندما قلنا لهم: لماذا وثقتموه؟ أجابوا: إنّ أباه يشارك دائماً في صلاة الجماعة! فإذا كان أبوه يأتمّ بسماحتك في الصلاة، فما علاقة مشاركة والده في صلاتكم بأبنه الشاب؟!

إنّ المدرس ينظر إلى الظاهر، وليس ملزماً بتفحّص الباطن، وهذا ليس ملاكاً للقبول، فالقبول بالحوزة أدقّ وأهم من كل ذلك»[2].

كما أنّ عدم وجود إحصائيات دقيقة حول قضايا الحوزة المختلفة يعتبر من أكبر السلبيات في النظام الحوزوي، وهو من الأمور التي يجب أن تُعنى بها هذه المعاونية:

«إننا نفتقر إلى الكثير من الاحصائيات اللازمة حول الحوزة وقضاياها»[3].

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

الاستقلال عن الحكومة، ومساندة النظام

إنّ التنظيمات الحوزوية لا ينبغي لها الدخول في عداد المؤسسات الحكومية أو مواصلة وجودها بالاعتماد عليها، فلابد من الحفاظ على هذه الميزة البارزة للحوزة الشيعية التي منحتها القوة الشعبية وقدرة الإشراف على أسلوب عمل الحكومة، ولا يجب التفريط فيها مهما كانت الظروف:

«إنّ الحوزة العلمية هي جهاز علمي وديني، فلا يجدر بها أن تكون مؤسسة حكومية، وهو ما لا يمكن أن يكون، حتى ولو كانت هذه الحكومة هي حكومة الجمهورية الإسلامية»[1].

لقد دافع سماحة القائد عن هذا الرأي وأولاه دعمه ومساندته باستمرار، واعتبره موقفاً ثابتاً له لا يحيد عنه ـ سواء أكان ذلك قبل الثورة أو في السنوات التالية ـ وقد واجه سماحته الشبهات المثارة حول أُسلوب حركة الإصلاح بالحوزة وفنّدها قائلاً:

«إنني أشير أيضاً إلى هذه النقطة، وهي أننا بمجرد إثارة الحديث عن هذا الموضوع فإنهم يقولون: إنّكم يريدون تحويل الحوزة إلى مؤسسة حكومية!

كلا، فإنني أُكذّب هذا الادعاء بشدة، وطبعاً فإن الحكومة هي حكومة إسلامية، ورئيس جمهوريتنا هو ابن هذه الحوزة وليس غريباً عنها، ولكنني لا أعتقد بأن الحوزة يجب أن تكون تابعة لتنظيمات أُخرى.

وهذا الاعتقاد ليس وليد اليوم؛ فمنذ القدم ـ سواء قبل الثورة أو بعدها ـ عندما كان يثار هذا السؤال: إذا ما أصبحت الحكومة حكومة إسلامية، فهل ستبقى الحوزة مستقلة عنها أم لا؟ فإنني كنت من بين الذين يقولون بضرورة استقلال الحوزة عن الحكومة، مستدلاً على ذلك بالبراهين القاطعة، ومازال

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

هذا هو رأيي حتى الآن. وإنني لا أريد استخدام التقية مع أحد، كما أنني لا أرغب في مداراة أحد»[1].

لقد أكّد سماحة القائد ضرورة استقلال تنظيمات الحوزة عن مؤسسات الحكومة، ناظراً إلى هذه القضية من أبعاد وزوايا مختلفة، ومستدلاً على رأيه بأدلة متعددة، معتبراً أنّ ذلك السبيل الوحيد والممكن في هيكلية الحوزة:

١ـ إنّ معيار صلاحية الحكومات السياسية، وحتى أصل صلاحيتها ومشروعيتها هو أمر معرّض دائماً للتغيير والتبديل، وإنه لا يمكن الثقة بقوة بأن الحكومة ستتمتع في المستقبل بما تتمتع به الآن من مشروعية وصلاحية؛ فكيف يمكن مع هذه الالتفاتة أن تستند مؤسسة دينية ـ مع ما لها من مسؤوليات عقائدية وفكرية وأخلاقية واجتماعية وسياسية مختلفة ـ إلى تيار لا ضمانة أكيدة في مستقبله؟

«إنني مازلت أعتقد بأن كل من يتحرك باتجاه تحويل الحوزات إلى مؤسسات حكومية سيكون خائناً للحوزات العلمية؛ وذلك لأن المرء يصعب عليه أن يكون على ثقة تامة بأن حكومة موثوقاً بها ستكون دائماً على سدّة السلطة»[2].

٢ـ إنّ تطور الحوزة وسمّوها لمن الأمور التي كانت ومازالت ثمرة استقلال الحوزة العلمية عن الحكومات، فالاعتماد على الحكومات يجعل الحوزات محصورة في الأطر الجامدة للنظام الإداري ويوجد خللاً في حرية وحركة النظام الحوزوي، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى فإنه سيقلل من ثقة الناس في المؤسسة العلمائية، وسيجعل المجتمع ينظر إليها نظرته إلى موظف حكومي، ويفسّر دفاعها عن

(١) حديث في لقاء مع فضلاء ونخبة حوزة قم العلمية ١٣٧٤/٩/١٤هـ ش.

(٢) حديث في لقاء مع أعضاء مجلس الطلاب غير الإيرانيين بحوزة قم العلمية ١٣٦٢/٩/١٧هـ ش.

الحكومة أيضاً بنفس هذه النظرة وانطلاقاً من هـذا الاعتقـاد. وبالتـالي تفقـد الحوزة الـشيعية مكانتهـا الـشعبية والتـي كانـت ومازالـت ميزتهـا الأصـلية والأساسية:

«إذا كانت الحوزة العلمية ترغب في البقاء، وأن ترفل فـي لبـاس العـزة والرفعة وتحقيق ما هو معقود عليها من آمال، فإنه لا يجدر بها أن تكون حتى عضواً في هذه الحكومة»[1].

٣ـ ليست الحوزة مؤسسة حديثة الوجود والتأسيس حتى يمكن تغييرها من جهة إلى أُخرى، وتحويلها من دائرة إلى دائـرة، ومـن وزارة إلـى وزارة أُخرى.

فالحوزة صرح شامخ يتمتع بأكثر من ألف عام مـن التجربـة التاريخيـة، ويتميز بجذور ضاربة في العمق والقِدَم، وهذه المؤسسة التاريخية أضحى لها بناء ونسيج لا يمكن تجاهله أو التغافل عنه، وإنّ استقلالها عـن الحكومـات يعتبر واحداً من أهم دعائم النسيج التاريخي لهذه المؤسسة ذات الألف عام.

ومن هذا المنطق فإن أي مساس بهذه الدعامة أو تغيير فيها سيتسبب في حـدوث خلـل فـي النـسيج الحـوزوي بأكملـه، وسيـسفر عـن اضـطرابات وصراعات مـستمرة، وسـيوجد تهافتـاً ملحوظـاً فـي مـنهج عمـل الحـوزة، وسـيؤدي إلـى افتقـاد التعـاون العـام، وسـوى ذلـك مـن عـشرات ومئـات الملاحظات الأُخرى:

«إنّ القضية السادسة في باب تنظيم الحوزات هـي أننـا نـؤمن بـضرورة بذل كافة الجهود ـ حتى في عهد الجمهورية الإسلامية ـ لكي تبقى الحوزات مستقلة. وهذا الأمر متحقق والحمد لله، سوى أنّ المرء قد يسمع أحياناً كلامـاً أو إثارات للشبهات هنا وهناك.

---

(١) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

وبغية إزالة هذه الشبهات من الأذهان فإننا نودّ القول: بأن الحوزة هي كيان يمتد على مدى ألف عام ويقوم على أُسس قوية وجذور عميقة جداً، وهذا الكيان العتيد ذو الألف عام والمتميز بالقوة والشموخ مع ما له من تجربة عظيمة وتأثير عميق لا يمكن ضمّه إلى كيان آخر لا صلة له به. إنّ هذا الأمر خطير، وهو يهدد مستقبل الحوزة»[1].

إنّ الأدلة المذكورة وسواها من الملاحظات تستوجب من الحوزة أن تبقى دائماً مستقلة عن الحكومة في شكلها ونهجها، وألّا تعتمد عليها في شؤونها المالية والإدارية، وأن تحقق رشدها ونموّها باستقلالية تامة معتمدة على قدرتها المادية الذاتية، وألّا تجعل هيكليتها وتنظيماتها تابعة للحكومة من الناحيتين المالية والإدارية على أمل التسريع في برامجها الإصلاحية، وأن ترجّح التحرك البطيء، الواثق الخطوات على القفزات التي لا هوية لها:

«إنّ على الحوزة إدارة نفسها بنفسها وأن تكون مستقلة، كما يجب أن تكون مستقلة أيضاً على الصعيدين المالي والإداري»[2].

وعلى الحوزة في كل الأحوال ورغم كل ذلك ألّا تقف موقف اللامبالاة أزاء النظام، وألّا تكون غائبة عن قضاياه ومشاكله، وألّا تنطوي على نفسها وتشعر بالغربة أزاء شؤون النظام والبلاد كما كانت في سالف الأيام:

«إنّ استقلال الحوزة لا يتنافى مع تعاون الأجهزة المسؤولة في البلاد مع الحوزات العلمية، فعندما يجد أحد هذه الأجهزة أن تعاونه ومساعدته أمر ضروري وممكن ومناسب، فعليه ألّا يتوانى عن ذلك، فهذا ـ استقلال

(١) حديث في بداية درس البحث الخارج في الفقه ١٣٧١/٦/٢٩هـ. ش.

(٢) المصدر السابق.

الحوزة ـ لا يعني انعزال الحوزة عن الأجهزة الحالية في البلاد، ولا يعني أن تقطع عناصر الحوزة صلتها بالنشاطات الجارية خارج الحوزة وتتجرد من الشعور بالمسؤولية والمشاركة فيها، وإنما معنى هذا الكلام هو: بما أنّ الحوزة الشيعية بصفة خاصة ـ مقارنة بالمؤسسات الدينية للأديان المختلفة ـ كانت دائماً مستقلة ومعتمدة على نفسها، وبما أنّ إدارتها كانت نابعة من ذاتها بشكل طبيعي دون الخضوع لتأثيرات خارجية، فإن عليها مواصلة هذه الحالة المتميزة»[1].

لقد تمّت الإشارة بالتفصيل في مقولة «الحوزة والنظام» على ما بينهما من علاقات وأواصر، وفي هذا السياق يجب التأكيد أيضاً على أنّ دعم الحوزة للنظام لا ينبغي أن يقتصر على مجرد الدعم اللفظي من بعض الأشخاص، أو من خلال بعض المناسبات والطقوس الخاصة ـ مع أنّ هذا في حدّ ذاته يعتبر أمراً أساسياً ويعد فرصة طيّبة ـ بل إنّ على الحوزة أن تربط نفسها بقوة بقضايا النظام ومشاكله، وأن تلبّي حاجاته الفكرية، وأن توفّر له ما يلزم من قوى عاملة وعناصر إنسانية فاعلة، مادامت تراه متمتعاً بالمشروعية والصلاحية وقيادة الولي الفقيه ومساندته:

«على الحوزة العلمية أن تكون مستقلة، ولكن دون الانفصال عن النظام، وعليها أن تدعم نظام الجمهورية الإسلامية، ولكن دون أن يقتصر هذا الدعم على إسباغ الثناء والإطراء على مسؤولي هذا النظام في الحوارات والأحاديث؛ فإذا اعتبر البعض ذلك واجباً عليهم فعلوه، أو غير واجب عليهم لم يفعلوه، دون أن يطالبهم أحد بشيء.

إنّ الدعم بالمعنى الحقيقي للكلمة هو أن تمنح الحوزة للنظام غذاءه

---

(١) المصدر السابق.

الفكري، وأن توجّهه دينياً، وتعكف على تربية الإنسان وبنائه؛ من أجل إدارة شؤون هذا النظام العظيم»[1].

«إنّ الحوزة العلمية هي جهاز إنتاجي، وهي مصنع عظيم لصناعة وبناء الإنسان لا يكف عن مزاولة رسالته الإنتاجية، فيجب على الحوزة أن تصدر الكتاب وتصنع الإنسان وتخرّج العالِم والمتديّن وتأتي بفكر وكلام جديد، فالكلام الجديد لم ينتهِ بعد»[2].



(١) المقصود هو بيان الامام الخميني قدس سره للعلماء والحوزات العلمية والذي أصدره في ١٥ من رجب ١٤٠٩ وفيه يستنهض الحوزة وعلماء الدين من أجل تحمل مسؤلية صيانة الاسلام والحفاظ على الدولة الاسلامية.

(٢) حديث في لقاء مع علماء ومدرسي حوزة قم العلمية ١٣٧٠/١١/٣٠هـ ش.

فهرس الجزء الأول

إشـارة ٥

مقدمة ٩

الفصل الأول: معرفة الحوزة

المقالة الأولى ١٩

طلائع المقاومة ٢٣

العلماء ذخيرة تاريخية ٢٦

مرحلة الانقطاع ٢٩

المقالة الثانية ٣٥

شعبية الحوزة ٣٧

المستضعفون قاعدة العلماء الاجتماعية ٣٩

الحوزة والبلاط ٤٠

الاستقلال المالي ٤٢

قيادة النهضات الاجتماعية ٤٣

الاتجاه نحو العلم ٤٤

النفقة اليسيرة ٤٦

مرحلة العزلة ومرحلة الحضور ٤٧

المقالة الثالثة ٥٣

عرض الإسلام الأصيل ٥٥

الجهاد من أجل الشعب ٥٧

التربية الروحية في المجتمع ٥٨

الثورة واتساع نطاق نشاطات الحوزة ٥٩

الفصل الثاني: الحوزة ونهضة الإمام الخميني+

المقالة الأولى ٦٩

المقالة الثانية ٨٣

الحوزة ومكاسب الثورة ٨٧

حق الثورة على الحوزة ٨٩

قدر النعمة ٩٢

مسؤولية الحوزة ١٠٠

المقالة الثالثة ١٠٩

ملابس القتال ١١٣

تأثير علماء الدين في الحرب ١١٥

مكاسب الحوزة من الدفاع المقدس ١٢٦

تكريم المضحّين ١٣٣

الفصل الثالث: الرسالة الاجتماعية للحوزة

المقالة الأولى ١٤١

إدراك اللحظات ١٤٦

مواكبة العلماء لمقتضيات الزمان ١٤٩

التعامل الفاعل مع تطورات العصر ١٥٧

المقالة الثانية ١٦١

الأدوار الثقافية لعلماء الدين ١٦٥

تعميق الثقافة الدينية ١٧١

الأرضيات والوسائل ١٧٤

المقالة الثالثة ١٨٥

مستوى معرفة المجتمع بالحوزة ٢٠٦

المتطلبات الاجتماعية ٢٠٩

توقّعات الجماهير ٢١٢
مسؤولية المؤسسة العلمائية ٢١٤
الآفات والأخطار ٢٣٣
المقالة الرابعة ٢٣٩
ضرورة الفهم والعمل السياسي ٢٤٥
أثر الفهم السياسي في الفقاهة.. ٢٤٩
آفاق الفهم السياسي.. ٢٥٣
طرق وأساليب ٢٥٧
آفات فقدان الوعي السياسي ٢٦٣
الألاعيب السياسية فـي الحوزة.. ٢٦٧
المقالة الخامسة ٢٧١
الحقائق الموجودة.. ٢٧٣
نظرية الإقصاء.. ٢٧٦
حاجة النظام للحوزة.. ٢٧٩
موقف الحوزة إزاء النظام.. ٢٨٤
وظائف الحوزة إزاء النظام.. ٢٩٠
مستقبل النظام.. ٣٠٦
السلوكيات المغرضة.. ٣٠٨

الفصل الرابع: هيكلية الحوزة

المقالة الأُولى ٣١٧
تاريخ الفكر الإصلاحي ٣٢٢
الشعور بواجب القيادة.. ٣٢٤
الخصائص اللازمة للتطور ٣٢٥
المقالة الثانية.. ٣٢٩

ضرورة التخطيط... ٣٣٤
متطلبات التخطيط ٣٣٦
المتطلبات التنفيذية للتخطيط ٣٥١
الأصول العامة فـي التخطيط ٣٥٧
وجهات النظر التخطيطية... ٣٦٢
هيكلية التنظيم ٣٩١
الاستقلال عن الحكومة، ومساندة النظام ٤٠٤
فهرس الجزء الأول.. ٤١١

